شكايط وردية
كيف تخطفين رجلاً قبل زفافه
نهى طلبة
رواية
لست امرأة سيئة بل ببساطة أنا
طموحة ومجروحة
خلطة جهنمية..
نصيحة..ابتعد.. فأنا لا أهتم

كيف تخطفين رجلاً قبل زفافه؟!

بقلم/نهى طلبة

تصميم غلاف/صابرين الديب

صفحات/نهى طلبة

مع تحيات فريق شخابيط وردية

https://www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia/

(1)

استقلت لمى سيارتها الصغيرة تغمرها حالة من التوتر شديد, لا تصدق ما قامت به للتو.. هل وافقت حقاً على التفكير في ذلك العرض المبتذل؟..

نعم.. لقد وافقت.. أو بمعنى أدق لم تعارض بقوة كافية.. ومن أين تأتي بالقوة للمقاومة في مواجهة هذا العرض المذهل!..

أن تصل لرئاسة قسم شئون المرأة والمجتمع في مجلة.. "السيدة".. وهي ما زالت في السابعة والعشرين هو حلم... لا ليس حلماً بل معجزة بكل المقاييس.. ولكن هل تستطيع دفع الثمن المطلوب؟.. هل تجرؤ؟..

غابت وسط أمواج أفكارها المتلاطمة..

وعقلها يحاول اغرائها بالقبول.. بينما

ضميرها يئن بألم.. يذكرها أنها حققت الكثير

بالفعل.. أن تصبح صاحبة عمود أسبوعي

في المجلة انجازٌ يحق لها أن تفتخر به, بل

وأن تكتفي أيضاً على الأقل في الوقت

الحالي.. ولكن.. الطموح.. آه.. من تلك

الكلمة التي تدس نفسها وسط تلافيف

عقلها فتزين لها الفكرة الشيطانية التي

عُرضت عليها للتو.. ولا تعلم إن كانت

قادرة على تنفيذها, فالمخاطرة كبيرة تلك

المرة.. فسبقها الصحفي الذي أمن لها

عمودها الأسبوعي لا يماثل المعروض عليها

الآن..

معرفتها بأن عادل كان أحد حراس زوجة

الرئيس السابق كان فرصة وأجادت

استغلالها فبعد كل شيء هو كان مديناً لها

وعلى ما يبدو أنه ما زال يكن لها بعضاً من عاطفته المريضة؛ فلم يكن إقناعه بتوفير فرصة مناسبة لها لملاقاة زوجة الرئيس السابق بمشكلة عويصة.. كان فقط يسدد بعضاً من ديونه لها.. ولكن ما تعرضه عليها ناريمان.. ما تطالبها بفعله..

صوت اصطدام مع رجة قوية أخرجتها من شرودها, لتكتشف اصطدام سيارتها بتلك السيارة الفارهة, كلا.. بل أن تلك السيارة التي تشبه الطائرة هي التي اصطدمت بها من الخلف..

"يا الكارثة"

ذلك ما تبادر إلى ذهنها على الفور..

فسيارتها الصغيرة انبعجت مؤخرتها بالكامل.. والكارثة الفعلية أن محرك السيارة يتمركز في جزئها الخلفي..

خرجت من سيارتها والغضب يحرقها حرقاً.. فما حدث يعني حرمانها من وسيلة تنقلها المريحة_حتى وإن كانت صغيرة جداً_ لعدة أيام قادمة.. تحركت لتتفحص الضرر الذي أصاب السيارة وهي تزفر بغضب شديد حين سمعت صوتاً رجولياً مميزاً:

- يبدو أن سيارتك قد أصيبت بضرر كبير.. أنه خطأ السائق الخاص بي.. وأنا على أتم استعداد لتعويضك عن الأضرار..

لم تلتفت إلى ذلك الذكر المتبجح بسائقه الخاص, فتلك الكلمة أثارت براكين غضبها.. وازداد حنقها وهي تسمع تشدقه بتعويضها عن الضرر.. وكأنه يقدم لها

إحساناً.. وليس تعويضاً مستحقاً لها بما أنه هو المخطئ..

أكملت تفحص سيارتها وهي تخاطبه بدون أن تلتفت إليه:

ـ هل هذا كل ما تستطيع قوله؟.. ألا أسمع حتى كلمة اعتذار؟!

أجابها بنزق:

ـ لقد أخبرتك أنني سأدفع ثمن الأضرار..

ماذا تريدين أكثر من ذلك؟

التفتت بغضب التمعت به عينيها الرماديتين:

ـ اعتذار.. هذا ما أطلـ..

قطعت عبارتها عندما تعرفت عيناها على هوية محدثها..

ـ باسل مختار!!..

كانت تلك همستها الخافتة.. ولكنها وصلت إلى مسامعه فسألها بتعجب:

- هل تعرفين من أكون؟..

"يا الهي!!.. هل تلك إشارة ما؟!.."

هذا ما تردد في داخلها.. بينما عقد لسانها عن الكلام.. هل تجهل باسل مختار؟!!.. رجل الأعمال المعروف.. وصاحب دار النشر العريقة والتي مجلة "السيدة".. هي واحدة من أهم اصداراتها..

انتبهت إلى نظرته المتسائلة.. فأجلت صوتها وهي تجيب بلهجة مهذبة نوعاً ما:

- بالطبع.. سيد باسل.. أعرف من أنت.. فأنت تملك دار "الحمامة".. للنشر..

قطب جبينه وقد تعجب قليلاً من ذكرها دار"الحمامة" بالذات.. فهو يملك الكثير من

المؤسسات.. ومنها الأشهر والأهم من دار النشر تلك..

وجدت لمى التعجب يرتسم على ملامحه..

ففسرت كلماتها:

ـ أنا أعمل في مجلة "السيدة"..

وضع يده على جبهته وكأنه يحاول تذكر شيئاً ما وعيناه تلتهم ملامحها التهاماً:

ـ آه.. نعم.. أنتِ تلك الصحفية التي قامت بذلك السبق الصحفي مع زوجة الرئيس السابق!

أومأت برأسها موافقة:

ـ نعم.. أنا هي..

لمعت عيناه وهو يتذكر لقاءه الوحيد بها, وكان في حفل المجلة السنوي.. منذ ثلاثة أسابيع, وقد قدمتها له ناريمان كاظم

شريكته في ملكية المجلة ووالدة شيرويت زوجته المستقبلية.. لم يتمعن يومها في ملامحها بدقة, برغم أنه موقن أنها فاتنة, لكنه كان تحت مراقبة عينيّ ناريمان هانم, والتي تنتظر منه أي هفوة حتى تدمر زواجه الوشيك من ابنتها.. لكنه الآن أخذ وقته بالكامل ليتأملها بنظراته.. بدءً من شعرها الأسود الذي ينسدل بنعومة حتى خصرها.. وجبهتها العريضة.. وعينيها الرماديتين اللتين تلمعان بالتحدي والمكر.. وشفتيها المكتنزتين والمنفرجتين.. كأنها تقدمان دعوة مستمرة للتقبيل.. وذقنها الصغيرة التي ترتفع بعناد وكبرياء.. وهبطت عيناه تتملى في قامتها متوسطة الطول ومفاتنها الواضحة والتي تتناقض مع خصرها النحيل الذي التف بتنورة قصيرة وضيقة وهبطت عيناه لساقيها الرائعتين وقدميها..... الحافيتين!!.. نعم.. لقد كانت بلا حذاء!

شعرت لمى بالحرج الشديد وهي تتعرض لهذا التأمل الذكوري المتمهل من باسل, والذي كان يبدو مقدراً جداً للفتنة الأنثوية التي تمثلها ملامح لمى إلى أن وصل إلى قدميها الحافيتين.. وهنا ظهر الاندهاش الشديد على ملامحه التي ارتفعت إلى وجهها مرة أخرى.. ولكن ارتفاع وهبوط صدرها السريع نتيجة احراجها لنظراته العابثة, لفت نظره إلى قميصها الحريري والذي يضم مفاتنها التي ظهرت واضحة بفعل تنفسها السريع... فجذبت عينيه على الفور... مما دفعها إلى القول من بين أسنانها:

- سأقدر كثيراً إذا نظرت إلى وجهي وأنا أتحدث معك.. هل أنا واضحة سيد باسل؟!

أجاب بسرعة ومكر شديد:

- جداً!!!

تنهدت بغيظ.. إنه كغيره من الرجال لا ينظر إلا إلى مفاتن المرأة حتى لو كانت له خطيبة آية في الفتنة والجمال..

فرقعت بأصابعها بقوة علها تلفت انتباهه وسألته بغيظ:

ـ سيد باسل.. ما الذي كنت تقوله حول الحادث؟..

عادت ملامحه للجد مرة أخرى:

ـ أخبرتك.. سوف أدفع ثمن الأضرار كاملة..

ووجه نظراته إلى السيارة الصغيرة:

ـ ولا أعتقد أنها ستكون كبيرة.. هل تريدين تعويضاً اضافياً؟!

نفخت بغيظ:

ـ كلا بالطبع.. إنني أريد أن أعرف كيف سأذهب إلى عملي يومياً بدون سيارتي؟..

هز كتفيه باستهزاء:

ـ وما شأني أنا بذلك؟..

صرخت به وهي ترفع سبابتها في وجهه:

ـ ما شأنك؟!.. ما شأنك؟!.. شأن مَن إذاً؟..

ـ حسناً.. ماذا تريدين؟..

ـ مبدئياً.. أحتاج أن أذهب إلى منزلي.

رمقها بتساؤل.. فحركت نظرها بينه وبين سيارته في إشارة واضحة لما تريد..

أجلى صوته وهو يسألها بتهذيب:

ـ هل ترغبين أن اصطحبك إلى منزلك؟

حركت عينيها خلاله لأعلى وأسفل:

ـ للأسف.. أنا مضطرة لذلك.. بالرغم أنني غير معتادة على الركوب مع أشخاص لا أعرفهم!

رفع عينيه للسماء وكأنه يطلب العون..

بينما تحركت هي نحو سيارتها لتلتقط حاسوبها المحمول وحقيبة يدها وتغلق سيارتها, ثم اتجهت نحو سيارته لتدخل إلى المقعد الخلفي برشاقة..

جلس بجوارها ولم يستطع منع عينيه من تأملها وهي تحاول تسوية تنورتها القصيرة وتجذبها بشدة حتى تغطي ساقيها, وعندما لاحظت نظراته تركزت عليها.. صاحت بسخط:

ـ أعتقد أنني أخبرتك أن تُبقي نظراتك على وجهي!!

أجابها ببراءة مزيفة:

- ولكنكِ طلبتِ هذا عندما أحادثك فقط!..

- كُف عن التحديق بي!

- لماذا؟.. أنتِ جميلة جداً!.. وأنا رجل يقدر الجمال

لم تجب, ولكن ظهر تبرمها على ملامح وجهها.. وعندما شعرت بالسيارة تتحرك بهم قالت باختصار:

- المعادي.. شارع 100

سألها ببلاهة:

- ماذا؟!

أجابت باقتضاب:

- عنواني.

ألقت الكلمة ثم التفتت إلى النافذة تتأمل الطريق وتنهي أي حوار من الممكن أن يدور بينهما..

تأمل للحظات جانب وجهها.. ثم أخرج حاسوبه المحمول وبدأ بالعمل عليه حتى يبتعد بتفكيره عن تلك الشعلة المتوهجة.. مذكراً رغباته العابثة بوجود شيرويت خطيبته المثالية ووالدتها التي تريد التمثيل به حياً ولا يدري سبباً منطقياً لكراهيتها الأسطورية له...

جلست لمى بجواره تدعي عدم الاهتمام, ولكن عقلها كان في صراع محتدم.. هل ما حدث مصادفة؟.. هل تلك إشارة ما لتوافق على ما عُرِض عليها؟..

تساءلت بداخلها هل تتخذ أولى خطواتها.. أم تعتبر ما حدث كأنه لم يكن وتتناسى

تلك المصادفة العجيبة التي جمعتها مع باسل مختار..

باسل مختار، العازب الأشهر فقط حتى عدة أشهر مضت.. ولكنه الآن الخطيب والزوج المنتظر لـ شرويت كاظم.. وريثة عائلة كاظم وسليلة الحسب والنسب.. وأيقونة الجمال الأرستقراطي الهادئ..

وحسناً.. ابنة رئيستها والشريكة الرئيسية لباسل في ملكية المجلة..

شردت وهي تتأمل ملامحه الوسيمة.. بسواد شعره الحالك ووجهه النحيل وعينيه الخضروين ذاتا النظرة العابثة المغازلة على الدوام.. فهو لم يتوقف عن مغازلتها بعينيه منذ أن التقيا, حتى بعد ما علم بمكان عملها..

إذاً ما سمعته عنه صحيح.. هو زير نساء من الطراز الأول ولم تمنعه خطبته عن مزاولة عبثه, لكن.. وآه من لكن تلك..

هل تجرؤ؟.. هل..؟..

أمسكتها عيناه وهي غارقة في تأمله, فارتسمت بسمة ساخرة على شفتيه مما سبب لها الحرج فلقد كانت تحدق به كمراهقة حمقاء فتنت بوسامة رجل, ولكن سرعان ما تغلب غضبها على حرجها عندما وصلتها كلماته:

- يبدو أنني لست الوحيد الذي يتمتع بالتحديق هنا!

أجابته بسرعة:

- إنه عصر المساواة.

ـ آه.. أنتِ إذاً ممن تتشدقن بحقوق المرأة والمساواة وتلك الترهات!

سألته لتحول وجهة الموضوع, فهي لن تناقش ذكر نفحور بنوعه في بطاقة هويته ويرى أن مغازلة أي أنثى هو حقاً مكتسباً له, حول حقوق المرأة والمساواة:

ـ ماذا ستفعل بسيارتي؟..

رمقها لحظة طويلة.. إنها تجيد التلاعب مثله تماماً.. حسناً فليكن.. هي معجبة به.. ولن تقاوم طويلاً:

ـ سيذهب بها ناصر.. السائق الخاص بي.. ليتم إصلاحها.

ثم غمز بشقاوة:

ـ قدمان لطيفتان!

لم تفهم مقصده, ولكن مع تتبعها لنظراته شهقت بقوة عندما أدركت أنها نسيت حذاءها في سيارتها!..

همست بغضب:

- اللعنة!

- لا تقلقي.. سوف أتولى الأمر..

- كيف؟

سألها بعتاب عابث:

- ألا تثقين بي؟..

ردت بسرعة:

- بالطبع لا..

انطلقت ضحكاته بقوة وهو يتأمل وجنتيها المتوردتين واللتين تناقضان مظاهر الثقة المحيطة بها.. لا يدري من أين خرجت له

تلك الحورية.. كلا ليست حورية, إنها أشبه بجنية صغيرة وفاتنة..

انطلق من هاتفها نغمة مميزة للرسائل, التقطته بخفة.. لتتسع عينيها بذهول وهي ترى الكلمات التي تواجهها بتحدٍ سافر..

"بدأ الرهان"

تعجب من الذهول الذي ظهر على ملامحها فسألها بقلق:

- هل هناك خبر سيء؟..

التفتت له بذهول وأخذت تحدق به كأنها تراه للمرة الأولى.. وكل ما يدور في عقلها.. أن كل شيء كان مدبراً.. كل شيء..

أغمضت عينيها لتخفي عنه ما يدور بذهنها, ولكنه استحثها بقوله:

- لمى.. آنسة لمى!

فتحت عينيها فجأة:

- أنت تعلم اسمي؟

- بالطبع.. ألم نتعارف منذ قليل!

- ولكنني لم أخبرك باسمي.

- كلا.. وأنا لم أحتج لذلك.. فأنا تذكرته على الفور.

- آه.. السبق الصحفي!!..

رمقها لوهلة وكأنه لا يعلم عما تتحدث, ثم تذكر سبقها الصحفي الذي منحها كتابة عمودها الأسبوعي الخاص, وبالطبع هذا آخر ما كان يدور بذهنه, لقد تذكرها من ليلة حفل المجلة, فهو يمتاز بذاكرة قوية للغاية للنساء الجميلات, وللأرقام والأعمال التجارية وهذا ما جعله يضاعف الثروة التي ورثها من والده أضعافاً مضاعفة... وهو لم يتخطَ الثامنة والثلاثون..

أجلى صوته وهو يسألها ثانية:

- هل وصلك خبر سيء؟

تلعثمت وهي تجيبه:

- هاه.. ماذا؟.. آه.. كلا.. إنه عمل فقط..

سأل بتعجب وهو يمد يده بجرأة ليرفع خصلة ناعمة سقطت على وجنتها:

- فقط عمل؟!.. لماذا يبدو لي أن وراء ذلك العبوس رجل ما؟!

تجمدت تحت تأثير حركته الجريئة.. إنه يهاجم مباشرة.. فأصابعه تتلكأ بعبث وهو يعيد خصلتها الشاردة خلف أذنها..

تملكها الغضب فحركت وجهها بعنف حتى تبتعد عن مرمى أصابعه وأجابته بحزم:

- فقط عمل.. عمل.

وصلت السيارة إلى العنوان الذي منحته لمى له في البداية.. وأبدى باسل تعجبه من سكنها بإحدى فيلات المعادي, فأوضحت له باقتضاب وهي تخرج من السيارة:

- إنه سكن مغتربات.. وداعاً.

خرجت مسرعة من السيارة ودخلت إلى الفيلا بسرعة بدون حتى أن تلتفت إليه, بينما أخذ يتابعها وعلى شفتيه ابتسامة صياد عثر على فريسة شهية, ولن يتنازل قبل أن يسقطها في شباكه...

(2)

دخلت لمى بسرعة إلى غرفتها الخاصة بعدما ألقت تحية مقتضبة على السيدة سمية, وهي صاحبة تلك الفيلا العريقة في حي المعادي والتي قررت تحويلها إلى دار للمغتربات.. لتستفيد من الدخل المالي من جهة, ومن جهة أخرى تستمتع بالصحبة الانسانية التي افتقدتها بعد أن هاجر أولادها إلى الخارج, فقررت تحويل فيلتها إلى بيت للمغتربات, وكانت شديد الحرص في انتقاء نزيلاتها مما منح المكان سمعة واسم رنان وتهافتت عليه الفتيات المغتربات سليلات الأسر الكريمة..

جلست لمى على فراشها بتعب وأخرجت هاتفها لتتأمل تلك الرسالة التي سحبت منها حق الاختيار..

"بدأ الرهان"

كلمتان تم تحويلها بهما إلى سارقة رجال وانتهازية لا تتورع عن ارتكاب أي شيء في سبيل تحقيق طموحاتها.. أليس تلك وجهة نظر ناريمان كاظم عنها!!..

ظلت لمى تتأمل الكلمات لبرهة.. شعرت أنها كرهت هاتين الكلمتين, بل إنها تمقت حروف هجائهما..

التقطت الهاتف.. واتصلت بناريمان التي أجابت بعد أول رنة:

- مرحباً لمى..

دخلت لمى في الموضوع مباشرة وسألتها بهجوم:

ـ هل الحادث كان من تدبيرك؟..

جاءت اجابة ناريمان مقتضبة وحادة:

ـ بالطبع.

فوجئت لمى بتلك الصراحة.. ولكنها عادت للهجوم:

ـ لماذا فعلتِ ذلك؟.. أنا لم أعلن موافقتي بعد.

صمتت ناريمان عدة لحظات ثم جاء صوتها صارماً:

ـ أنا لم أفرض عليكِ شيئاً.. لقائك مع باسل تم تدبيره وبدون أن تبذلي أي مجهود.. الآن استمرارك أو انسحابك أمر يرجع لكِ.. لقد ظننت أنكِ ستشكرينني لتسهيل المهمة عليكِ.. وداعاً..

نظرت لمى إلى الهاتف بعجب.. لقد أغلقت ناريمان الخط.. لم تنتظر منها أي رد, وكأنها واثقة من موافقتها على ذلك العرض المقيت..

تمددت على فراشها وهي تتذكر ما حدث صباح اليوم عندما أبلغتها مديرة مكتب ناريمان كاظم بانتظار تلك الأخيرة لها في مكتبها في الثانية عشر ظهراً..

رغم تعجب لمى من طلب ناريمان لرؤيتها, إلا أنها ذهبت في الموعد.. وهي تضع عدة احتمالات لهذا اللقاء, لكن أي من تلك الاحتمالات لم يقترب ولو قليلاً من السبب الحقيقي لذلك الاجتماع..

أدخلتها مديرة المكتب على الفور إلى ناريمان التي رحبت بها بمودة ودفء غير

معتادين من المرأة الأكبر سناً نحو العاملين لديها..

تأملت لمى الغرفة الواسعة والتي يتصدرها مكتب غاية في الفخامة, يكاد يكون أحد القطعة الأثرية النادرة, وعلى الجدار خلفه ظهرت لوحة زيتية للسيدة ناريمان في عمر أصغر ولكنها تظهر مدى الفِتنة التي كانت عليها تلك المرأة في شبابها.. نعم.. كانت, فالسيدة ناريمان أصبحت تتجاهل أنوثتها بوضوح فشعرها الأشقر المتموج الذي تظهره اللوحة تم تغيير قصته لتتحول إلى قصه قصيرة جداً, كما أنها أخفت زرقة عينيها خلف نظارتين أنيقتين, كان تبرجها بسيطاً للغاية يكاد يكون معدوماً.. وملابسها تتكون من بذلة رمادية أنيقة جداً وإن كانت معدومة الملامح, ولكنها باهظة الثمن بالطبع..

بعد تفكير بسيط أيقنت لمى أن السيدة ناريمان تحاول التنصل من كونها أنثى..

جاءها صوت ناريمان يطلب منها الجلوس، فأطاعتها بصمت وهي مازالت تتأمل الفخامة الواضحة للغرفة.. وعينيها تقدران الجمال المنتشر حولها.. لكن قاطعت ناريمان تأملاتها بسؤال مباشر:

- لابد أنكِ تتسائلين عن سبب تلك المقابلة؟

- في الحقيقة..

قاطعتها ناريمان بصراحة:

- في الحقيقة.. يوجد لديّ عرض أقدمه لكِ.. عرض لا يقاوم!

تساءلت لمى بعجب:

- عرض!!

أومأت ناريمان موافقة وهي تخبرها بلهجة ناعمة تناقضت مع مظهرها الرسمي الجاف:

ـ نعم.. تستطيعين إطلاق عليه مشروع العمر..

لفتت الكلمة انتباه لمى وبرقت عيناها بفضول.. فأردفت ناريمان:

ـ لقد جاءتني فكرة ذلك المشروع بالأمس, أعتقد أنكِ شاهدتِ الفيلم الأمريكي ؟ "how to lose a guy in 10 days"

أومأت لمى بهزة من رأسها.. فأكملت ناريمان:

ـ لقد فكرت في كتابة موضوع شهري تحت عنوان.. كيف يمكنكِ... ؟.. ونعرض من خلاله مواضيع تثير التحدي لدى النساء..

قاطعتها لمى بحماس:

ـ فكرة رائعة يا سيدتي..

رمقتها ناريمان بنظرة حادة:

ـ سأقدر لكِ كثيراً عدم مقاطعتي..

أومأت لمى برأسها بينما تابعت السيدة:

ـ لقد فكرت في عنوان للموضوع الأول.."كيف تخطفين رجلاً من خطيبته قبل زفافه بأيام؟".. ما رأيك؟

هزت لمى رأسها بذهول:

ـ موضوع مثير بالفعل, ولكن..

قاطعتها ناريمان بحماس:

ـ مثير فعلاً.. والأكثر إثارة أنكِ لن تكتفي ببعض النصائح النظرية, بل ستكتبين الموضوع بناءً على تجربة شخصية..

صرخت لمى:

ـ ماذاااااا

عادت ناريمان لقناعها الصارم وهي ترمق لمى بنظرة مهددة وأكملت:

ـ لقد رتبت كل شيء, وحددت لكِ هدفكِ أيضاً!

استفهمت لمى بتعجب:

ـ عذراً سيدتي.. أنا لا أفهم!!.

عادت ناريمان لترمقها بنظراتها القوية:

ـ دعيني أنتهي مما أريد قوله, وقد تفهمين في النهاية.

أومأت لمى بصمت وحرصت ألا تنبس ببنت شفه, فأكملت ناريمان:

ـ بالطبع تعلمين أن ابنتي شيرويت مرتبطة بمشروع خطبة مع باسل مختار..

لم تستطع لمى كبح جماح لسانها, فهي تعلم أن الموضوع يتعدى لفظة مشروع, فموعد الزفاف تحدد بالفعل بعد حوالي ثلاثة أسابيع فغمغمت بتعجب:

- مشروع!!

رمقتها ناريمان بنظرة حادة وهي تقول من بين أسنانها:

- للمرة الأخيرة.. أرجو عدم المقاطعة..

"يا الهي.. إنها سيدة مخيفة"

هذا ما فكرت لمى به وهي تعود لتستمع إلى كلمات ناريمان:

- باسل مختار كان شريكاً لزوجي الراحل في كل مشاريعه, ومنها بالطبع دار"الحمامة" للنشر.. وبالطبع بعد وفاة زوجي سوف يؤول كل شيء إلى شيرويت ابنتي.. والتي هي رومانسية ميئوس منها, مازالت تحلم

بالفارس ذو الحصان الأبيض الذي سيخطف قلبها.. سذاجة كما ترين.. وهذا ما أدركه الوغد باسل فأحكم شراكه حولها حتى سقطت في حبه كالحمقاء بينما كل ما يريده هو زوجة مناسبة لمكانته الاجتماعية, وبالطبع إحكام سيطرته على ميراثها والذي يمثل أنصبة لا يستهان بها في شركاته..

رفرفت لمى بأهدابها وكأنها تستأذن السيدة في الكلام, فرمقتها بنظرة متسائلة.. فأجلت لمى صوتها وسألت بهدوء:

- سيدتي.. أنا لا أفهم.. لقد التبس عليّ الأمر.. ما علاقة الموضوع الذي اقترحته سيادتك.. بزواج ابنتك الوشيك؟..

أجابتها ناريمان بسخرية:

- يبدو أنني بالغت في تقدير ذكائك.. هل كان سبقك الصحفي مع زوجة الرئيس السابق مجرد ضربة حظ لفتاة مبتدئة؟!

نفت لمى بحماس:

- كلا يا سيدتي.. لقد كان نتيجة تخطيط وتصميم مسبق.. ولكني فقط لا أفهم ما ترمين إليه بكل..

قطعت لمى كلماتها عندما لمحت نظرة متآمرة في عينيّ ناريمان.. فصاحت بذهول:

- أنتِ تريدين أن تكون تلك المقالة عن باسل مختار.. الرجل الذي سيُخطف من خطيبته قبل زفافه.. أليس كذلك؟!!..

هزة خفيفة من رأس ناريمان أخبرت لمى أن استنتاجها كان صحيحاً.. فسألت بذهول:

- ولكن لماذا؟.. إذا كانت ابنتك تحبه؟..

لماذا؟..

صرخة نافية كادت أن تخرج من بين شفتيّ

ناريمان تصرح بها بأن ابنتها الحمقاء تسعى

لانتقام أحمق, انتقام هي أول من ستدفع

ثمنه.. فباسل لن يمرر استخدامه كبيدق

تعلن به شيرويت انتصارها في حربها الحمقاء

ضد ابن عمها داغر, وداغر لن يقف

مكتوف الأيدي وهو يرى ميراث أسرته

يقع كثمرة ناضجة بين يديّ باسل...

لم تصرح ناريمان بأي من أفكارها ولكنها

اكتفت بهتاف حاد:

- باسل لا يحبها.. إنه يرغب في إطار جميل

لتكتمل صورته كرجل أعمال ناجح.. أنتِ

على دراية بسمعته.. إنه زير نساء من الطراز

الأول.. وهذا النوع لا يعرف الحب أو

المشاعر.. سيدمرها.. يمتص منها روحها بعد أن يحطم قلبها, وسيدفعها لقتل قلبها وذبح أنوثتها.. بعدها قد تلجأ لأول ذراعين يتلقفاها.. و..

قطعت كلماتها فجأة بعدما ارتعش صوتها مع كلمتها الأخيرة.. وظهرت الصدمة على وجهها وبأعماقها صرخة دوت معاتبة..

"ماذا تفعلين؟.. هل تصفين باسل وشيرويت, أم.."

أدركت لمى بسهولة أن السيدة ناريمان تتحدث عن تجربة هي مرت بها وتدرك أبعادها تماماً.. ووجدت في قلبها شفقة على تلك السيدة التي ذُبِحت أنوثتها وكُسِر قلبها على يد رجل ما والكارثة أنه من الجليّ أنها كانت تحب ذلك الرجل.. وربما ما زالت!

رفعت عينيها للمرأة الأكبر سناً وهي تسألها:

ـ حسناً.. ما دمتِ متأكدة أنه لا يحبها وأنه سيسبب لها التعاسة.. لم لا تقنعينها؟.

زفرت ناريمان بغضب لمَ لا تستمع تلك الفتاة إليها بصمت!.. لمَ تجبرها على حبك قصة قد لا تكون صادقة تماماً.. حسناً.. لتجبها بأنصاف الحقائق:

ـ ألا تعتقدين أنني حاولت.. وحاولت.. ولكنها لا تصغي.. الحل أن أثبت لها بالأدلة القاطعة.. أنه لا يحبها, بل يسعى خلف ميراثها واسمها..

هزت لمى رأسها باستفهام:

ـ إذاً تريدين مني أن أستأجر إحدى الفتيات لتقوم باغوائه.. و..

صاحت ناريمان بها:

ـ ما هذا!!.. هل ندير فيلم هابط.. أو مسلسل تركي؟؟!!.. أنا لا أريد بضعة صور له في مواقف مشبوهة.. أنا أريده أن يتقدم بعرض زواج واضح.. هذا ما سيقنع شيرويت.. تأكدها أنها ليست امرأة حياته..

ـ ولكن هذا سيدمرها.. و..

قاطعتها ناريمان:

ـ أنا كفيلة بتضميد جراحها.. فلتتركي لي ابنتي.. وفكري كيف تجعلين باسل مختار يطلبك للزواج!

صرخت لمى:

ـ أنـــــــــــــــا!!!!!!!!!!!!!!!!

ـ بالطبع أنتِ.. فيما كان حوارنا هذا إذاً؟؟.. هذا هو العرض الذي أقدمه لكِ..

اجعلي باسل مختار يطلبك للزواج قبل أن يتزوج من ابنتي.. وأنا...

صمتت قليلاً.. ثم أكملت:

ـ وأنا سأقدم لكِ منصب رئيسة قسم شئون المرأة والمجتمع.. وبالطبع تلك خطوة لتكوني أصغر مديرة تحرير عرفتها الصحافة المصرية..

فغرت لمى فاها بذهول.. وحاولت أن تركب بعض الكلمات التي تعبر عن ردها عما قالته تلك السيدة:

ـ هـ..ل.. تطـ..لبين.... مـني.. اغـ....واء.. بـاسـ

قاطعتها ناريمان للمرة العاشرة فيبدو أنها لا تمانع في مقاطعة كلمات من أمامها:

- نعم.. أنتِ فهمتِ عرضي بطريقة سليمة.. رغم أنني أرفض لفظة اغواء.. فأنا أريده أن يرغبك.. يحبك.. يريدك.. أي كانت اللفظة الصحيحة, ولكن بما يكفي ليضحي بارتباطه باسم شيرويت كاظم.. وبثروتها.. وأعلم تمام العلم أنكِ قادرة على ذلك.. فأنتِ أوقعتِ الحارس الخاص لزوجة الرئيس السابق في حبائلك.. وجعلته مثل خاتم في إصبعك حتى دبر لكِ موعداً معها..

برقت عينا لمى بشدة وهي تصيح:

- كلا.. لقد دبر لي الموعد لأنه كان مديناً لي.. وأنا من أقنعتها باجراء الحوار..

ردت عليها ناريمان بمداهنة:

- فلتجربي قدراتك الإقناعية الباهرة تلك على باسل.. لا.. لا أريد رداً متسرعاً مدفوعاً بحجج إخلاقية واهية.. فكري جيداً

فيما هو معروض على المائدة.. وغداً..

أبلغيني بردك.

كان العرض رائعاً, بل مغرياً حد الثمالة, مما دفعها للقول:

ـ حسناً.. سأفكر.. لكن لا أعدك بالموافقة.

ابتسمت ناريمان بانتصار:

ـ لكني واثقة من موافقتك.. إلى اللقاء في الغد.

كان واضحاً أن ناريمان تصرفها من مكتبها رافضة سماع أي رد يخالف ما تريد..

خرجت لمى من المكتب وهي تتعثر في خطواتها وكل ما يدور في ذهنها أن ناريمان تبدو سيدة مجنونة كما أنها واثقة للغاية من موافقتها..

ولكن ما لم تره لمى.. هو ذلك الباب الجانبي في مكتب ناريمان والذي فُتح بعد خروجها من الغرفة لتظهر شقراء فاتنة رفعت خصلاتها في تسريحة أنيقة, وتبرق عينيها بلون السماء الصافية.. وهي تبرم شفتيها وتخبر ناريمان بثقة:

ـ سوف يجتاز ذلك الاختبار يا أمي.. أنا واثقة أنه يحبني.

أجابتها ناريمان بتلاعب:

ـ شيرويت يا ابنتي.. أنتِ الرابحة في كل الأحوال.. فلو أثبت إخلاصه, فسوف أمنحك حرية التصرف في كل ميراثك.. سوف أنقل لكِ كل الأملاك.. بدون أي شرط.. وفي حالة إخفاقه وثبوت أن نظرتي له صائبة, سوف أنشئ لكِ مشغل الأزياء الذي كنتِ تحلمين به.. حتى تستلمي

ميراثك كاملاً.. عندما تبلغين الثلاثين من عمرك كما أوصاني أبيكِ..

هزت شيرويت رأسها بانزعاج وقالت بنبرة ذات مغزى:

- نعم.. كما أوصاكِ أبي..

رمقتها ناريمان بنظرة متفحصة وتساءلت:

- إذاً؟.. ماذا تعنين؟؟..

زفرت شيرويت بغضب وهي تشير لما حولها:

- أمي.. أنتِ لا تهتمين سوى بذلك الإرث اللعين.. كل ما يعنيكِ ألا يضع داغر يده على أموال والدي..

هتفت بها ناريمان بغضب:

- لن أترك ابن عمك الغالي ينال قرشاً واحداً من أموال والدك.. لقد أضعت سنوات

وسنوات من عمري لتكوين تلك الأموال ولن أترك ابن نجوى يتمتع بها...

ـ أمي.. داغر ليس بحاجة إلى أموال والدي.. هو يملك شركاته وأمواله.. يجب انهاء تلك الخصومة.. ما حدث في الماضي يجب أن يظل ماضياً..

سألتها ناريمان بتحدٍ:

ـ هل افتتانك القديم بابن عمك ما زال قائماً؟!.. لقد ظننت أنكِ أحببتِ باسل!..

غمغمت شيرويت بارتباك:

ـ أنا أحب باسل بالفعل.. اعجابي بداغر لم يكن أكثر من عارض من عوارض المراهقة.. لكني الآن مدركة لمشاعري جيداً.. أنا أريد باسل وسأصبح زوجة له..

هزت ناريمان كتفيها بلامبالاة:

- إذاً ستوافين على ذلك الرهان؟

- حسناً يا أمي.. أنا موافقة.. فأنا واثقة من حب باسل وإخلاصه..

غمغمت ناريمان بخفوت:

- كم أنتِ ساذجة يا طفلتي.. تراهنين على إخلاص رجل!

بعد خروج شيرويت انزوت ناريمان بإحدى الأرائك وطلبت من سكرتيرتها بحزم عدم ازعاجها لأي سبب.. حوارها مع لمى ومن بعدها شيرويت آثار شجونها وذكرياتها معاً..

شردت بفتاة شابة كانت مزيجاً من لمى بعنفوانها وقوتها وإقدامها وشيرويت برقتها ورومانسيتها الحالمة..

"ناريمان حاتم" الصحفية الشابة التي تبحث عن الخبر في كل وقت وأي مكان.. حتى لو كان قسم الشرطة!.. وكانت هناك تتابع إحدى الجرائم الغامضة حين التقت به "بهاء الدين رشيد".. رجل الشرطة الذي كان يتولى التحقيق بالقضية والذي فرض حصاراً فولاذياً على أي معلومة تخص المجرم أو الضحايا, كان عنيداً بشدة وهي لمست ذلك العند على المستوى العملي والشخصي أيضاً..

فبعد عدة لقاءات وعدة محاولات فاشلة منها للحصول على أي معلومة منه, وجدت نفسها غارقة بتفاصيل ذلك العنيد الذي تلتمع عيناه بنظرة غامضة تخصها وحدها, وبعد عدة مناوشات أخرى ومحاولة واهية منها لفرض سيطرة فقدتها بحضوره لأول

مرة بحياتها, سقطت الصحفية الشابة والحالمة في الحب مع نقيب الشرطة الشاب.. وما أن اعترفت لنفسها بذلك الحب حتى قررت الخضوع الكامل لمشاعرها, فهي دائماً ما كانت متطرفة المشاعر ولا تميل للحياد أو الركون لتلك المنطقة الرمادية الباهتة التي تحاصر بها الأنثى انتظاراً لمبادرة الذكر, لم تكن تخشى أنوثتها ولا حبها لذا كان حبها عاصفاً.. جارفاً ومتمرداً مثلها.. تقربت منه ولم يردعها تحفظه الواضح وأرجعته لأصوله الصعيدية.. لذا لم تتوانَ عن اظهار شغفها القوي واعجابها الجلي به, وبدأت تجني ثمار عشقها.. عندما تحول غموض نظراته إلى اعجاب واضح وبدا واضحاً تأثره بها في تصرفاته.. وسرعان ما ظهر حبه واضحاً في عينيه رغم محاولاته الحثيثة لاخفاء ذلك الحب....

ولأن ناريمان لم تكن تعترف بالقيود والحواجز وفرضيات جدلية بوجوب أن تكون المرأة هي المتلقية للاعتراف وليست البادئة.. لذا فعند أول لقاء منفرد لها بـــبهاء صارحته على الفور:

"بهاء.. أعتقد أنك تشعر بوجود شيءٌ ما يجمع بيننا.. وأنا لا أعرف المراوغة وألاعيب الفتيات.. لذا سأكون صريحة معك.. أنا وقعت في حبك.. وأعلم أنك تشعر نحوي بالمثل"...

كانت تعتقد أنه سيصرح بعشقها بدوره.. فهي لمست اهتمامه بها في أكثر من مناسبة.. ولكنها فوجئت بانسحاب الدماء من وجهه وانقباض ملامحه بشدة, ظنت في البداية أن غضبه يرجع لمباردتها

بالتصريح بحبه ولكنها لم تتوقع صدمة ما قاله..

"آنسة ناريمان.. أنتِ فتاة جميلة وذكية.. تسعدني مشاعرك الطيبة نحوي, ولكني متزوج بالفعل"..

صرخت يومها بصدمة..

"متزوج!!.. ولكن.. قاطعها..

"لقد عُقِد قراني على ابنة عمي منذ سنتين.. وزفافنا الشهر المقبل"..

توقفت الحروف على شفتيها وفمها يفتح ويغلق بلا معنى وأخيراً استطاعت تكوين جملة ما لتهتف بها

"ابنة عمك!!.. وهل تحبها؟"

هز بهاء رأسه وهو يخبرها..

"ستكون زوجة ممتازة ومناسبة"

غمغمت بغضب..

"مناسبة"!

تنهد بحرقة..

"ناريمان.. أنا رجل ذو أصول صعيدية.. قد أكون رجل شرطة ناجح لكني لا أستطيع مخالفة أمر لوالدي.."

قاطعته بسرعة..

"وهل أمرك بالزواج من ابنة عمك؟"..

هز رأسه بعجز يحاول أن يجعلها تستوعب الموقف..

"إنها العادات يا عزيزتي.. ابنة عمي تُعَد نخطيبة لي منذ نعومة أظافارها.. ولا يمكن أن أرفض الاقتران بها.. هي فتاة طيبة لم تؤذني بشيء.. ولا أرضى لها الألم"..

هنا هتفت بغل..

"وهل ترضاه لي أنا؟!"

تحرك من خلف مكتبه ليتأكد من احكام غلق الباب ثم استند عليه مغمضاً عينيه لوهلة قبل أن يتحدث..

"ناريمان.. أنا أحمل لكِ مشاعر أقوى مما يمكنني التعبير عنه.. لن أنكر ذلك.. لكنه خطأ يا عزيزتي.. أنا رجل متزوج.."

قاطعته بلهفة وقد رقص قلبها لسماعه التصريح بالحب..

"لست متزوج.. أنت تعد خاطباً فقط"

هز رأسه برفض..

"لن أهجر ابنة عمي.. لن أحملها ذلك العار"..

هتفت بتعجب..

"عار!!.. أي عار؟!"..

حاول أن يجعلها تتفهم الموقف..

"لا يمكن أن أهجر ابنة عمي من أجل امرأة غريبة!"..

ابتلعت وصفه لها بالغريبة بمرارة وهي تنهض من فوق مقعدها لتواجهه وهي تتمسك بذراعيه..

"أنت لا تهجرها.. فقط تتبع دقات قلبك"

رفض كلماتها بإصرار...

"هذا ليس من حقي.. تلك المشاعر ليست من حقنا"..

تأكدت من جديته ولم يكن لديها أي نية للاستغناء عنه.. فتصرفت بتهور واندفاع ندمت عليه باقي عمرها وهي تعرض عليه ما لم تفكر لحظة بعرضه على أي رجل..

"حسناً.. لا تتخلى عن ابنة عمك.. أنا...

توقفت لحظات والحروف ترفض الخروج من بين شفتيها.. فما تفكر بعرضه عليه لهو أصعب شيء على امرأة.. ولكن وكأنه علم ما تنوي قوله فهز رأسه رافضاً..

"أنا لا أصلح كرجل لامرأتين.. لا أستطيع إلحاق ذلك الظلم بكما معاً."

ارتعد صوتها وهي تتساءل..

"لكن.. ما الذي يعنيه هذا؟!"..

زفر بمرارة..

"لو تزوجت منكِ سأكون ظالماً, عزيزتي..

فمشاعري نحوك ستجعلني أظلم ابنة عمي..

أو قد يحدث العكس.. واحساسي بالذنب

نحوها قد يدفعني لظلمك"

هزت رأسها رفضاً لكلماته بينما تابع

بعقلانية مريرة..

"لنتحمل ذلك الألم الطاحن الآن علّه

يخف مع الزمن.. ففي النهاية نحن مَن

اخطأنا"..

صرخت بغل..

"أنا لم أخطئ.. لم أخطئ.. لقد أحببتك"

غمغم بألم..

"أنا آسف.. ليتني أستطيع شيئاً"..

رفعت عينيها بتساؤل..

"هل تعني ما تقول بالفعل؟!"

همس بحزن..

"وداعاً عزيزتي.. أتمنى لكِ كل التوفيق في حياتك"

ولم تنتظر سماع المزيد.. خرجت من توها لتوافق بعدها على الزواج من أول رجل مناسب تقدم لها.. والحق أنه لم يكن فقط مناسباً.. فـ "رحمي كاظم".. كان استجابة لدعواتها بكل ما يمتلكه من أموال ونفوذ ساعدها على الوصول السريع.. والانتشار الأسرع بالطبقة المخملية.. وهي بذكائها وجمالها ساعدته هو أيضاً.. لتتنامى وتتضاعف ثروته.. ويلمع اسمه كأحد رجال المال المعدودين بالبلد.. وتتحول هي إلى "ناريمان كاظم".. سيدة الأعمال والنشر

المعروفة في أوساط المال والثقافة على حد سواء..

ولكن لم تنتهِ حكايتها بعد.. فالأشجان والآلام لا تدعها تهنئ بنجاح حتى لو كان خاوياً من دفء المشاعر, فكانت مفاجآتها الصادمة عندما وجدت زوجها يتعاقد مع شركة للحراسات الخاصة.. وكان بهاء هو صاحبها ومديرها والحارس الخاص الذي تم تعيينه لها... وقتها ظنت بعجرفة أن القدر وضعه بطريقها ليكون أحد موظفيها.. يراها مع زوجها وابنتها على الدوام.. بينما يحترق من داخله لرفضه لها يوماً.. وتخليه عن حبها...

(3)

في الصباح التالي وعند خروج لمى من البوابة الفخمة للفيلا التي تسكنها فوجئت بباسل يتكأ على سيارته الفارهة وهو يمسك بفردتي حذائها بأصبعيه السبابة والوسطى ويرفعهما عالياً:

ـ اعتقدت أنكِ قد تحتاجين لهما!

تجمدت لمى تماماً وأخذت تبادله نظراته الجريئة فهي برغم كل شيء لم تتوقع أن تجده أمامها في ذلك الوقت المبكر من الصباح.. إنها محاصرة.. هذا هو شعورها في تلك اللحظة.. لقد ظلت مستيقظة أغلب ساعات الليل تحاول الوصول إلى قرار

حاسم.. هل تستمر في تلك اللعبة أم تنهيها في مهدها؟!..

كانت مغامرة غير محسوبة, بل تكاد تكون مخاطرة.. فباسل لم يكن رجلاً سهلاً أو شاب بسيط يسهل التلاعب به بابتسامة مغوية أو وعد ضمني لم تكن تنوي أبداً الوفاء به.. اللعب مع باسل مختار قد يكون مدمراً بقدر ما هو مثيراً..

اقتربت منه وهي تسحب حذائها من بين أصابعه وشكرته ببساطة:

ـ شكراً لك..

حسمت أمرها.. فهو ليس بالضحية في تلك اللعبة.. ولكنه سيكون!!..

رمقته بنظرة متسائلة:

ـ والآن كيف تقترح أن أذهب إلى عملي؟!.. لا أظن أنك حولت حذائي ليكون بمحرك وأجنحة!!

غمزها وهو يشير لسيارته:

ـ أنا وسيارتي في خدمتك... أرجو أن تفي بالغرض.

هزت كتفيها وهي تدخل سيارته لتستقر على الأريكة الخلفية براحة تامة:

ـ سيد باسل.. أنت تسببت في خسارتي لوسيلة انتقالي, لذا لا تبدو هكذا وكأنك تتفضل عليّ بـ

قاطع كلماتها المتواصلة:

ـ لمى.. هل يجب أن نتشاجر في كل مرة نلتقي؟

رمقته لبرهة ثم سألته:

- وهل سنلتقي مرة أخرى؟

مد يده ليضغط على كفها المستريح على ركبتها ويرفعه إلى شفتيه مقبلاً:

- أنا أكثر من راغب في رؤيتك!

سحبت يدها منه ببطء وهي تطلق ضحكة عالية:

- يا الهي.. هل تعتقد حقاً أنني قد أتأثر بتلك الأسطوانات المهترئة!!

غمزها بعبث:

- لا يمكن لوم الرجل على المحاولة!

تعالت ضحكاتها مرة أخرى:

- أنت لا تصدق فعلاً!!

أجابها بسرعة:

ـ لماذا؟.. أنا رجل صادق وصريح, وأراكِ امرأة جميلة, بل رائعة الجمال وأرغب جدياً في معرفتك عن قرب.

ضحكت بخفة:

ـ أشكرك على المجاملة الرقيقة.

غمز بسعادة:

ـ آه.. ليست مجاملة, إنها الحقيقة ولكني سعيد لتقبلك كلماتي البسيطة.. والآن ما رأيك أن نذهب لنتناول افطارنا سوياً؟..

هزت رأسها رافضة:

ـ لقد تناولت إفطاري بالفعل..

خبط كفيه ببعض وهو يتصنع الأسف:

ـ لكني جائع جداً..

كانت نظراته تخبر بما لم توضح الكلمات..

فقطبت حاجبيها بغضب:

- سيد باسل..

سحب يدها مرة أخرى ليقبلها:

- باسل.. فقط.. لا داعي للألقاب..

همست لمى اسمه بهيام مصطنع لم ينتبه لنبرة التهكم الخفية به:

- بـــــاسل..

همس وعينيه ذائبة بعينيها:

- أمممممم...

رفعت أحد حاجبيها بمكر وهي تقفز من السيارة:

- شكراً على التوصيلة!

ثم خرجت مسرعة من السيارة بدون أن تلتفت خلفها.. وأخذت عيناه تتابعانها منتظراً أن تلتفت له ولو مرة واحدة.. ولكنها أكملت طريقها لداخل المجلة وهي تقاوم كل شعور داخلها بالالتفات نحوه...

تمتم باسل لنفسه:

"ولا حتى التفاتة واحدة.. تلعبين دور صعبة المنال.. حسناً.. ستكون لعبة ممتعة أيتها المثيرة"

ثم أمر سائقه:

ـ انطلق.. فيما وقوفك إلى الآن!

ما أن جلست لمى إلى مكتبها حتى رن هاتفها وبالطبع كانت ناريمان على الخط:

- يبدو أنكِ قررتِ متابعة اللعب!

أجابتها لمى بثقة:

- لم أستطع أن أضيع تخطيطك المحكم هباءً!

ردت ناريمان بعملية:

- أريد تقريراً مفصلاً عن كل ما يجري.

تصلبت لمى للحظة ثم أجابت بجمود:

- أعتقد أن جاسوسك سيمدك بكل ما تحتاجين.

- جاسوسي!!

- نعم.. من أبلغك أنني كنت برفقة باسل أمس.. واليوم أيضاً.. أعتقد أنه السائق.. أليس كذلك؟

أجابتها ناريمان باقتضاب:

ـ فتاة ذكية.

ثم أغلقت الخط, ليدق جرس الهاتف مرة أخرى.. فتحت لمى الخط وهي تجيب بسأم معتقدة أن ناريمان تتصل بها مرة أخرى:

ـ ماذا الآن؟

أتاها صوته الرجولي العابث:

ـ من أغضبك يا حلوتي؟

ـ لا تناديني هكذا.. ومن أين أتيت برقم هاتفي؟!

ـ تؤ.. تؤ .. تؤ.. ظننتك أذكى من هذا!

تنهدت بيأس:

ـ ماذا تريد؟

ـ لم نتفق على موعد عودتك.. في أي وقت تغادرين عملك؟

شردت لمى لحظات.. وقررت أن تكون البادئة:

ـ أردت فقط أن تستفهم عن موعد مغادرتي؟!

ثم أطلقت ضحكة رقيقة:

ـ وأنا من ظننت أنك ستدعونني للغذاء!!

بدا أنه بوغت من إجابتها فهي رفضت تناول الإفطار وتركته منذ عدة دقائق بدون أن تلتفت خلفها, فسألها بريبة:

ـ هل توافقين على دعوة للغذاء؟

صمتت عدة ثوانٍ ثم أجابته:

ـ امممممممم.. لكنني لا أتناول الغذاء أبداً

صاح بدهشة:

- ماذاااا

أطلقت ضحكة عالية وهي تجيبه:

- لكني لا أمانع في دعوة للعشاء..
سأنتظرك أمام محل سكني في الثامنة..
وأفضل مكاناً راقياً..

ثم أغلقت الخط والهاتف أيضاً وتفرغت
للاهتمام بعملها محاولة إبعاد باسل وناريمان
وشيرويت وكل ما يتعلق بهم من ذهنها...

****

اتخذ سائق السيارة مكانه أمام المقود
وجلس بهاء بجواره في هدوء صامت ينتظر
قرار شيرويت الأخير بخصوص وجهتهم..
فحالتها النفسية تبدو غير مستقرة منذ تركت
منزلها لتدخل للمقعد الخلفي في سيارتها
وألقت برأسها للخلف مغمضة عينيها
وأخبرت بهاء برقة أن يتحرك بالسيارة في

أي اتجاه.. فقط هي تريد أن تبتعد عن كل شيء..

مكالمة تليفونية من والدتها تخبرها بتقرير عن ذهاب باسل إلى بيت لمى وتوصيلها للمجلة سببت لها غضباً شديداً جعلها تلتقط أول ما وصل ليدها وترتديه سريعاً.. أرادت الذهاب إلى جدتها ملك فهي الوحيدة التي تمنحها الراحة والدعم لكل قراراتها حتى ولو أخطأت.. لكن نظرة سريعة للساعة نبهتها لعدم مغادرة داغر المنزل إلى الشركة بعد.. وهي بكل تأكيد لا تريد مقابلته..

ليس بعد رفضها القاطع للارتباط به.. رغم أن ذلك أغضب جدتها ملك ولكنها لم تستطع القبول, ليس بسبب تحامل والدتها على داغر ووالدته, لن تكون منافقة وترجع سبب رفضها طاعة لوالدتها.. فسبب رفضها الحقيقي هو داغر نفسه.. لن تسمح له

بالتحكم بها، ولن تسمح لنفسها بالزواج منه أبداً.. لن ينال ما رفضه قديماً بعنجهية وصلف كلفاها الكثير..

ورغماً عن إرادتها بدأت تغزوها ذكرياتها معه مستولية على أفكارها لتغرق بها وتعود إلى أيام مراهقتها البريئة.. حيث كانت فتاة صغيرة مكتنزة لا تتمتع بذلك القد الفتان كما هي الآن.. ولا ذلك الطول الفارع الذي يجعلها أشبه بعارضات الأزياء.. كانت كالكعكة الشهية... بجسدها المكتنز وبشرتها البيضاء وخصلاتها الطويلة الشقراء.. وبكل جنون مراهقتها وقعت في حب ابن عمها الشاب..

كان "داغر كاظم" هو المسئول عن أعمال العائلة مع عمه "رحمي".. ولكن العم لسبب ما قرر فصل أعماله عن العائلة ومشاركة

إدارتها مع ناريمان زوجته.. ورغم قراره ذاك فهو لم يستطع الانفصال عن منزل العائلة.. فوالدته السيدة "ملك كاظم" لم تسمح أبداً بفرط عقد عائلتها حتى لو فرقتهم الأعمال..

لذا فقد نشأت شيرويت الصغيرة بجوار ابن عمها داغر تلحقه كظلٍ ثانٍ له برغم السنوات التسع التي تفصل بينهما وبرغم انهماك داغر في شركات العائلة بعد وفاة والده, إلا أن عمق علاقتها به لم يتأثر ولا حتى بالعداوة الواضحة التي تظهرها والدتها لوالدته والعداء الذي أصبح سافراً بعد وفاة والده ووقتها لم تعلم له شيرويت سبباً..

حادثان كان لهما أثراً عظيماً على شيرويت ذات الخمسة عشر عاماً آنذاك.. وفاة والدها المفاجئة.. وما تبع ذلك من إحساس قاتل

ومذل باليتم.. حتى وإن كان تواجده في حياتها شبه معدوم ولكنه يبقى أب.. سند ودعامة لا يمكن تعويضها.. وهي لم تدرك ذلك إلا بالطريقة الصعبة.. فبعدما حاولت استجداء المواساة من داغر واستبداله بصورة أب وداعم لها فوجئت بالصدمة الثانية التي أفاقتها من طفولتها لتشعرها بآلام قلب مبتدئ بأبجديات عشق لا يفقه حل رموزها.. كان زواج داغر..

ليلة زفافه وقفت بركن قصي ودمعة معلقة بأهدابها تأبى الهطول بكبرياء ورثته من أمها.. وقلب عاشق ينعي حزنه علمت بعدها أنها ورثته من أبيها.. رمقتها أمها لحظتها بنظرة غامضة وبدا في عمق عينيها حزن حي قاتل قبل أن تجذبها من ذراعها هامسة بشراسة..

"إياكِ وعشق مَن ليس لكِ"...

لم تفهم حزن أمها ولا شراستها.. ولكنها عملت بنصيحتها طائعة فانزوت بعيداً تلعق جراح قلبها الفتيّ.. وابتعدت عن الجميع تركز في دراستها وتعتكف في غرفتها.. حتى تزلزل عالمها مرة أخرى بخبر انفصاله عن زوجته..

شعرت بأن القدر يرسم لها طريقاً ليخبرها أن قلبها ما زال يمتلك فرصة عشق.. فها هو معشوقه عاد حراً.. وها هي الفرصة أمامها متاحة لتنال ما تريد.. فهي بالنهاية ابنة ناريمان.. تعرف طريقها.. وتحدد هدفها وتخطط لتناله..

وهي قررت أن تتحرك.. وكانت فرصتها يوم ميلادها السادس عشر.. يومها ارتدت ثوباً أنثوياً أهدته لها ناريمان ووقفت تتأمل ملامحها أمام مرآتها الكبيرة.. أعجبتها صورة

الفتاة الرشيقة التي تعكسها مرآتها, فالكعكة المكتنزة تحولت إلى فراشة هيفاء القد واستطالت خصلاتها الشقراء لتتعدى خصرها بعدة إنشات.. هزت رأسها بشقاوة لتتناثر تلك الخصلات ويتعلق البعض منها ببشرة وجهها وعنقها الصافية والتي ظهر لونها الفاتح متناقضاً مع لون الثوب الأزرق الداكن ذو الفتحة المربعة والواسعة لتظهر عظمتي ترقوتيها الرقيقتين.. سحبت طلاء شفاه وردي اللون لتكتمل صورتها الناعمة وتوجهت إلى غرفة المكتب والتي أصبحت المقر الدائم لداغر في تلك الأيام.. عدة طرقات خافتة على باب المكتب دخلت بعدهم إلى الغرفة برقة وتوجهت نحو ابن عمها المنهمك في أعماله خلف المكتب لتحييه بصوت ناعم:

ـ مساء الخير.. هل ما زلت تعمل إلى الآن؟..

رفع داغر نظراته إليها.. لتتسع عيناه لوهلة بسيطة.. فقد كانت طلتها مبهرة بكل المقاييس.. وبدا أنه يلحظ فتنة ابنة عمه الصغيرة للمرة الأولى..

نهض من خلف مكتبه ومد يده ليمسك بكفها ويديرها بخفة فالتفت طيات ثوبها الرقيقة حولها مما دفعه إلى الابتسام هامساً:

ـ تبدين فاتنة يا صغيرتي..

التفتت له وهي تسأل بلهفة:

ـ حقاً!!.. هل تراني جميلة؟..

ارتبك قليلاً ثم داعب وجنتها بخفة:

- بالطبع.. أنتِ صغيرتي الرائعة على الدوام..

رمقته بنظرات شغوفة مما سبب له مزيداً من الارتباك والتوتر.. فتحرك نحو درج مكتبه ليخرج علبة مخملية متوسطة الحجم ويقدمها لها مهنئاً:

- عيد ميلاد سعيد يا طفلتي..

همست بحنق:

- لست طفلة.. أنا اليوم بلغت السادسة عشر..

ضحك برقة وهو يسألها:

- لن تفتحي هديتك؟..

فتحت العلبة لتجد بداخلها قلادة من الذهب الأبيض المجدول بفصوص صغيرة من الماس ويتدلى بمنتصفها قلب ماسي

براق تحيطه عدة فصوص صغيرة من الماس الأزرق...

ابتسمت شيرويت بسعادة وهي تهمس له:

- إنها رائعة.. شكراً لك داغر..

والتفتت لتوليه ظهرها وهي تلف عنقها بالقلادة:

- أغلقها لي من فضلك..

امتدت أنامله ليغلق قفل القلادة بسرعة ومهارة وقبل أن يبتعد لفت شيرويت بجسدها لتحيط عنقه بذراعيها هامسة:

- لقد أحببت هديتك.. يكفي أنها منك..

وارتفعت على أصابع قدميها لتفاجئه بقبلة حارة على شفتيه.. جمد للحظات تحت ضغط شفتيها فهو وإن لاحظ افتتانها الخفي به إلا أنه لم يتوقع تلك الجرأة منها.. للحظة كادت

رجولته أن تستجيب لدفء ونعومة شفتيها

إلا أنه سرعان ما تدراك مشاعره ليبعدها عنه بعنف هاتفاً:

- شيرويت!. هل جننتِ؟..

وضعت يديها على وجهها تخفي ارتباكها وهلعها مما قامت به وهمست:

- أنا آسفة.. أنا.. أنت..

قاطعها بصرامة:

- اذهبي الآن إلى غرفتك.. ولا تكرري ما فعلتِ..

خرجت من أمامه مسرعة بل كانت تركض بالفعل لتصل إلى غرفتها.. وتمنح وسادتها أنهاراً من الدموع.. لقد نبذها.. أبعدها عنه.. والأصعب أنه هجر حفل

ميلادها وتعذر بأعماله تاركاً المنزل لعدة أيام..

لكنها لم ترتدع.. ليتها فعلت... فقط لو يمكنها إعادة عقارب الزمن للخلف.. لكانت قيدت نفسها بفراشها قبل أن تحاول اغواءه مرة ثانية..

جاء صوت بهاء لينقذها من ذكرى مريرة كادت أن تغرق بها:

ـ آنسة شيرويت.. نحن ندور بلا وجهة منذ مدة.. هل تريدين الذهاب إلى مكان محدد؟..

التفتت له ترمش عدة مرات محاولة ازالة نظرات داغر من عقلها واستيعاب ما يقوله لها بهاء.. وأخيراً أجابته:

ـ فلنذهب إلى مغسلة السيارات.. أريد أن أريح أعصابي قليلاً..

ابتسم بهاء بمودة وهو يتذكر عشق سيدته الصغيرة للجلوس بالسيارة بينما يتم غسلها من الخارج ومرورها تحت سيل المياه بمغسلة السيارات..

****

لحظت عينا باسل وهو يتأمل لمى التي أطلقت شعرها حراً في خصلات متموجة ليحيط بوجهها ويبرز فتنته, فهي اختارت له زينة خفيفة جداً, ولكنها أبرزت عمق عينيها الدخانيتين المتسعتين بفعل الكحل الأسود, وشفتيها المكتزتين بلونهما الوردي الغني.. ولكن ما أطار عقله حقاً ثوبها المذهل..

فهي اختارت فستاناً ذهبياً تنتشر به زهيرات صغيرة وردية اللون.. كان الثوب

يتعلق بكتفيها بحمالات رفيعة ويحتضن صدرها لينتهي بفتحة عنق واسعة مثلثة الشكل.. ويلتف حول خصرها بحزام رقيق من خرزات ذهبية لينساب الثوب حول ساقيها وينتهي طوله قبل ركبتيها بمسافة ليست بالقصيرة, فيظهرها أطول مما تبدو.. وقد ساهم في إظهار جمال ساقيها الصندل الذهبي ذو الكعب الشاهق فالتصقت عينيّ باسل بهما وكأنه لم يرَ ساقي امرأة من قبل!!..

حيته بخفة:

- مساء الخير..

لم يجبها وبدا أنه غافلاً عن صوتها بتأمل مظهرها الذي فاجأه... فهو توقع مظهر متحفظ ومتأنق تجيده معظم السيدات اللاتي يعرفهن حتى لو كان مظهر فارغ

ولكنه ضروري للعب دور "صعبة المنال", ولكن تلك الهالة من الفتنة والجمال أبهرته بشدة... خاصة أنها تناقض المظهر الرقيق الهادئ والمتحفظ لخطيبته الفاتنة..

استغرق في تأملاته وبدا أنه نسى أن يبادلها التحية فزفرت بحنق:

- لماذا تفعل هذا كلما التقينا؟..

رفع أحد حاجبيه وهو يغازلها بمكر:

- أفعل ماذا؟!!.. أتأملك!!.. أنتِ تعلمين أنكِ جميلة, وتعلمين أن ارتدائك ذلك الثوب سيجعلني أحدق بكِ.. هذا ما تريدينه أليس كذلك؟!

هزت كتفيها باستخفاف وهي تدلف إلى المقعد الخلفي للسيارة:

- فكر كما شئت!

سألها بتعجب بعد أن استقر بجانبها في السيارة:

- حقًا!!.. ألا تهتمين!!..

مطت شفتيها بلامبالاة:

- من الصعب تغيير ما رسخ بعقول بعض البشر.. أنت وغيرك ترون أنني أرتدي ملابسي لأستمتع بإعجاب الرجال.. حسنًا.. فليكن..

لف بجسده ليواجهها:

- ولكنكِ لا تفعلين.. ليس هدفك البحث عن نظرات الإعجاب..

هزت كتفيها ولم تجبه.. فعاد يسألها بتصميم وهو يرفع ذقنها بإبهامه:

- لم ارتديتِ هذا الثوب؟!

فكرت لمى في نفسها..

"هذا أصعب مما تخيلت.. إنه يستجوبني!!..

كما يبدو أن الثوب قد أثار غضبه عوضاً

عن غوايته!!"

رفعت عينيها إليه.. ووجدته ما زال ينتظر

إجابة على سؤاله.. بم تجب هذا الأحمق؟!..

هل تخبره أنها قررت منذ زمن ألا تكون

"المتزمتة وردية الوجنتين".. هاه.. نعم فذلك

اللقب الذي أطلقه عادل عليها.. وهي لن

تعود لزمن عادل أبداً.. أبداً..

هزت رأسها لتعود لواقعها وأسبلت رموشها

حتى تخفي أفكارها عنه وهي تسأله:

- ألم يعجبك الثوب؟

ترك ذقنها وهو يضحك:

- أعجبني بالطبع.. إنه سيعجب أغلب الرجال..

- إذاً ما المشكلة؟!

- المشكلة أنني لا أفهم.. وهذا يزعجني بشدة!

- ما هذا الذي لا تفهمه؟..

- أنتِ.. لا أفهمك.. ولكنني سأفعل..

انطلقت ضحكتها وهي تسأله:

- لم تبدو عبارتك الأخيرة كتهديد؟..

رفع يدها إلى شفتيه وهو يقبلها برقة متمتماً:

- بل وعد..

ارتجف جسدها قليلاً من الحسية التي غلفت صوته ولكنها حاولت تمالك نفسها وهي تسأله في محاولة لتغيير الموضوع:

- إلى أين سنذهب؟

أجابها بغموض:

- مفاجأة..

علت وتيرة دقات قلبها, ولكنها لم تظهر له خوفها الدفين, يجب أن تظل متبنية شخصية المرأة المحنكة التي لا تهتم, ولكن ماذا لو استعجل الأمور وقرر اصطحابها إلى مكان خاص.. شقته مثلاً.. خافت أن يكون الثوب أوحى إليه بأكثر مما أرادت.. إنها لم ترد أبداً الإيحاء بأنها سهلة, فقط أنها جميلة.. واثقة.. ولا تخجل من جمالها ولا تريد إخفائه..

فوجئت بتوقف السيارة ونظراته المتأملة لها وكأنه يريد الدخول لرأسها والاستيلاء على أفكارها, فأدركت أنه يراقبها من فترة...

سألته بهدوء:

- هل وصلنا؟

أومأ لها بالإيجاب.. التفتت لترى المكان الذي توقفت به السيارة.. وهي تخشى مواجهة دعوة غير مرغوبة منه إلى شقته.. لكنها فوجئت بباخرة سياحية فاخرة بأضوائها المتلألئة وحجمها المهيب ترسو بوداعة بجوار كورنيش النيل..

رمقته متسائلة:

- باخرة سياحية!!... أنت تحب الأشياء المبهرجة بالفعل!

أمسك بيدها وهو يساعدها على الخروج من السيارة:

- إنها أقل من أن تليق بكِ.

سألته بريبة:

- ماذا تعني؟..

سحب يدها ليقبلها للمرة الألف:

- أعني أن الباخرة وصاحبها تحت أمرك الليلة..

سألته بهلع:

- هل تعني...؟...

سحبها من يدها حتى يساعدها على الصعود إلى متن الباخرة التي سطعت أضوائها كأنها تسخر منها.. فهو لم يبتذل نفسه باصطحابها إلى شقته الخالية ولكنه اتبع أسلوب الإبهار.. بأن أخلى لها باخرته بأكملها!!..

رن بداخلها سؤال ساخر:

"من يحاول غواية من!!"..

(4)

"من يحاول غواية من!!"..

أخذت تحدث نفسها..

"لمى.. أفيقي.. أنتِ لن تسقطي في فخ الإبهار المادي.. إنه يحاول أن يشوش عقلك بأمواله حتى تسقطي كالثمرة الناضجة.. انتبهي.. لا يجب أن تكوني كأي امرأة... يتدلى فكك إعجاباً وذهولاً بما فعل.. ردي له ضربته وبسرعة"

تجولت عيناها سريعاً حولها فلمحت بتلك الجولة السريعة نخامة وأناقة تلك الباخرة.. لقد أخلاها بالفعل تلك الليلة.. فلابد أنها في سائر الليالي الأخرى تضج بالزبائن.. من أثرياء البلد من يسعون إلى الخصوصية

والابتعاد عن العيون.. ولكنه الآن زاد خصوصية على الخصوصية المفترضة..

أخذت تشحذ ذهنها بحثاً عن رد مناسب عن مفاجأته لها:

- ألا تمتلك يختاً أو شيئاً من هذا القبيل؟!

ضاقت عيناه وهو يسألها:

- نعم.. بالطبع.. لماذا؟..

- أعتقد أنه كان أفضل من أن تخلي الباخرة بأكملها من أجل وجبة عشاء..

هز كتفيه بغطرسة:

- إنها لي لأفعل بها ما أريد..

- حسناً.. بالطبع رصيدك المصرفي يمكنه تحمل اقتطاع إيراد تلك الباخرة لـــــ ليلة واحدة..

وضع يده على قلبه يصطنع التأثر:

ـ اوتششش.. هل يعني هذا أنكِ لم تقدري مبادرتي الرومانسية البسيطة!

ـ البسيطة.. هاه!!.. حسناً..

وأردفت بطريقة مسرحية وهي تنحني له ساخرةً:

ـ شكراً لك سيدي اللورد على بادرتك الرومانسية, لا شك أنها كلفتك الكثير.. أشعر بالإطراء والغرور أنك قمت بكل هذا من أجلي!!

انطلقت ضحكاته بقوة:

ـ لم أعرف امرأة مثلك قط!!

ضيقت عينيها بتساؤل متحفز:

- وهذا يعني ؟!

أمسك ذقنها برقة:

- اهدئي.. إنه إطراء.. صادق

وأردف بعبثية:

- ليس مثل تعليقك القاسي.!!

أبعدت وجهها عن مرمى يده وهي ترد بواقعية:

- حسناً يا سيد باسل.. أنا لم أتأثر بتلك اللفتة, لأنني أدرك أنك فعلت ذلك هرباً من العيون المتلصصة التي ستبلغ خطيبتك الجميلة عن تفاصيل سهرتك.. وأدرك أن حافظتك المتخمة من الأساس لن تتأثر بإخلاء الباخرة لليلة واحدة, ولكنك بالطبع لم تفكر في العاملين هنا, والذين سيتأثرون حتماً بالنقص الواضح في مدخولهم بسبب

رغبتك في الاختباء وإخفائي عن أعين الجميع..

أظلمت عيناه للحظة وهو يستمع لهجومها الحاد.. وقد تبخرت أي أفكار في ذهنه عن قدرته على التأثير فيها بتلك الحركة المبالغ بها, والتي لم يقم بها من قبل لابهار أي امرأة.. ولكنها امرأة متفردة.. تحدي مثير ونوع جديد لم يختبره من قبل, فها هي تهاجمه بضراوة وتتهمه بالجبن, بل بأنه لا يهتم بالعاملين لديه..

تغاضى عن الرد عن اتهامه بالجبن, فهو لن يناقش تفاصيل علاقته بشيرويت ورد ببرود:

- ليس هناك من داعٍ للقلق على أحوال العاملين لديّ, فهم يتم الاعتناء بهم جيداً,

ولن يضطر أحدهم لدفع ثمن نزواتي المجنونة..

سألته بغضب:

ـ وهل أنا إحدى تلك النزوات؟..

زفر بضيق, إن الأمور تسير بشكل خاطئ.. وما أعتقد أنه به سيسيطر على أفكارها جعلها تنقلب عليه تماماً.. لأول مرة يجد نفسه عاجزاً عن إيجاد طريقة مناسبة للتعامل مع امرأة..

رد باقتضاب:

ـ أنتِ أصعب امرأة تعاملت معها يوماً..

ـ فقط لأنك تسعى لإثبات شيئاً ما.. ربما لو حاولت التعامل بعفوية لوجدت طرق عدة للتفاهم معي..

ـ ما رأيك ببداية جديدة؟..

أخذت تتأمله لثوانٍ عدة... تؤخر عن عمد منحه موافقتها على اقتراحه..

وأخيراً أومأت له بخفة:

ـ على أن نبدأ وفقاً لشروطي أنا.. و..

قاطعها قائلاً:

ـ كل شروطك مجابة!

هزت كتفيها بلامبالاة ثم مدت يدها وهي لتصافحه معبرة عن موافقتها عن اقتراحه:

ـ حسناً.. موافقة.

أمسك يدها وهم برفعها إلى شفتيه ليقبلها كعادته, فسحبتها بحدة:

ـ هذا أول شيء يجب أن تتوقف عنه..

سأل بذهول:

- ماذاااااا.. تقبيل يدك!!

أجابته بحنق:

- نعم.. ولمسي بمناسبة وبدون.. وتحديقك المستمر بي.. هذا أيضاً..

رفع يديه بحركة استسلام ساخرة:

- حسناً.. ولكن..

أوقفته بإشارة من يدها:

- بدون ولكن.. والآن.. أين ذلك العشاء؟.. أنا أتضور جوعاً..

أشار لها لتتقدمه وهو يدلها على المكان الذي سيتناولان فيه عشائهما وكانت مائدة لشخصين تطل على النيل مباشرة, ولكنها في ركن منعزل نوعاً ما, ومضاءة بشمعة صغيرة.. ومغطاة بمفرش أبيض موشى

بخيوط فضية ومنثور عليه أوراق الجوري البيضاء الناعمة..

جلست لمى على مقعدها بعد أن سحبه لها باسل.. ومدت يدها بعفوية لتمسك ورقة من ورقات الورود المنتشرة على المائدة ورفعتها إلى وجنتها لتتلمس نعومتها الهشة.. ثم حركتها بعفوية لتتنشق عبيرها الأخاذ, وأغمضت عينيها للحظة.. لحظة واحدة عادت بها إلى ماضٍ ولى.. وهي تتناول عشاءها مع رجلٍ آخر وفي مكانٍ آخر..

وبالرغم من أن الرجل كان أقل وسامة من باسل, والمكان لا يقارن بتلك الباخرة المبهرة ولكنها كانت سعيدة.. كانت بريئة.. كانت عاشقة..

كلا.. صرخت مؤنبة نفسها.. إنه ماضٍ ولن تسمح بعودته..

فتحت عينيها فجأة, فظهرت فيها تماوجات من مشاعرها المبعثرة والتقت بعينيّ باسل الذي لاحظ على الفور نظرات التشتت والضياع التي تسببت في كسر حالة الافتتان التي غرق فيها وهو يتتبع حركة الوردة على وجنتها..

سألها بقلق:

ـ ماذا حدث الآن؟

راوغته في الإجابة:

ـ ماذا؟

ـ أنتِ.. وشرودك.. وحالة الضياع تلك..

ماذا حدث؟

"اللعنة.. إنه يرى أكثر مما ينبغي"

هذا ما حدثت نفسها به.. ولكن جاءت إجابتها لتحشره في ركن حاول الهروب منه سابقاً تلك الليلة:

ـ أبداً.. فقط أتساءل.. إذا ما كنت أخبرت خطيبتك عن سهرة الليلة؟!!

ارتكز بمرفقيه على المائدة.. وهو ينظر في عينيها مباشرة:

ـ دعينا نتفق على شيء هام.. مثلما وضعتِ شروطك لبداية جديدة, فأنا أيضاً لي شرط واحد.. علاقتي بخطيبتي.. لن تكون ضمن الأمور التي سنناقشها.. أبداً..

أخذت تبادله نظراته.. وكلماته ترن في أذنيها.. وتترك غصة في حلقها..

تشعرها بالرخص والحقارة.. المرأة الأخرى.. تلك ما هي عليه.. كم تكره ذلك..

هل دارت الدوائر لتتحول هي إلى المرأة الأخرى في حياة رجل ما؟.. حسناً.. لقد وافقت على هذا.. ذلك كان الاتفاق.. وعزاؤها الوحيد أن باسل نفسه رجل عابث.. زير نساء وهي لن تتسبب في أي أذى.. حسناً.. قد تتأذى شيرويت قليلاً.. أو كثيراً.. لا يهم.. ولكنها ستتعلم درسها جيداً.. كما أن ذلك العابث يستحق كل ما تخططه ناريمان من أجله.. هل يعتقدها حمقاء لم تلحظ رنين هاتفه المستمر, وإغلاقه للخط في كل مرة.. وأخيراً أجاب بكلمات مقتضبة.. وغمغم بانشغاله باجتماع عمل مهم.. وأغلق هاتفه تماماً.. وهي لم تحتج لكثير من التفكير لتفهم أنه يتحدث مع خطيبته..

حاولت السيطرة على أفكارها لتذكر نفسها بالمهم فعلاً..

"تذكري.. الجائزة الكبرى التي تنتظرك"..

أجابته بعناد:

- أكره وقع كلماتك.. و..

حذرها بحسم:

- لا تذهبي هناك.. دعينا نستكمل سهرتنا بهدوء..

برغم كرهها للانصياع لأمره إلا أنها أدركت أن استمرار ذكر شيرويت لن يكون جيداً, فضميرها بدأ يئن بالفعل.. وهي تحاول جاهدة إقناع نفسها أن ما تفعله هو في صالح شيرويت..

أخذت تعبث بأوراق الجوري المنتشرة على المائدة.. وسألته:

- هل علمت أن الجوري هي زهرتي المفضلة أم أن ذلك مجرد تخمين محظوظ؟

- أخشى أنه مجرد تخمين.. فلم أعتقد للحظة أنكِ قد تفضلين الجوري!

سألته باندهاش:

- ولم؟

اجابها بمجاملة:

- ذلك تقليدي جداً, ولا يناسب امرأة مثلك.

سألته بفضول:

- إذاً أي زهرة تناسبني في اعتقادك؟

صمت قليلاً وكأنه يبحث عن اجابة مناسبة:

- البوفارديا..

سألته بدهشة:

- ماذا؟.. لم أسمع عنها من قبل!

- إنها زهرة جميلة رائحتها تشبه الياسمين ولكنها لا تملك رقته, بل أنها أكثر قوة ونضارة..

- إذاً أنا لا أمتلك رقة الياسمين؟

- بل لا تمتلكين هشاشته..

كادت أن تسأله إن كانت شيرويت زهرة ياسمين هشة, ولكنها تراجعت ليس خوفاً من تحذيره لها ولكن لأنها رفضت أن تضع نفسها في مقارنة مع امرأة أخرى حتى لو كانت تلك المرأة خطيبته الفاتنة!..

عوضاً عن ذلك سألته بفضول:

- لم أظن أنك من هواة الزهور ومعانيها!!

أظلمت ملامحه بتعبيرات أليمة وهو يخبرها:

ـ لقد تعمقت بالقراءة في إحدى فترات حياتي ولفتت الزهور ولغتها انتباهي بشدة فاهتممت بدراستها..

هزت رأسها بعجب وهي تجيبه:

ـ لابد لي من الاعتراف بأنك فاجأتني.. أعتقد أن اهتمامك بالقراءة أكثر إثارة بالنسبة لي من إخلاء سفينتك بأكملها الليلة من أجل عشائنا معاً..

أطلق ضحكة عالية وقد تغير مزاجه الكئيب:

ـ يا الهي!!.. هل تعتقدين أن ما يثير اهتمامي هو جلوسي بداخل خزانة أموالي وأنا أحصي مكاسبي وأرباحي كل يوم؟..

أجابت بمشاكسة:

ـ بالإضافة إلى مغازلة كل مَن ارتدى تنورة وحذاء عال الكعبين...

قهقه بصوت عالٍ وهو يجاريها:

- أذكر أنني غازلت فاتنة حافية القدمين..

ثم تغيرت نبرته ليتحول للجدية وهو يمد يده ليمسك بأناملها:

- آنستي.. إنني أمتلك داراً للنشر.. ألا يخبرك هذا شيئاً عني؟..

كادت أن تجيبه باجابة ساخرة, ولكنها توقفت.. فيبدو أنه يحمل بداخل أعماقه أكثر بكثير مما ظنت أو مما صورته لها ناريمان..

وجدت نفسها تسأله وهي ترغب بالفعل في معرفة أبعاد ذلك الرجل ذو المظهر العابث.. ولكنها أدركت أنه مظهر للعرض فقط.. كمظهرها المغري بملابسها وتصرفاتها

الجريئة.. فقط إطار مخادع يضم لوحة متماوجة المعاني والأفكار..

انطلق منها السؤال قبل أن تستطع منع نفسها, فقد شغلها طوال السهرة:

- إذاً.. أنت لا تقود سيارتك أبداً؟..

فوجئت بتصلب ملامحه كلها.. وبقبضتيه تتكوران في استعداد مباشر للكم أحد ما..

وأغمض عينيه بألم كأنه يحاول الهروب من ذكرى ما.. ثم رد عليها باقتضاب:

- كلا.. أنا لا أفعل.

أدركت لمى بحاستها الصحفية أن باسل يخفي الكثير وراء تلك الاجابة المقتضبة.. وان كان ذكر شيرويت يزعجهما معاً, فإنه من الواضح أن موضوع قيادته لسيارته يزعجه هو فقط.. وهي تريد إجابة واضحة..

ورفضت الإصغاء للصوت الخافت الذي يخبرها أنها تريد أيضاً التخلص من السائق ـجاسوس ناريمانـ والذي ينقل لها تطورات الوضع أول بأول.. فكررت السؤال:

ـ لماذا؟..

ومضت نظرات تحذيرية في عينيه وهو يرد باختصار:

ـ وجود سائق من الأمور التي تتناسب مع مظهري العام ووضعي في المجتمع.

رمقته بنظرة غير مصدقة:

ـ حقاً!!!.. أنا لا أصدق ذلك.

سألها من تحت أسنانه:

ـ لماذا؟..

ارتكزت بمرفقيها على المائدة وهي تجمع يديها معاً وتشير إليه بسبابتها:

ـ أنت تميل إلى أخذ دور القائد.. المهاجم.. لقد خلقت لتقود لا لأن تجلس بالمقعد الخلفي وتترك آخر يتولى القيادة.

ظهرت على ملامحه ما يشبه ابتسامة:

ـ أخيراً حصلت منكِ على إطراء ما.

ابتسمت هي الأخرى وسألته مجدداً:

ـ ألن تخبرني بالحقيقة؟..

منعه وصول النادل من الرد فأملاه باسل طلباتهما, وبعدها لاحظ إمارات الامتعاض تعلو وجهها بوضوح فتنهد قائلاً:

ـ أعلم أنكِ لا تحبذين أن أختار عنكِ.. آسف على ذلك.. اعتقد أنه حكم العادة..

ظهرت على الفور نظرات غاضبة تملأ عينيها, وصرحت له من بين أسنانها:

ـ هلا توقفت عن معاملتي كواحدة من نسائك العديمات العقل..

ـ لسن عديمات العقل.. كما أنني متأكد أنكِ ستعجبين بما طلبته لكِ.. لقد أمرت بإعداد ألذ مجموعة مأكولات بحرية من أجلك..

فأنا أعلم أن سكان الإسكندرية من عشاق تلك كل ما هو بحري..

أدركت بسهولة محاولته لمفاجآتها مرة أخرى بإخبارها أنه يعلم كل شيء عنها.. حسناً ليس كل شيء... هي متأكدة من ذلك..

سألته بخفة:

ـ عجباً.. لم أظن أنك ممن يعتقدون بالمسلمات من الأمور!!

سألها بخيبة أمل:

ـ ألا تحبين المأكولات البحرية؟!!

كان مظهره كطفل صغير أصيب بخيبة أمل, لم تدرِ لم شعرت بالشفقة عليه.. ولم ترد أن تخذله, وبرغم عدم استساغتها للمأكولات البحرية إلا أنها أجابته بهدوء:

ـ أحبها.. بالطبع.. ولكن هل قمت بتحريات عن حياتي السابقة...

ـ حسناً.. أنا فقط علمت أنكِ من سكان الإسكندرية, ولكني لم أعلم لم تركتها وجئتِ إلى القاهرة... أستطيع الاستمرار في التنقيب, ولكني أرغب في سماع الأسباب منكِ.

غلب الحزن على ملامحها وأخفضت رأسها قليلاً ثم أجابته:

ـ جئت بحثاً عن الشهرة والنجاح.

وبنبرة أقل وتيرة:

ـ بحثاً عن الذات..

التقطت إذناه الجملة الأخيرة.. فظهرت على الفور علامات التعجب في عينيه مما دفع لمى محاولة إلهائه, , بل في محاولة منها للهروب من ذكريات قاتلة:

ـ ألن تراقصني أم أنك لا تحبذ الرقص, كما لا تحبذ القيادة؟!

ـ ألن نبدأ بتناول الطعام أولاً.. ظننتِ أنكِ ستضورين جوعاً..

هبت من مقعدها على الفور وهي تغمزه:

ـ لكنني الآن أرغب في الرقص..

تحرك من كرسيه على الفور ليضمها بين ذراعيه ويشير للفرقة الموسيقية فتبدأ في عزف لحن بطئ وهادئ.. ثم همس في أذنها:

ـ حلوتي.. سأفعل أي شيء حتى أضمك إلى صدري!!

ضحكت بشقاوة وهي تتحرك على أنغام الموسيقى الهادئة, وتحافظ على مسافة مناسبة بينهما:

ـ أخبرتك ألا تناديني حلوتي!

ضمها إلى صدره بحركة خبيرة وحازمة في نفس الوقت وهو يهمس جوار أذنها:

ـ أنتِ من طلبتِ الرقص.. وأنا من سيحدد الأنغام.

ضحكت برقة وهي تردد:

ـ هكذا.. الذكر الشرقي التقليدي يعود ليتولى الدفة!

رفع حاجبيه بتعجب مزيف:

ـ وهل ترك الدفة من البداية؟!..

رافقت كلماته نظرة رجولية متفحصة ومتأنية لكيانها بأكمله مما دفع بدماء الخجل الممزوجة بالغضب لوجنتيها وهي تهتف:

- ألم نتفق على بداية جديدة منذ دقائق!

سألها ببراءة تقتر خبثاً:

- وماذا فعلت!.. فقط أتأكد من ارتدائك حذاء مناسب للرقص!!

هتفت بحنق:

- حقاً!!

ابتسم بعذوبة وهو يضمها هامساً:

- كم رغبت أن تلبي دعوتي حافية القدمين... فترتفعين بقدميكِ الصغيرتين فوق قدمي لأراقصك هكذا طوال الليل..

لم تستطع كبح ابتسامتها وهي تشاكسه:

ـ حسناً.. أيها العم باسل.. تذكر كلماتك عندما أطالبك بتنفيذها..

رفع حاجباً مغتاظاً:

ـ العم باسل!!.. كنت أفكر بشيء أشبه بسيندريلا وشارل الخاص بها من عثر على حذائها لينالها في النهاية..

دارت معه عدة دورات لتتمتم هامسة بحزن:

ـ لم أعد أليق لدور سيندريلا.. فنسختها الشرقية حمقاء وقعت بغرام وغد منحرف..

هتف بعجب:

ـ ماذا!!!..

رفعت رأسها تسأله وعينيها تلتمعان بستارة فضية من الدموع:

ـ هل تراني أصلح لدور سيندريلا؟..

أدرارها حول نفسها عدة مرات ليتلقاها مرة أخرى ضاغطاً على خصرها بحميمية لم تبدُ منفرة بقدر ما كانت مؤازرة:

ـ أراكِ نوعاً خاصاً من السيندريلات.. أنتِ مختلفة يا لمى.. تمتلكين رقة سيندريلا وتفانيها ولكنكِ تحملين درعاً لامعاً.. أنتِ سيندريلا المقاتلة..

عصرت جفنيها لتمنع دموعاً غادرة وتردد باقرار:

ـ لطالما أحببت مولان أكثر فهي مقاتلة ومتمردة على واقعها.. أما سيندريلا لم أرها أكثر من اتكالية بلا حول ولا قوة, لم تسعَ لنيل ما تريد, فقط انتظرت جنيتها الطيبة لتحقق آمالها.. لم تملك حتى الجرأة لتكشف عن نفسها.. انتظرت كفتاة هادئة وردية

الوجنتين حتى يأتي الأمير ليجدها.. كلا يا سيدي.. سيندريلا ما هي إلا إحدى الوسائل العديدة للسيطرة على عقول الصغيرات واغرائهن بانتظار الوسيم المنقذ بدلاً من النهوض والدفاع عن ما يردن حقاً..

أخذ يتأملها للحظات قبل أن يهز رأسه بأسى:

- كنت أعلم أنكِ من دعاة المساواة.. كيف يمكنني اغوائك الآن!!

رمقته بذهول قبل أن تهتف:

- يا الهي.. أنت.. أنت...

قاطعها بحنكة وهو يحلل ما سمعه منها بدقة:

- أنا.. أنا أريد الفتك بذلك الشارل الأحمق الذي اغتال سيندريلا بأعماقك..

رمشت بصدمة لدقة كلماته ولكنه أكمل

بمغازلة جدية:

- لطالما أعجبتني مولان أنا أيضاً..

وغمزها بعبث بدأت تعتاده.. أو ربما

تستسيغه...

(5)

ظلت لمى مستيقظة طوال تلك الليلة..

تراجع أحداثها وتعيشها مرة أخرى بخيالها..

لقد استمتعت بالعشاء مع باسل.. بالحوار

والتراشق اللفظي بينهما.. بالرقص معه..

أغمضت عينيها لوهلة تعود بذاكرتها لتلك

اللحظة التي ضمها بحزم إلى صدره.. رأسها

بأمان على كتفه وذراعيه تحميها من قسوة

العالم حولهما.. لا تدري كيف شعرت

بالأمان!.. الانتماء والحماية!.. هل من الممكن

أن يمثل ذلك اللاهي العابث بؤرة للأمن

والحماية؟!.. كيف؟!!.. هل جنت أم أنها

فقط منبهرة؟..

مفتونة.. هذا هو الوصف الأمثل لحالتها..

إنها مفتونة وحسب!!..

يجب عليها الاعتراف بهذا, كما يجب عليها الاعتراف بأنها قد استمتعت بالفعل بسهرتها معه.. بكل لحظة فيها.. حتى مراقبتها لترددده وهو ينزلها أمام مسكنها في نهاية السهرة ويتناول يدها برقة وكياسة رجل مهذب.. وبعد أن قبلها متمتماً بشكره لصحبتها الممتعة.. هامساً أمام حاجبها المرتفع امتعاضاً:

- إن تقبيلي ليدك هذه المرة.. تعبيراً عن امتناني لسهرة استمتعت بها حقاً.. ولا يحمل أي معنى آخر..

فما كان منها إلا أن هزت كتفيها بخفة وهي تتمنى له ليلة سعيدة...

ولكن ليلتها هي لم تكن سعيدة ولا حتى مريحة.. فبرغم تمتعها بسهرتها معه إلا أن الإحساس بالذنب يؤرقها.. ولكن ذلك لم

يمنع الصوت الخافت الذي يهمس أنهما لم يتفقا على موعدهما التالي والذي تتحرق شوقاً من أجله..

التفتت لتجد شاشة هاتفها تضيء معلنة عن وصول رسالة..

"سأنتظرك في السابعة أمام منزلك لنتناول الإفطار سوياً"..

أخذت تتأمل شاشة هاتفها لحظات طويلة.. ثم قبلته واحتضنته بجوار قلبها لفترة..

انتبهت فجأة إلى ما فعلته.. فألقته بعيداً وهي تتمتم بغيظ..

"إنه عمل.. عمل فقط.. انتبهي.. وتذكري دائماً إنه عمل"

ألقت رأسها على الوسادة تحاول النوم.. ولكنها كانت موقنة أنه سيكون محور أحلامها..

****

أخذت شيرويت تمضغ شفتيها في غيظ وهي تسمع اعتذار باسل على الهاتف:

ـ آسف يا عزيزتي.. لقد كان اجتماع عمل مهم.. صفقة كبيرة.. وكنت بحاجة ماسة إلى تركيزي كاملاً..

زفرت بقهر وهي تدرك أنه يكذب:

ـ اجتماع عمل!!.. إلى الآن.. هل تعرف كم الساعة؟..

هل يعرف كم الساعة؟!!.. بالطبع إنه يعرف.. يعرف جيداً أنه ظل يفكر بـ لمى

لأكثر من ثلاث ساعات.. يسترجع كل ابتسامة.. ضحكة.. كلمة.. أو حتى لفتة لها بعدما ودعها.. إنه لم يتأثر بأي امرأة هكذا من قبل.. ولا حتى خطيبته الجميلة.. الجميلة جداً والتي تفوق لمى جمالاً ورقة..

شيرويت.. المثالية.. الأنيقة.. الارستقراطية في كل تصرفاتها والتي لن تكون البادئة بطلب الرقص معه أبداً.. وقد تموت قبل أن ترتدي ثوب كالذي ارتدته لمى الليلة..

فهي أيقونة للمثالية في كل شيء..

شيرويت بجمالها كالفاكهة المحفوظة بكثير من السكر.. والذي تمل من نكهتها شديدة الحلاوة ـــ وقد تمتعض أيضاً ـــ ولكن لمى.. إنها شيء آخر.. لها مذاق آخر.. تشبه حبات الفريز الطازج.. تشعر بطعمها اللاذع ولكن لا تملك إلا أن تشتهي المزيد..

لمى خطر.. خطر على سلامه النفسي والعقلي..

يجب عليه إنهاء الأمر.. وفوراً..

حسناً.. أنه لم يتفق معها على موعد جديد.. فهو أدرك أن علاقته بها ستؤثر وبشدة على خطبته وخاصة زفافه أصبح وشيكاً.. إنها ليست إحدى العلاقات العابرة التي تمر به ولم تؤثر يوماً على قراره بخطبة شيرويت..

أقنعه عقله تماماً بذلك.. وودعها عند مسكنها.. وهو موقن من صحة قراره.. ولكنه ما أن عاد إلى منزله بعدما دار في شوارع القاهرة لثلاث ساعات.. آمراً سائقه أن يمر أمام منزلها عدة مرات, محاولاً تخمين أي غرفة تسكنها.. وجد أصابعه تفتح الهاتف ـالذي كان نسي تماماً أنه أغلقهـ وراسلها ليحدد موعداً جديداً وفي الصباح الباكر على بعد بضع ساعات فقط..

- بـــــــاسل.. أين أنت؟!

رمق هاتفه بذهول.. لقد نسيّ أنه كان يحادث شيرويت.. نسيّ تماماً..

أغمض عينيه عدة ثوانٍ يحاول فيها لملمة حاله.. ولكن صوت شيرويت عاد يتردد:

- باســـــــل.. لم لا تجبني؟.. هل غفوت أم ماذا؟..

تنحنح بحرج:

- أنا هنا معكِ يا شيرويت.. ولكنني مرهق قليلاً.. لقد كانت المباحثات مرهقة..

وآسف لأنني أغلقت هاتفي.. أعدك أن أعوضك عن خطأي هذا..

ابتلعت مراراتها لتأكدها من كذبه وسألته:

- وهل تلك الصفقة مهمة لهذه الدرجة؟..

- ومنذ متى تشغلين رأسك الجميل بالأعمال المملة؟..

- حقًا.. وهل أنا جميلة يا باسل؟..

- بالطبع يا عزيزتي.. أنتِ فاتنة.. أنتِ أجمل امرأة رأتها عينايّ

أرادت أن تسأله "وهل أنا أكثر جمالاً منها؟.. أم أنك تغزلت بجمالها هي الأخرى مثلما تفعل معي؟"

رددت بعدم تصديق:

- حقًا!!

لم يعرف بم يجبها فهو لم يقابل امرأة بجمال شيرويت من قبل, ورغم هذا لا تمتلك أي ثقة بنفسها.. تحتاج إلى طمأنة وتعزيز ثقتها بنفسها طوال الوقت..

إن الجمال قوة من قوى الطبيعة.. جمال المرأة إن أحسنت استخدام عقلها معه قادر

على إخضاع أعتى الرجال وتدمير أقوى الممالك.. وشيرويت فائقة الجمال.. ولكنها فاقدة تماماً للثقة بالنفس على العكس من.....

كلا.. يجب أن يوقف لعبة المقارنات هذه.. لقد وقع اختياره على شيرويت وانتهى الأمر.. فهي الأنسب له من كل النواحي الاجتماعية.. والمالية أيضاً..

سمع صوتها يسأله بتردد:

- باسل.. لماذا الصمت؟..

- شيرويت.. عزيزتي.. أنا في غاية الإرهاق.. ولكن هذا لا يمنعني من التغزل بخيوط الشمس في خصلاتك.. ولا فتنة سماء يوليو بعينيكِ..

حقاً باسل!.. أتظن أن كلماتك تلك تعد مغازلة.. أو حتى اطراء.. أنت أشبه بمذيع

نشرة اخبارية يلقي بياناً عن طقس الغد..

تدبرت تنهد نجول لتمنحه رد الفعل الذي يتوقعه:

ـ حسناً يا باسل.. سأتركك لترتاح قليلاً.. ولكن لا تنسى موعدنا غداً

ـ أي موعد ذاك؟..

ـ موعدنا لتناول العشاء غداً.. لقد أخبرتني عنه أمس.

تذكر باسل ذلك الموعد الذي أبرمه معها, ولكن كان ذلك قبل أن يقابل لمى..

ـ آه.. حسناً.. موعدنا غداً مساء.. بالطبع أذكره.. لا تقلقي سأمر عليكِ في الثامنة... تصبحين على خير.

همست بخجل أجادت افتعاله:

ـ ليلة سعيدة.

أغلقت الهاتف لتلتفت إلى والدتها التي بادرتها بالسؤال:

- ماذا أخبرك عن ليلته؟..

أجابت بملل:

- سهرة عمل..

أطلقت ناريمان ضحكة ساخرة:

- عمل!!.. ياله من وغد مخادع.. لقد أخلى لها باخرته.. فقط ليتناولا العشاء.. تخيلي نوع العمل الذي دار بينهما!

هبت شيرويت فجأة وتغاضت عن سؤال أمها عن مصدر معلوماتها, فهي لن تخبرها.. وهتفت بحنق:

ـ وليكن.. هذا لا يثبت شيئاً.. إنها امرأة مثل العديدات اللاتي ارتبط بهن من قبل.. وفي النهاية أنا من سيتزوجها.

أمسكتها ناريمان من كتفيها وهي تهزها بقوة:

ـ كيف تفكرين هكذا؟.. كيف؟.. بل كيف تفكرين هكذا وأنتِ ابنتي؟!..

تملصت شيرويت من يديّ أمها:

ـ أنتِ لن تفهميني أبداً يا أمي.. لا أستطيع تفسير الأمر لكِ.. ولكن الرهان هو أن يقدم لها عرض زواج.. وليس عشاء مجاني.

ألقت عليها أمها نظرة غاضبة فهي تفهمها بشدة.. تفهم رغبتها الانتقامية بسهولة.. ولكن شيرويت لن تستمع لها مهما حاولت.. فخرجت من الغرفة وهي تتمتم:

ـ اللعنة على الحب.. اللعنة..

زفرت شيرويت بغضب وهي تتجه لنافذة غرفتها وتمد يدها لتحرر خصلاتها بعنف محركة رأسها بكل اتجاه حتى تناثر شعرها حولها بجنون.. جنون افتقدت لذته في السنوات الأخيرة وهي تفرض على نفسها نظام وروتين محدد لا تحيد عنه حتى التصقت بها صورة العروس البللورية الباردة التي يتخيلها باسل وهي تراها بوضوح في كل نظرة ولفتة منه, صورة كاذبة رسمتها وشخصية مناقضة لها تماماً تقمصتها وبسهولة على مدار سنوات حتى أن والدتها نفسها خدعت بتلك الشيرويت البلاستيكية عديمة الروح والشخصية, فقط احتفظت بإطار رقيق من حالميتها القديمة تزين به هيئتها الحالية كفتاة هادئة رزينة تتعامل مع نزوات خطيبها بعقل وحكمة..

تباً.. جميعهم حمقى.. هي فعلاً لا تهتم, باسل لا يمثل لها أكثر من إطار أنيق بالضبط كما هي له تماماً, قد تدعي حباً وهياماً أمام ناريمان كنوع من الإغاظة عديمة الفائدة ولكن يبدو أنها أجادت دورها حد الإتقان وسببت هلعاً شديداً لناريمان هانم فدفعها قلق أمومي واهٍ إلى محاولة ابعادها عن باسل..

تباً أمي أنتِ لا تفهمين.. أنا أريد باسل بكل خطاياه فهو يلائمني تماماً.. يلائم كل ما خططت له, باسل بكل هالة الوسامة والعبث والسلطة حوله هو من يمكنه مواجهة داغر.. هو الحاجز الذي يمكنني حبس شيرويت الحقيقية معه وخلفه.. هو من يمكنه تحمل ماضي شيرويت بدون استعراض تمثيلي للفضيلة, فهو لا يخفي

مآثره مع حسناواته وآخرهن تلك الصحفية الأجيرة..

معه لن احتمل الخيانة بانكسار وخفوت..

بل لأنني لا آبه.. باسل لن ولم يؤذني, لم يمس شخصي وبالقطع لم يمزق روحي فداغر تكفل بذلك منذ زمن... زمن بعيد...

كانت قد انتظرت حضوره للفيلا عدة ليالٍ بعد خروجه غاضباً ليلة عيد ميلادها,

ولكنه امتنع عن الحضور للفيلا بعناد شديد واكتفى بالبقاء في شقته الخاصة حتى كان صباح

لم تدرِ هل أيقظتها آشعة الشمس الضعيفة وهي تحارب باقي أستار الليل, أم تلك الخبطات الرتيبة التي وصلت لأذنيها المرهفة والمدربة على التقاط كل همسة تخص داغر, قفزت من فراشها بسرعة لتطالعه وهو

يذرع المسبح عدة مرات بمنتهى النشاط والحيوية..

لمحة خاطفة لساعة الحائط أعقبها تحرك سريع لخزانة ملابسها لتسحب ثوب صيفي واسع وطويل, هي تريد مراضاته.. تحتاج بشدة أن تعود شيري طفلته المدللة كما كانت دائمًا.. مشطت شعرها سريعاً وانطلقت نحو المسبح لتلحق به قبل أن ينهي رياضته الصباحية...

هبطت الدرج لتصل إليه في ثوانٍ معدودة لتقف وتراقبه من بعيد لعدة دقائق تحركت بعدها ببطء لتجلس على حافة المسبح وعيناها لم تغفلا عنه للحظة حتى انتبه أخيراً لوجودها.. فرمقها بصمت للحظات ثم سبح نحوها متمتماً بخفوت:

- صباح الخير..

هتفت بسعادة وهي ترد له تحيته:

- صباح الخير, داغر.. حمد لله على سلامتك..

أجابها بتقرير:

- لم أكن مسافراً شيرويت.. أنتِ تعلمين ذلك جيداً..

- أنا آسفة داغر.. أرجوك.. دعنا نظل أصدقاء.. أنت الوحيد الذي يهتم بي حقاً في ذلك البيت البارد..

كانت تبتز عواطفه الحمائية نحوها وتدرك كيف تصوغ كلماتها وترفرف بأهدابها بخجل وندم يكاد يكون حقيقياً لتكتسبه إلى جوارها وتربح مرضاته...

تنهد داغر بعمق:

ـ لا تبتأسي يا شيري فأنتِ تعلمين كم تعشقك جدتي..

عادت ترفرف بأهدابها وابتسامتها تتسع:

ـ لقد عدت لمناداتي بـ شيري... إذاً.. هل عدنا أصدقاء من جديد..

تنهد بعجز وهو يرى كتلة الشقاوة الشقراء تقفز بجواره إلى المسبح وهي تهتف:

ـ سأسابقك.. وأراهن أنني سأكون الفائزة!..

كانت قد قفزت بسرعة لتصل إلى ثلث المسبح وتنطلق بأقصى سرعتها للطرف الآخر فلم يستطع اللحاق بها.. وعندها صرخت بسعادة:

ـ نعم.. نعم.. أنا الفائزة ألم أخبرك أنني سأتفوق عليك..

كان وصل لها وهو يلهث وأمسك برأسها لينزلها تحت الماء وهو يشاكسها:

- أيتها الغشاشة المشاكسة.. هل هذا ما علمتك إياه!!..

ارتفع رأسها فوق الماء وهي تضحك بسعادة:

- هذا هو العدل.. انظر لطول قامتك, كيف يمكن لقزمة مثلي منافستك!!

عاد ليغمر رأسها بالماء مرة أخرى هاتفاً بعدم تصديق:

- قزمة!.. أيتها المحتالة!!..

انطلقا معاً في العبث بالماء واختفى التوتر الذي كان يسيطر على الأجواء في البداية ليقضيا معاً أحد أوقاتهما الممتعة وتنطلق شيرويت بمرحها وشقاوتها المعهودة وهي تهتف بحنق عندما سبقها داغر للمرة الثالثة:

- كُف عن هزيمتي..

ثم مدت يديها لتتخلص من الثوب الصيفي الطويل الذي يعيق حركتها ويلتف حول ساقيها مبطئاً من سرعتها, فانطلقت تلك المرة بحرية وسرعة لتصل قبله لحافة المسبح وهي تهتف بسعادة:

- لقد فزت تلك المرة.. فزت.. فزت..

وانطلقت ضحكاتها العميقة وهي تغمر رأسه بالماء كما كان يفعل بها, تعالت ضحكاتها مع توعده لها بالعقاب وهي مستمرة بغمر رأسه تحت الماء ونثر الماء حوله.. ولكن العبث البرئ لم يستمر كما بدأ, فشيرويت تريد الحصول على اهتمام داغر, بل أكثر من اهتمامه تريد قلبه, تريده أن يراها كأنثى.. وهي بالفعل كانت أنثى صغيرة خلابة سلبت اهتمامه ونظراته بجسدها الرشيق

اللامع بعدما تخلصت من ثوبها الطويل..

حاستها الأنثوية التقطت لمعة الاعجاب

بعينيه قبل أن يخفيها بمهارة وسرعة, ولكنها

لم تكن لتفوت الفرصة وقد استشعرت

أخيراً إحساسه بأنوثتها الوليدة فلم تشعر

بنفسها إلا وهي متعلقة بعنقه وشفتيها

تحكيان قصة عشقها لشفتيه..

حاولت شيرويت أن تخرج من شريط

ذكرياتها فالقادم بشع ومؤلم ولكن صور

الماضي بكل آلامه هاجمتها مرة واحدة

لتغوص بعقلها مرة ثانية في خزي جلبته

لذاتها بتهورها واندفاعها الأحمق..

غرقت بذكريات تلك القبلة التي تبادلاها

لثوانٍ معدودة, ثوانٍ هزت أعماقها ووصمت

قلبها بختمه للأبد.. ثوانٍ أثرت به وتحكمت

بسيطرته الحديدية حتى كاد أن يغرق بتيار أنوثتها

لم يدرك كيف استفاق من تلك القبلة المجنونة, هل هو صوت أنفاسها اللاهث أم ربما سرعة نبضاته, لكن الأكيد هو تلك الصاعقة التي أصابته عندما أدرك أن أنامله تتحرك بعبث وحميمية مدمرة لتستشعر رقة عظام كتفيها وترقوتها, استجمع بقايا من تعقله بشق الأنفس ليدفعها بعيداً عنه,

أصابتها شدة الدفعة وعنفها بصدمة لحظية فسقطت بجسدها كله إلى الأسفل حتى اختفت تقريباً تحت الماء وبدا أنها تصارع للتغلب على الدوامة التي تسحبها للأسفل..

وبلحظة شعرت بيده تجذبها من كتفها لترفعها على السطح حتى استقر وضع جسدها وطفى على الماء فتركها سريعاً ليخرج مغادراً مياه المسبح ويتجه إلى

منشفته الكبيرة ليجفف جسده بعنف وقسوة, قسوة تقطرت من حروفه وهو يؤنبها بكلمات كجروح السيوف حتى بدون أن يلتفت لها:

- تلك التصرفات المبتذلة يجب أن تتوقف..

كانت هي تجاهد للخروج من المسبح, تتعثر منزلقة وهي تصعد درجاته لتصل إليه وتدافع عن حبها الوليد الذي يصفه الآن بالإبتذال حينما رن صوته ثانية وهو يلتفت إليها قاذفاً بمنشفة جافة في وجهها بعنف:

- يبدو أن والدتك تقضي وقتها بالعمل وفاتها أن تلقنك السلوك المهذب..

لفت جسدها المنتفض خوفاً وألماً بالمنشفة ومدت يدها تتوسل تفهمه:

- داغر.. أرجوك..

قاطعها ناهراً بعنف.. عنف موجه لذاته أولاً قبل أن يكون لها.. فهو يلوم نفسه بشدة لاستجابته لها.. استجابة لم يستطع السيطرة عليها أو كبتها.. فقط يدرك أنها كانت مشاعر من القوة لتجتاح رجل بتجربته.. وأن تلك الطفلة المرتعشة أمامه يجب أن تكف عن تلك التصرفات قبل أن تؤذي نفسها أو تسبب كارثة لا يمكن معالجة نتائجها..

ـ أنتِ تلعبين بالنار شيرويت.. تظنينها لعبة مسلية.. تعرضين أنوثتك وتمتهنين جسدك مقابل ماذا!.. لا شيء.. بضع لحظات من المتعة الرخيصة.. أخبريني هل اعتدتِ تلك التصرفات؟.. هل تمتع آخرون بما تعرضينه أمامي بسخاء الآن؟!

قاطعته بعنف مرتجف:

ـ اخرس..

اقترب منها بسرعة وغضبه ينافس شياطينه بالقفز أمام عينيه.. لتعاود هي الكلام بسرعة:

- أنت لا تعني هذا.. لطالما كنت فتاتك الأثيرة..

رمقها بنظرة غامضة قبل أن يردد بقسوة:

- شيري الطفلة البريئة الناعمة هي من امتلكت مكانة مميزة لدي, أما تلك المرأة اللعوب فلا أريد أي صلة بها..

ارتجفت شفتاها بألم وبدأت تشعر بوخزات البرد تنخر عظامها لتسمعه يطلق حكم الإعدام على مشاعرها الوليدة:

- سمر زوجتي السابقة, اتصلت بي أمس لتخبرني بحملها.. لذا قررت اعادتها لعصمتي.. وسوف تعود للإقامة بالفيلا..

ظننته يراوغها أو يلقي بتلك الكلمات كنوعٍ قاسٍ من العقاب, لكن سرعان ما انهارت ظنونها عندما لمحت زوجته معلقة بذراعه, وكان ذلك بعد حادثة المسبح الكارثية بيومين,

حيث تعالت زغاريد الخدم وسارعت الخالة نجوى تحتوي سمر بين ذراعيها وظهرت فرحة الجدة ملك بوضوح وهي تبارك له حمل زوجته التي أعادها لعصمته وأمرت بإقامة حفل ضخم للاعلان عن الفرحتين كما أسمتهما.. وبالفعل أقيم الحفل في الليلة التالية وكانت نجمته تلك المرة سمر الزوجة العائدة وهي تحمل وريث آل كاظم بأحشائها.. وأيقنت شيرويت بضياع حبها

الطفولي البرئ, تلك البراءة التي نجح داغر بجدارة في تشويهها بالكامل ومنحها كل ما ورد بقواميس اللغة من ابتذال ومهانة.. وكأن كلماته المهينة لم تكن كافية فكانت نظراته المحتقرة طوال الثلاثة أيام الماضية كالمطارق تهدم بداخلها كل معاني الثقة بالنفس واحترام الذات.. رفضه لحبها بتلك الطريقة وعودته السريعة لزوجته

رسخ بذهنها تفاهة ما تتمتع به من جمال وجاذبية لم يستطيعا حتى لفت انتباهه واختراق حاجز سيطرته الحديدية على مشاعره.. اتهامه لها بمحاولة اغوائه أشعرها بأن جمالها نقمة وجسدها المغري هو رمز من رموز الخطيئة والتي يجب اخفائها داخل ملابس بلا ملامح أو تمييز.. وهذا ما قامت به, فقد ظهرت بالحفل المقام على شرف زوجته بثوب أصفر باهت يخفي

معالمها وقد قررت هجر أثوابها الوردية والزهرية والتزام الألوان الباهتة تماماً كالشخصية الباردة الرخامية التي قررت تقمصها والتزمت بها منذ تلك الليلة..

فنامت الخصلات الشقراء المنطلقة, واختفت الضحكة العفوية ذات الجرس الرنان, وألزمت نفسها بتفاعل بليد وبارد مع من حولها.. لتتحول بالفعل إلى تلك العروس البللورية التي لفتت انتباه باسل مختار ليختارها زوجة له ويكمل بها مجموعة مقتنياته..

وقتها فاجئها داغر بتصرفه الصادم فطلبها هو الآخر للزواج, وكان قد انفصل عن زوجته نهائياً تلك المرة بعدما حاولا بقوة الاستمرار لأجل طفلتهما الصغيرة ندى.. ولكن وصلت الخلافات لحد لم يمكنهما من البقاء

معاً فكان الطلاق الهادئ مع بقائهما صديقين..

أغمضت شيرويت عينيها بألم مع عودتها لحاضرها وابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيها وهي تتذكر كلماته لها تلك المرة والتي اختلفت جذرياً عن اتهامه لها بالابتذال منذ بضعة سنوات.. وكانت الجدة ملك قد طلبت منها برجاء خاص الاستماع لما يريد داغر اخبارها به.. فاضطرت صاغرة للجلوس أمامه على المائدة الخشبية الموجودة بركن حديقة قصر كاظم.. بيتها الذي هجرته وانتقلت مع والدتها للاقامة بفيلاتهما الحالية.. حيث لم تحتمل ناريمان وجود سمر بالإضافة لنجوى.. فقررت الانتقال من قصر آل كاظم.. والعجيب أن داغر أيدها في قرارها وساعدها وقتها بالعثور على بيتهما الحالي..

تردد صوته حياً بأذنيها وأعادت بذهنها كلماته التي رددها منذ بضعة أشهر..

- شيرويت.. هل صحيح أنكِ تنوين الارتباط بباسل مختار؟..

رمقته لحظتها بنظرتها الجامدة:

- هذا لا يعنيك!

زفر بحنق:

- باسل لا يناسبك.. سوف يسبب لكِ التعاسة..

اقتربت لترتكز بكفها على سطح المائدة:

- هذا ما تظنه.. أنا متأكدة أن باسل هو من يناسبني..

- أنتِ ما زلت صغيرة.. طفلة..

قاطعته بغيظ:

ـ طفلة!!.. أنا في الحادية والعشرين من عمري..

نهض بغضب وهو يمرر أنامله بخصلاته المجعدة وهمسه كاد أن يكون مسموعاً

"ما زلت صغيرة.. وأنا لا أريد استعجالك"

هتفت به وقد نهضت لتواجهه:

ـ تستعجل ماذا؟..

رفع عينيه وهو يهتف:

ـ حسناً.. تريدين الزواج.. تزوجيني..

ارتد جسدها للخلف وكأنه رماها بحجر.. وهو بالفعل كان حجر.. حجر من نار اشتعلت بأعماقها وهي تسمع الكلمة السحرية التي تمنتها في مراهقتها تخرج من بين شفتيه.. لكن تلك كانت شيري الطفلة الحمقاء.. حمقاء دفنتها مع حلم الحب الوردي..

شيرويت الموجودة الآن هي مَن ستجبه بما يستحق..

ابتسمت ساخرة:

ـ ياله من عرضٍ ساحر.. لقد تأثرت حقاً..

ـ شيري..

قاطعته:

ـ لا تناديني شيري..

ـ حسناً.. شيرويت.. طفلتي.. هل تقبلين الزواج مني؟..

هزت رأسها بعد تصديق:

ـ أنت انفصلت عن سمر منذ عدة أشهر..

قاطعها مصححاً:

ـ تم الطلاق منذ شهور.. ولكننا منفصلان بالفعل منذ ثلاث سنوات.. أنا متأكد أنكِ تعلمين ذلك..

هزت كتفيها بلامبالاة مصطنعة وهي تقاوم طوفان المشاعر بداخلها:

ـ لست مهتمة بمعرفة أخبارك..

رمقها بنظرة قوية تدرك دواخلها وتكشف كذبتها بسهولة.. مما دفعها للصراخ به:

ـ لقد أخبرتني أنك لا تريد أي علاقة بي..

وقبل أن يجيبها بكلمة صرخت بانتصار:

ـ وأنا أيضاً لم أعد مهتمة بك بأي طريقة..

طلبك مرفوض..

"طلبك مرفوض"..

هكذا ظنت أنها ثأرت لشيرويت المراهقة, لم تدرك صعوبة رفضها لطلبه إلا بعدما

انفردت بنفسها وأيقنت أنها رفضت الزواج من حبها الوحيد.. فقط لتثأر لكرامتها الجريحة..

تركت النافذة لتعود لفراشها وهي تأكد لنفسها.. هذا ما سيكون عليه الأمر..

ستكون زوجة مثالية, هادئة ومتفهمة لباسل.. وستنسى كل شيء عن داغر ومشاعرها نحوه.. فلم تجنِ منها إلا المهانة والتحقير..

(6)

في صباح اليوم التالي عندما مر باسل ليصطحب لمى كان لتشوش أفكاره اليد العليا في المزاج المسيطر عليه.. فكان ترحيبه بها أقل من الليلة السابقة.. وامتنع عن ملامستها كما طلبت منه.. واكتفى بتحية عابرة قبل أن يتخذ مكانه بجوارها على الأريكة الخلفية لسيارته, ثم لاذ بالصمت الكئيب طوال المدة التي استغرقتها السيارة لتصل إلى أحد أشهر الكافيهات بوسط البلد..

اختار مائدة منعزلة في أحد الأركان وسحب لها مقعداً لتجلس ورغم ضباب أفكاره إلا أن ذلك لم يمنع عينيه من أن تمرا على

قميصها الوردي الحريري الملتصق بجسدها بشدة.. وتنورتها القصيرة ولكنها بالطبع كانت أطول من ثوب ليلة أمس..

اختارا سريعاً ما يودا تناوله.. وظل الصمت مخيماً عليهما لفترة.. وما بين مشاعر الذنب والانجذاب كانت تتماوج الأفكار.. وتتلاقى العيون لتتباعد مرة أخرى.. وكأن كلاهما يخشى التقاء النظرات..

امتنعا عن أبسط أنواع التواصل.. حتى لا يعترفا أن الأمر أكبر من عبث البارحة..

وكأن مرور الليل أزاح الستار عن أعماقهما وجعلهما يواجها الواقع.. بحروف كبيرة واضحة..

"انتهى العبث"..

وضع النادل الطعام أمامهما.. وبدأ باسل بتناول طعامه, ولكن لمى أخذت تتأمله

قليلاً وهي تكاد تلمس المشاعر السلبية التي تحيط به.. أنه يتهرب من مواجهتها.. كما تتهرب هي منه.. الأمر واضح وضوح الشمس.. ولكنها يجب أن تجذب انتباهه لها مرة أخرى.. هذا ما تعرفه الآن.. رغم أنها لم تستطع تحديد سبباً واضحاً لذلك الشعور.. هل لتستمر بخطة ناريمان؟.. أم لأنها تريده أن يوليها كل انتباهه.. وينسى التفكير بأي شيء آخر..

حسناً.. ستمضي في مخططها.. والأمر منوط به إما يجاريها كما فعل من قبل أو يصدها ويرضخ لمشاعر الذنب التي ترتسم على ملامحه منذ الصباح..

ألقت الشوكة من يدها بعبث وهي تخبره:

- ماذا هناك؟

رفع رأسه وهو يسألها:

- ماذا؟..

مازحته:

- يبدو أنك تشعر بالندم لدعوتي إلى ذلك المقهى الراقي.. هل سأضطر إلى غسيل الأطباق لتسديد فاتورة طعامي؟!..

حركة بسيطة من شفتيه تشبه ابتسامة أو قد تكون تعبر عن امتعاض.. أو تهكم.. لم تستطع التحديد, ولكن كان هذا رد الفعل الذي حصلت عليه منه, فأكملت وهي تشير إلى الطعام أمامها:

- أعني.. أنني على استعداد للاكتفاء بكوب من الشاي وشطيرة من الفول ولا داعي لذلك البذخ!

ظهرت حركة وجهه أكثر وبدت كبداية ابتسامة بالفعل:

- هل تتوقعين من باسل مختار أن يدعوكِ إلى شطيرة من الفول!!

أجابته بسرعة:

- بل أتوقع القليل من الحديث أو حتى ابتسامة مجاملة ممن يدعوني إلى الطعام حتى لو كان عم عبده حارس البناية.

استفهم بحيرة مصطنعة:

- من عم عبده هذا؟.. هل هو صديق جديد!

مالت برأسها على أحد كتفيها وهي ترمقه باستفهام وكأنه تسأله إذا ما كانت جملته إعلان عن حرب أم ربما هدنة.. وسرعان ما جاءت إجابته عندما اتسعت ابتسامته وهو يسألها:

- هل أعجبك المكان؟

وأردف بسرعة:

- بغض النظر عن الصحبة السيئة!

ابتسمت له بدورها وهي تتقبل غصن الزيتون وبداخلها تتنهد بارتياح لأنه اختارها هي.. اختار مجاراتها.. على الأقل لهذه اللحظة..

- المكان جميل جداً.. إنه يذكرني بمقهى آخر في الإسكندرية.. فرع آخر من هذا الكافيه.. ولكن الآخر له واجهة رائعة على البحر..

ظهر حنينها لبلدتها في صوتها ووضح اشتياقها لأجواء مدينتها في اختلاجة بسيطة في وجنتها ورمشها السريع حتى تقاوم دموعها..

سألها ببساطة:

- متى تركتِ الإسكندرية؟..

- منذ خمسة أعوام..

- ومتى زرتها آخر مرة؟..

- منذ خمسة أعوام!..

أطلق صفيراً طويلاً ثم أعقبه بسؤاله:

- ما الذي يمنعك من العودة؟..

أعادت له سؤاله:

- ما الذي يمنعك من قيادة سيارتك؟..

عاد للخلف في مقعده وهو يكتف ذراعيه حول صدره وقد تركز انتباهه حول تلك الحورية البحرية الجالسة أمامه... وتبخر من ذهنه أي أفكار حول ذنبه نحو شيرويت...

أخذ يتأملها قليلاً ثم أخبرها:

- تعلمين أنني أستطيع الحصول على تفاصيل حياتك كاملة.. إذا رغبت بذلك..

هزت كتفيها بلامبالاة:

ـ نفس الشيء بالنسبة لي.. لا تنسَ أنك تتعامل مع صحفية محترفة.

صمتا الاثنين معاً وكأنهما لا يرغبان في الإفصاح عن السبب الذي يمنعهما عن البحث في الماضي.. رغبة دفينة بأعماقهما بأن يتصارحا بما غير حياتهما.. لا أن يحصل كلا منهما على خلفية الآخر كقصاصة ورقية خُط بها بضع كلمات لا تفسر على الإطلاق ما قد يشكل نفسية إنسان ويبدل من حياة آخر..

رمقها مبتسماً وكأنه أبرم معها اتفاقاً ضمنياً ألا ينبش أيهما في ماضي الآخر.. ويكتفيا بمشاكستهما اللفظية, لعلهما يصلا يوماً لراحة البوح..

شاكسها قائلاً:

ـ ألا تشتاقين إلى غموض بحرها؟..

أومأت:

- بالطبع... ولكنني تعلمت التعايش مع ذلك.

ضحك قائلاً:

- هل تودين الذهاب لزيارته؟.

- أوافق.. شرط أن تصطحبني!!..

تحرك ليمسك بيدها:

- هيا بنا إذاً..

غمزته قائلة:

- أقصد أن تقود بي إلى هناك.. لا أن يصطحبنا سائقك..

ضحك بقوة:

- أنتِ امرأة مستحيلة..

هزت كتفيها بلامبالاة:

ـ نعم.. هذا أنا..

ـ وأنا أعشق خوض غمار المستحيل..

شاكسته:

ـ وعد آخر!

هز رأسه:

ـ بل أمنية..

رفعت حاجبيها بدهشة حقيقية:

ـ أمنية!!.. تتمنى ماذا؟

ـ أن أفهمك.. أتعرف عليكِ أكثر..

أخفضت عينيها للحظة ثم همست بألم:

ـ أخشى أن يخيب أملك.. قد أكون مجرد غلاف براق.. بلا محتوى حقيقي..

هز رأسه ببطء:

ـ أعتقد أنني سأجد الكثير والكثير.. تلك البسمة المشرقة تخفي جبل من الأحزان..

همست:

ـ تبدو خبيراً..

هز كتفيه وكأن ما تقوله مفروغ منه.. ثم حول وجهة الموضوع بمهارة:

ـ قرأت أمس موضوعك مع زوجة الرئيس السابق.. أنتِ صحفية جيدة.. لديكِ وجهة نظر خاصة وأسلوب شيق كذلك..

ضيقت عينيها بغيظ وهي تسأله من بين أسنانها:

ـ لم تقرأ الموضوع إلا أمس فقط.. ظننت.. ظننتَ أنك اطلعت عليه من قبل.. لقد تعرفت عليَّ بالفعل بعد الحادث

أجاب بشقاوة:

ـ لقد تعرفت على المرأة الجميلة وقتها..

ظهرت شرارات الغضب في عينيها الضبابيتين.. فسارع بالقول:

ـ أنا الآن أحاول التعرف على المرأة الذكية خلف الملامح الفاتنة.. فهلا سمحتِ لي؟..

رمقته بتساؤل وكأنها تحاول معرفة كيف سيتعرف عليها ومتى؟..

كرر سؤاله بصيغة أخرى:

ـ أصدقاء؟..

هزت رأسها بلا معنى فلا هي وافقت ولا رفضت.. فقط تريد أن تعرف إلى أين سيصل بهما الطريق..

أكملا وجبتهما بعد ذلك يحيطهما جو من المرح والخفة التي اعتادا أن تغلف أحاديثهما التي بدت وكأنها لن تنتهي.. حتى رمقت لمى ساعتها برعب وهي تخبره:

- باسل.. لقد مر الوقت سريعاً.. هيا بنا لنتحرك..

اصطحبها خارجاً إلى سيارته وما أن اتخذا مكانهما حتى بادرها معتذراً:

- لن نستطيع تناول العشاء الليلة معاً.. فأنا مرتبط بموعد مسبق.. ولم أستطع إلغائه.

سألته بتعجب:

- ما الذي يجعلك تعتقد أننا سنتناول العشاء معاً كل ليلة؟!

أجابها بغرور:

- لأنني أرغب بهذا..

أطلقت ضحكة عالية:

- وتملك الجرأة لتخبرني أنني مستحيلة!

راوده شعور مبهم ليختبر مشاعرها نحوه.. أو ربما أراد منها أن تطالبه بإلغاء ارتباطه ليكون معها:

- ألا ترغبين بسؤالي عن ذلك الارتباط؟..

توترت على الفور.. لا تعرف الهدف من وراء سؤاله.. ولا تريد أن تسمع أنه مرتبط بموعد ما مع خطيبته الحسناء.. أو الأدهى من ذلك أن تكون امرأة أخرى.. فغمغت بتوتر:

- لا.. لا أجد فائدة من ذلك.

التفت ليواجهها إلا أنها سارعت بالقول:

- لقد وصلنا بالفعل.

أوقفها قبل أن تترجل من السيارة:

ـ موعدنا غداً صباحاً..

ـ قد اعتاد على ذلك الترف في طعامي..

أجابها مبتسماً:

ـ وقد أدعوكِ إلى شطيرة الفول قبل أن يسبقني عم عبده حارس البناية!..

قهقهت ضاحكة وهي تخرج من السيارة ملوحة له بمرح.. وتنطلق إلى مكتبها بالمجلة.. وفكرة موعده المسائي تسيطر على ذهنها بشكل كبير.. تدرك أن رفضها لسؤاله عن تفاصيل ذلك الموعد نبع من خوفها من حصر نفسها في دور المرأة السرية في حياته.. وهي ترفض ذلك وبشدة..

قد يكون ما ربطها بباسل عمل.. أو خطة رسمتها ناريمان لإفساد زواجه من ابنتها..

ولكن لمى لا تراه ذلك الرجل السيئ الذي لا يليق بالزواج من الوريثة الجميلة.. إنه عابث ولعوب.. لا تنكر.. لكن يوجد بأعماقه الكثير والكثير.. إنها فقط تتوق لخدش تلك القشرة والبحث عن ذلك الكثير بأعماق ذلك الرجل..

كلا.. لن تتحول لسر قذر في حياة رجل ما.. ولن تصبح المرأة الأخرى..

ولكن لا شيء يمنع أن تصبح المرأة الوحيدة..

لذلك التقطت هاتفها بخفة وكتبت...

"قد أرغب بتناول الغذاء اليوم.. أي اقتراحات؟!"..

ضغطت زر الإرسال وابتسامة جذلة ترتسم على شفتيها..

****

أخذت لمى تتابع أرقام الطوابق وهي تتوالى أمام عينيها أثناء وقوفها بالمصعد الخاص لمكتب باسل.. كانت دقات قلبها تتزايد مع مرور كل طابق وإدراكها بأنها على بعد لحظات فقط من لقائه مرة ثانية.. بل هي من خططت لهذا اللقاء..

فما إن رفعت إصبعها عن زر الإرسال حتى وجدت الهاتف يضئ باسم باسل..

أجابته بذهول:

- نعم؟

رد بثقة:

- سيكون سائقي أمام المجلة في الثالثة بعد الظهر..

لهثت مبهورة من سرعة رد فعله:

- لماذا؟..

أجابها في شغف:

- حتى يأتي بكِ إليّ!

رغم رغبتها في رؤيته إلا أن الجملة أشعلت غضبها بشدة:

- وهل سيأتي بي ملفوفة في ورق هدايا.. أم سيهربني إليك من الباب الخلفي!!

همس بتسلية:

- سيكون ذلك رائع حقاً!

هتفت بغضب:

- باسل!!

خاطبها مهدئًا:

- اهدئي يا حلوتي.. الأمر أنني سأكون في اجتماعات متوالية حتى الثالثة.. ولا أريد أن أضيع لحظة واحدة حتى أراكِ..

خاطبته من بين أسنانها:

- باسل.. كف عن استفزازي بترديد تلك العبارات..

أجاب بحسم:

- لمى.. هل تريدين أن نتناول الغذاء سوياً.. نعم أم لا؟..

أُخذت من نبرته الحاسمة.. ولم تعرف بم تجبه.. فتنهدت بصمت..

عاد ليسألها بنبرة أخف:

- أريدك في مكتبي.. أريد أن أريكِ شيئاً سينال إعجابك بحق.. هل أرسل لكِ السائق؟..

أجابته بقوة:

- كلا.. سآتي بنفسي.. هل ستكون في مقر مجموعتك الاستثمارية؟..

- نعم.. هل تعرفين العنوان؟.

أجابته بهمسة ساخرة قبل أن تغلق الهاتف مودعة..

وها هي الآن وصلت أمام الباب الخارجي لمكتبه.. تحاول التقدم بثقة وهي تقف أمام مديرة مكتبه لتعرفها بنفسها ولكن تلك الأخيرة ما إن لمحتها حتى هبت واقفة:

- الآنسة لمى؟..

أجابت لمى بثقة:

- نعم..

أشارت السكرتيرة لها لتدخل إلى غرفة باسل:

- تفضلي.. السيد باسل بانتظارك

دخلت لمى إلى مكتبه ترفع رأسها بشموخ.. هب باسل من خلف مكتبه حتى يلاقيها عند الباب ويغلقه خلفها.. مد يديه ليحتوي كفها الصغير بينهما:

- خشيت أن يتمكن منكِ الغضب, وتقرري عدم الحضور..

أجابته بعفويتها:

- ماذا أفعل بفضولي الصحفي!!.. أريد أن أعلم ما الذي تخبئه هنا في مكتبك!

قهقه ضاحكاً وهو يسحبها من يدها ليجلسها على إحدى الأرائك المنتشرة في مكتبه بالغ العصرية والذي تبلغ مساحته أربعة أضعاف مساحة مكتب ناريمان كاظم على أقل تقدير.. جالت بعينيها تتفحص أرجاء مكتبه محاولة تجنب عيناه المغازلتان..

لم تقابلها تلك اللوحات الفنية والتحف الغالية المبهرة والتي تتواجد عادة بمكاتب رجال الأعمال ممن التقت بهم من قبل في حوارات صحفية.. بل لم يكن يفصح المكتب عن مدى ثرائه.. فكان غاية في البساطة.. وقد استعاض عن تلك التحف بمجموعة رائعة من النباتات الخضراء الطبيعية.. والتي وزعت في أرجاء أرجاء المكتب الواسعة والذي تحولت إحدى جدرانه لنافذة زجاجية لتسمح بمرور ضوء الشمس مما منح الغرفة مظهراً مشرقاً لمس

ببساطته شيء ما بأعماق لمى.. فقد كان بالفعل مختلفاً عما اعتادت.. عما توقعت..

التفتت لتواجهه ولمحت بعينيه انتظاره لرد فعلها ورأيها بمكتبه فعادت لمشاكسته بسرعة لتقول باقتضاب:

ـ مكتب عصري للغاية..

رفع حاجبه منتظراً منها تفصيل أكثر، ولكنها لم تزد حرفاً واحداً وهي تكتم ابتسامة متلاعبة.. فابتسم بتسلية وهو يداعب كفها التي نسيتها بين يديه:

ـ أين تريدين تناول الغذاء؟

تنفست بعمق محاولة عدم سحب كفها من بين يديه فمداعبته الخفيفة كانت تسبب لها اضطراباً هائلاً..

أخفت تأثرها فلم ترد أن تفضح تأثيره عليها فأجابته بثقة واهية:

ـ أي مكان.. لا أهتم.. لكنني أريد أن أعلم أولاً... لماذا أصررت على حضوري إلى هنا؟..

سألها بدون مواربة:

ـ هل ستخبرينني لم قررتِ تناول الغذاء معي؟..

أجابته وهي تهز رأسها:

ـ كلا..

وأخذت تحادث نفسها..

"ماذا تريدني أن أخبرك.. أن القشرة الصلبة التي أخذت في بنائها لسنوات تصدعت بفعل ابتسامة عابثة, ولمسة ماجنة منك.. أن قلبي الغبي ينتفض لهمسك بدون أن أستطيع السيطرة عليه.. أنني أرفضك وأرفض كل ما تمثله, ولكن لا سلطة لي

على هذا الخائن بين ضلوعي... الذي قرر الانتماء لك.. بدون حتى أن تطلب.. أنا واثقة أنني أخطو نحو تدمير ذاتي.. ورغم ذلك لا حيلة لي في هرولتي نحوك.. يبدو أنني تحولت لغبية حمقاء على يديك.. يُمكن أكثر من خطيبتك الغافلة عن عبثك.. بل أنا في طريقي لأصبح سارقة رجال..

ولكنني لا أهتم.. حقًا.. لقد هُزمت من قبل في حرب ليست عادلة.. وقد آن أوان انتصاري.."

رمشت بشدة لتخرج من بحر أفكارها.. وهي تعود بتركيزها إلى من عاث فساداً بأعماقها.. سمعته يناديها:

- هيا.. بنا..

سألته بارتياب:

- إلى أين؟..

ظل متمسكاً بيدها وهو يصطحبها إلى مصعد آخر بخلاف الذي استقلته منذ لحظات ويهمس بجوار أذنها:

- سأفشي لك سراً من أسراري!..

تحركت بجواره وهي تدخل إلى المصعد متسائلة بهمس يماثل همسه:

- إلى أين يذهب هذا المصعد؟..

قطب جبينه وهو يقترب ليهمس بخفوت كأنه على وشك افشاء إحدى الأسرار الحربية:

- العتبة!

سحبت يدها بعنف صائحة بغيظ:

- أنا لا أمزح!

أجابها بخفة:

ـ هذا مصعدي الخاص.. يصل إلى شقتي الخاصة بالطابق الأعلى.. و..

قاطعته بعنف:

ـ ماذاااااا.. كيف تجرؤ؟.. من تظن نفسك؟..

(7)

ـ ماذاااااا.. كيف تجرؤ؟.. من تظن نفسك؟..

هتف بصرامة:

ـ توقفي.. ماذا بكِ؟.. دعيني أكمل كلامي للنهاية.. أردت أن أخبرك أن فوق الشقة.. يوجد سطح البناية بالطبع وهو المكان الذي أريد أن أريكِ إياه..

ترك كتفيها وضغط على زر المصعد بينما انكمشت هي على نفسها.. تشعر بالحرج.. الخوف.. القلق.. الترقب.. ودقات قلبها تعلو مع صعود المصعد حتى توقف أخيراً..

وخرج باسل أمامها بينما ظلت مجمدة في مكانها.. ترمقه بنظرات حارقة..

زفر بحنق:

- لمى.. لقد وصلنا لسطح البناية.

رمشت بعينيها بقوة وهي تتحرك مادة يدها إليه.. وهمست بخفوت:

- آسفة..

التقط يدها بخفة وجذبها لتخرج من المصعد وغمزها بخفة:

- اعتذار!!.. لم أتوقع أن أسمعه منكِ أبداً.

همست وهي تسير بجواره:

- يبدو أنني تقليدية أكثر مما كنت تعتقد..

قطعت كلماتها وقد فاجئها المشهد أمامها.. فهي لم ترَ سطح خرساني عادي لبناية شاهقة, بل مشهد لحديقة مذهلة.. مجموعة هائلة ومتناغمة من زهور وشتلات منسقة بطريقة فنية بديعة.. مشهد تلمحه فقط في المجلات أو منشورات الدعاية فقط..

فغرت فاها بذهول وهي تلمح تدرج ألوان الزهور وتمازجها معاً لتكون لوحة فنية رائعة... وليست مجرد حديقة صغيرة عادية..

وجدت نفسها لا إرادياً تخلع حذائها وتتوجه نحو تلك الحديقة تغرز أصابعها في حشائشها الخضراء وتلمس بأصابعها أوراق أزهارها الناعمة..

همست:

ـ إنها رائعة.. كيف تمكنت من صنعها هنا؟!!

هز كتفيه بخفة:

ـ أعتقد أن امتلاك المال له ميزة بعد كل شيء!

وافقته بإيماءة من رأسها وهي تخبره:

- إنها رائعة.. تنسيقها.. وترتيب الأزهار بها مذهل..

هز رأسه بخفة وكأنه يتقبل مجاملة ما:

- شكرا على الإطراء..

التفتت له بذهول:

- هل أنت من...؟.. ولكن.. كيف...؟.. لا يمكن!!.. أنت...

قاطع كلماتها المذهولة:

- أخبرتك من قبل أنني أهوى الزهور..

ثم عاد ليمسك بكفها ويصطحبها لمجموعة من شتلات الزهور ذات ألوان وردية وبيضاء.. وأوراق صغيرة رفيعة..

سألها بغموض:

- هل تعرفتِ على تلك الزهرة؟..

أجابت بخفة:

ـ أعتقد أنها تلك البوفارديا.. التي أخبرتني عنها أمس.

أومأ موافقاً.. وهو يتلمس وريقات الزهرة الناعمة بحنان ورقة:

ـ لن أقطفها وأمنحها لكِ عزيزتي.. فمن يعشق الزهور حقاً لا يقتلها..

همست له بعجب:

ـ أنت غريب حقاً يا باسل.. تخشى على زهورك من الأذى, ولكنك لا تمانع في أذية البشر...

هز كتفيه بلامبالاة:

ـ ربما لأن البشر لا تستحق الإخلاص والحماية.. ولكن الزهور تحتاجها..

هتفت بفضول:

- يا الهي!!.. ماذا حدث لك؟.. من أذاك لتلك الدرجة؟..

رمقها بحزن:

- وهل يجب أن تكون هناك عقدة ومأساة.. فقط يحتاج الرجل أن يكون له عالمه.. وعليه أن يحميه جيداً..

حاولت الكلام ولكنه قاطعها وهو يقربها منه:

- هل تعرفين.. أنتِ الوحيدة التي رأت حديقتي السرية؟!

رمشت بذهول:

- ماذاااا.. ولكن..

عاد لمقاطعتها وهو يمسد وجنتها بإبهامه:

- لم أشعر أنني أريد اقتسامها مع أحد من قبل!!..

ارتجف جسدها بأكمله استجابة للحميمية التي استشعرتها بصوته.. لشعورها بأنها لأول مرة تكون بهذا القرب من رجل.. وما زاد من نشوتها شعورها أنه يسمح لها بالدخول إلى جزء مغلق وغامض من نفسه..

همست بخفوت شديد وكأنها تخشى السؤال والاجابة:

- لم أنا؟..

أغمض عينيه لوهلة وكأنه يبحث عن اجابة منطقية لسؤالها الذي يتردد بأعماقه ليهز كتفيه هامساً:

- لم لا!..

عادت تسأله:

ـ لم لا تكون شيرويت؟..

حاول استدعاء غضب لم يشعر به وهو يهمس محذرا:

ـ لقد عقدنا اتفاق.. لن نذكر شيرويت, و..

قاطعته وهي تهز رأسها برفض قاطع:

ـ كلا.. تلك المرة أريد اجابة.. أحتاج أن عرف..

اقترب منها بخطورة ليهمس:

ـ شعرت أنكِ قد تفهمين..

بحيرة أجابت:

ـ أفهم!

ـ تفهمين حاجتي لبناء مثل تلك الحديقة..

تتفهمين كيف لزهرة ما قد تكون هي

الاجابة والمواساة والشفاء..

وضعت وجهها بين كفيها وقد تضاعفت

الحيرة بأعماقها وفقدت القدرة على الرد

بأي كلمة.. ولم تعرف ما التصرف

الصحيح.. الاستمرار في تلك التمثيلية أم

مصراحته والاختفاء من حياته تماماً, فقد

بدأت تشعر بوجود جرح كبير بأعماق

باسل ولم ترغب في زيادة جروحه..

رمقته بحيرة عاجزة عن اتخاذ القرار فما

كان منه إلا أحاط خصرها بذراعه هامساً:

ـ ما رأيك لو تناولنا طعامنا هنا؟..

أومأت برأسها موافقة باستسلام وقد قررت

الاستمرار علها تنجح في الوصول لأعماقه

ووقتها لو صدق حدسها بأن ما يقوم به

باسل من مغامرات وعلاقات ما هو الا صرخة استغاثة عالية.. يصرخ بها متألماً من جروح روحه والتي يحاول اخفائها عن الجميع.. تلك الجروح التي فشلت شيرويت في اكتشافها أو حتى الاحساس بوجودها.. فأساءت التعامل مع شخصية رجل غاية في الحساسية مثل باسل.. لو صدقت ظنونها تلك.. فإن شيرويت لا تستحق رجلاً مثل باسل..

اصطحبها إلى أحد أركان حديقته وسمعته يخاطب أحد رجال الأمن طالباً مائدة ومقعدين, فأشارت له رافضة الأمر..

وأخبرته بشغف:

ـ أطلب منه مفرشاً وعدة وسائد مريحة..

رمقها بعبثه المعتاد وقد عادت له روحه المغازلة.. فضربته على كتفه بمرح تجاريه:

ـ يا الهي!!.. إلى أين ذهبت بأفكارك؟!.. أنا فقط أفضل جلسة مريحة على الحشائش..

غمزها وهو يخبرها بهمس:

ـ إذاً سأطلب ما يناسب تلك الجلسة من أطعمة..

وسمعته يطلب من حارسه بعض الأطعمة الشعبية, والتي أذهلها لمعرفته إياها.. وخاصة عندما طلب "الكشري المصري" مع الكثير والكثير من الشطة..

فضحكت بقوة وعاد إليها مرحها المفقود وهي تخبره:

ـ أنت تزداد إصراراً في كل لحظة على إبهاري.. أليس كذلك؟.. أم أنك تريد منافسة عم عبده؟!!

عاد ليلف خصرها بذراعه بينما جلست هي أرضاً في انتظار وصول الطعام..

أخذا يثرثرا معاً حول كل شيء ولا شيء.. أخبرته عن نفسها وهي طفلة.. وعن مغامرات صباها..

كان يستمع إليها باهتمام ملاحظاً تجنبها للحديث عن أي ذكريات لها قبل مغادرة الإسكندرية.. وبدأ حدسه يخبره بوجود رجل خلف هروبها من بلدتها وعدم عودتها إليها مرة أخرى.. حاول عدة مرات أن يتأكد من حدسه ذاك.. إلا أنها كانت تتهرب منه ببراعة وتعيد الحوار إلى طموحاتها الصحفية وأفكارها المبتكرة لتحديث عمودها الصحفي, فكان يجد نفسه مبهوراً بذكائها وأفكارها الجريئة التي أخذ يناقشها معها بشغف وجدية بنفس الوقت..

لم يشعرا بمرور الوقت وقد تعددت بينهما الأحاديث واسترسلا في ذكرياتهما القديمة..

تعمدت لمى بمكر الإطالة في الحديث, وفتح مواضيع متعددة للحوار مع باسل وقد وجدت أنه يشاركها العديد من اهتماماتها.. وزادت سعادتها عندما شعرت أنه نسيّ كل شيء حول موعده المسائي.. واستمر الحديث بينهما حتى أسدل الليل ستائر ظلامه.. وتعدت الساعة الحادية عشر مساءً

فصرخت لمى بذهول كاد أن يكون حقيقياً:

- يا الهي!!.. باسل.. لا أدري ماذا أصابني اليوم؟!.. للمرة الثانية يسرقني الوقت ونحن معاً!..

بادلها نظراتها المذهولة وهو يلمح الوقت في ساعته وقد أدرك سهولة مرور الوقت معها..

سألته لمى بتردد:

ـ باسل.. هل لنا أن نذهب الآن؟..

أمسك بيدها وتوجها إلى المصعد وبداخلة رغبة مبهمة في عدم السماح لها بالذهاب.. اعترته رغبة تملكية هائلة لاستبقائها ولا يعرف كيف.. كل ما يعرفه أنها تثير بداخل أعماقه زوبعة من المشاعر, هو غير قادر على السيطرة عليها..

سألها بأمل:

ـ هل سنلتقي صباحاً؟

أجابته بخفة:

ـ أنا مازلت أحتاج إلى توصيلة صباحية!

هبطا بالمصعد إلى المكتب الذي ما إن دخلاه معاً حتى فوجئ باسل بهاتفه يرن دون انقطاع.. فالتقطه على الفور ليلمح اسم شيرويت يضيء الشاشة..

فتذكر على الفور موعده معها.. وأظهر شحوب ملامحه إدراكه لتفويته موعدهما.. مما سبب الانزعاج للمى فحاول إبعاد الهاتف عن عينيها ولكن ليس قبل أن تلتقط الاسم على الفور.. فتحركت مسرعة لتخرج من مكتبه وكأن رؤيتها لاسم شيرويت كان صفعة تفيقها من حلمها الجميل..

أسرع باسل ليلحق بها ولكنها نجحت بالتملص منه.. وهربت نحو الخارج ولكنه تمكن في النهاية من الإمساك بمرفقها وجذبها نحوه بشدة:

- إلى أين تظنين نفسك ذاهبة في مثل ذلك الوقت؟..

وأردف بدون أن يترك لها فرصة للرد:

- سأقوم بإيصالك إلى منزلك...

وبعكس وقتهما السابق.. خيم الصمت عليهما وكأن الهاتف الذي يمسكه باسل بين يديه شكل حاجزاً هائلاً بينهما..

وصلا إلى مسكن لمى التي كادت أن تقفز من السيارة هاربة منه إلا أنه كان أسرع منها فامتدت قبضته لتستبقيها وبداخله شعور غامض يحثه على التمسك بوجودها بجواره وعدم تركها ترحل عنه أبداً..

التفتت له تتساءل عينيها بحيرة عما يريده فأجاب ببساطة:

- لست مستعد لتوديعك بعد..

أغمضت عينيها وبداخلها تجبه "وأنا أيضاً"..

فسألته بحيرة:

ـ ماذا تقترح؟..

هز رأسه وقد انتقلت إليه حيرتها:

ـ لست أدري.. لكني لا أنوي تركك الآن!

ابتسمت وقد توردت وجنتاها بالفعل:

ـ الساعة تعدت التاسعة و..

قاطعها وهو يفرقع بأصابعه:

ـ وجدتها!..

ـ ماذا؟..

تحرك ليهمس بأذن سائقه ببضع كلمات ثم اجابها بغموض:

ـ مفاجأة.. هيا بنا..

رمقته بحذر.. فسألها:

- هل تثقين بي؟..

أجابته بتلقائية وثقة:

- نعم..

ابتسما معاً عندما أدركا أنه سؤال مكرر... ولكن الاجابة اختلفت.. رغم أن الفارق الزمني بين السؤالين أياماً معدودة إلا أن الثقة ترسخت.. والأرواح تآلفت.. ونظرات العيون اتحدت.. والقلوب تخشى البوح بمكنونها...

تمسك بيدها طوال الطريق وهي صامتة.. تدور نظراتها بين أناملهما المتشابكة وملامح الطريق التي لا تكاد تلمحها.. ولكن أفكارها تسيطر عليها بقوة.. لقد حادت عن الخطة.. ربما كانت تتلاعب منذ بداية النهار.. ولكنها الآن موقنة.. أنها معه لأجلها

هي وليس لتنفيذ خطة ناريمان.. فقط تريد أن تقضي معه وقتاً أطول.. تريد أن تتفهم سر انجذابها له.. وله هو بالذات بالرغم من كل مآخذها عليه.. وهذا يحيرها ويغيظها بشدة.. تلك الهالة الغامضة من حوله.. تلك السيطرة.. تبًا.. أنها حتى لا تعلم إلى أين سيصطحبها..

عبرت عن أفكارها بشكل كلمات واضحة وإن كانت هامسة:

- باسل..

- اممم...

- أريد أن أعرف أين ستصطحبني؟..

التفت إليها ليخبرها بهدوء:

ـ سنذهب لنشاهد عرضاً سينمائياً.. دعوة كنت قد نسيتها تماماً لمشاهدة العرض الأول لأحد الأفلام.. ما رأيك؟..

قطبت جبينها بحيرة وهي تردد كلمات غير مترابطة:

ـ ولكن الصحافة.. خطيبتك..

هز رأسه بكبرياء:

ـ إذاً؟..

تساءلت:

ـ ألا تخشى أقاويل الصحف؟..

هز كتفيه بعجرفة ذكورية:

ـ كلا.. الصحف ستجد دوماً ما تكتبه.. والشائعات لن تسكت..

ـ وشيرويت ومشاعرها؟!

زمجر تلك المرة بغضب:

- لمى.. دعي شيرويت ومشاعرها جانباً

هتفت بغضب مماثل:

- وسمعتي التي ستلوكها الألسن!!..

اتسعت عيناه وقد أدرك للتو أن رؤيتها بصحبته ستعرضها للأذى بالفعل.. وزاد الذهول بداخله عندما واجه نفسه بأن ذلك يزعجه أكثر من فكرة أن ترى شيرويت صورهما معاً..

رمقها بحيرة وهو يتمتم بغيظ كطفل صغير سرقت منه لعبته المفضلة:

- لكني أرغب بصحبتك..

صمتت لوهلة قبل أن ترفع عينيها وهما تبرقان بانتصار وتهمس:

- سنذهب لحضور عرض سينمائي..

اتسعت ابتسامته لتهمس هي بنبرة غامضة:

- ولكن.. أنا من ستختار.. الفيلم.. وعلى ذوقي الخاص..

جالساً في قاعة العرض السينمائي المظلمة يتأمل جانب وجهها الفاتن وملامحها جميعها توحي بالتركيز الشديد فيما يتم عرضه على الشاشة الفضية الكبيرة..

والذي لم يكن سوى

"maleficent" ...

فيلم خيالي يندرج تحت بند فيلم مخصص للأطفال.. سحقاً لمفهومك عن الرومانسية أيتها الطفلة الكبيرة.. استمر في تأمل ملامحها التي تتفاعل مع أحداث الفيلم الذي كان نسخة مستحدثة لحكاية "الجميلة

النائمة".. التي لعنتها الساحرة السوداء لتنام نوم كالموت لسنوات طويلة منتظرة قبلة الحب الحقيقي من الأمير الوسيم لتستفيق ويعيشا معاً في سعادة دائمة, فقط في ذلك الفيلم العجائبي انقلبت الآية لتصبح الساحرة السوداء ضحية.. تنتقم لقلبها المكسور مثل جناحيها.. ويتحول مفهوم الحب الحقيقي.. فلقد تم الاستغناء عن خدمات الأمير الوسيم.. فالحب الحقيقي نما بقلب الساحرة مكسورة الجناح لابنة قاتل قلبها وروحها.. ليتغلب على حقد وانتقام أعدت له لسنوات.. وتكون من ألقت اللعنة هي مفتاح حلها وقبلتها الرقيقة مع دموع ندمها هي من أنقذت الجميلة من نوم أشبه بالموت..

ـ عجباً.. لقد تبدلت قصص الأطفال عما أتذكر..

كانت تلك كلماته الساخرة التي ردت عليها لمى بهمس حازم:

ـ هششششش..

ولكنه لم يصمت وهو يراها تتابع بجذل تلك الجنية السوداء وهي تفرد جناحيها وتهرب من قاتليها.. فعاد يكرر:

ـ وآسفاه على قبلة الحب الحقيقي..

التفتت بغيظ:

ـ باسل.. دعني أتابع الفيلم.. أنها اللقطات الأخيرة..

أمسك يدها وهو يخبرها بتقرير:

ـ تلك المخلوقة ذات الأجنحة ستقتل الملك.. هيا بنا..

هزت رأسها برفض:

- كلا.. أنها..

قطعت كلماتها شهقتها المندهشة عندما حدث ما تنبأ به باسل لتسأله:

- كيف عرفت؟..

هز كتفيه:

- المنطق يا عزيزتي.. لقد تحول الحقد بقلبها إلى حب جارف للصغيرة الشقراء.. ولكنه هو.. هو لم يكن ينتقم.. لم يهتم لا بنته.. فقط طموحه ما كان يحركه.. ولا علاج من الطموح القاتل..

تجمدت ملامح وجهها للحظة وهي تستوعب معنى كلماته وقد أصابتها في مقتل.. هل هذا حالها.. طموح قاتل!..

هزت رأسها بعنف.. كلا.. كلا.. ألم أعترف منذ قليل بانجذابي له.. ألم أقرر أن

أحيد عن خط سير اللعبة وأحولها لصالحي.. لم يعد باسل مجرد فرصة عمل.. لقد تحول ليصبح فرصة حياة..

وصل لمسامعها صوته المتسلي وهو يردد:

ـ عجباً.. لم يستغنوا عن خدمات الأمير تماماً.. ها هو عاد ليتولى الحكم مع الشقراء الجميلة..

وقهقه بتفكه:

ـ أنها تشبه شيرويت.. أليس كذ..

لم يكمل جملته فقد ألبسته لمى وعاء البوشار الضخم الذي كانت تحمله بيدها في رأسه.. وخرجت من القاعة بعنف.. ليلحقها هو ضاحكًا:

ـ لمى.. انتظري.. يا الهي.. إن غيرتك صعبة للغاية..

التفتت لتواجهه وهي تشير له بسبابتها:

ـ أنا لا أغار.. فقط أشعر بالغيظ منك.. لقد أفسدت عليّ مشاهدة الفيلم..

هتف بحنق:

ـ فيلم أطفاااال..

تنهدت بعمق وهي تحاول توصيل كلماتها له:

ـ كلا.. أنه ليس كذلك.. أترى.. لم تكن الجميلة بحاجة لرجل لينقذ حياتها..

كتف ذراعيه وهو يجيبها بواقعية:

ـ لكنها احتاجت لوجود رجل لتتولى الحكم..

هزت رأسها رافضة.. ليقترب هو يحتوي وجنتها بكفه الكبير:

ـ تلك الطبيعة عزيزتي.. قد لا تحتاج المرأة رجل بجوارها وتستطيع اكمال مشوارها بمفردها.. لكنها لا يمكنها الاستغناء عن قوته لمساعدتها لبناء مملكة, دولة, بيت يجمعهما معاً..

أبعدت وجنتها عن كفه لتهمس بتساؤل متألم:

ـ وأنت قررت بناء مملكتك مع الشقراء الضعيفة؟!..

ارتسمت على شفتيه ابتسامة بلا معنى وهو يجذبها من يدها لتجاوره ويتجها لسيارته هامساً:

ـ هيا عزيزتي لمى.. لقد تأخر الوقت ويجب أن نذهب الآن....

****

تنهد باسل بحنق وهو يلتقط هاتفه ويتصل بشيرويت التي كانت في حالة من الثورة والغضب وصرخت به:

- باسل.. أين أنت؟.. هل نسيت موعدنا؟.. لم أغلقت هاتفك ثانية؟.. كيف تفعل بي ذلك؟.

انتظر باسل أن يشعر بالذنب لتفويت موعده معها وإيصالها إلى تلك الدرجة من الغضب.. ولكن لا شيء.. لم يشعر بالذنب.. لم يشعر بالحزن أو القلق عليها... بل انزعاج فقط من نبرتها اللائمة..

أرادها أن تصمت.. ليس لأنها تسبب إزعاج لضميره... بل لأنها تخرجه من حالة النشوى التي عاشها طيلة الساعات السابقة مع امرأة دافئة مثل لمى.. وليست دمية

بللورية بلا روح ولا حياة يجب معاملتها بحذر شديد حتى لا تتفتت بين أصابعه..

صاح بانزعاج:

ـ لقد حوصرت في اجتماع عمل لم أستطع تركه.. سوف أعوض عليكِ غداً.. تصبحين على خير..

رمت شيرويت الهاتف بعدما أغلق باسل الخط.. وألقت بنفسها على الفراش بعنف.. تتساءل عن شعورها في تلك اللحظة.. لقد نسيها.. نسى موعدهما ولم يكلف نفسه حتى عناء الاعتذار.. ولكنها لا تشعر بالألم فقط الغضب.. غضب شديد تريد التنفيس عنه بأي طريقة.. يا الهي.. كم ترغب بالسباحة الآن.. تلقي بجسدها داخل مياه المسبح وتقطعها عدة مرات حتى يتبدد غضبها.. ولكن كلا.. هي هجرت السباحة بعد ذلك الصباح الكارثي برفقة داغر.. الغضب

يتصاعد بداخلها بشدة.. فهي تعلم أنه كان مع الأخرى.. هي لا تشعر بالغيرة.. ولكنها لا تريد الهزيمة.. تريد باسل ملوث بالخيانة ولكنها لا تريد أن تفقده لصالح لمى.. تريد باسل ليكون زوجاً لها.. نداً لداغر.. داغر الذي ستجبره على تسليمها لباسل ليلة زفافها.. ليتأملها ترتدي الأبيض وهي معلقة بذراع آخر.. كما راقبته مراراً وهو يحتوي زوجته بين ذراعيه ويضعها كحاجز بينهما..

اتسعت ابتسامتها وهي تقرر أن تواجه داغر بطلبها في أسرع وقت..

****

ظلت لمى مستيقظة في غرفتها طوال ساعات الليل.. لم تكن تناقش نفسها في صحة قرارها بالاستمرار في علاقتها بباسل.. فلابد من الاعتراف ان الأمر تعدى الاعجاب والانجذاب بمراحل.. هي فقدت

قلبها لصالحه وانتهى الأمر.. تلك اللحظة التي ذكر فيها اسم شيرويت وهما بدار العرض السينمائي, الحريق الذي غمر أعماقها وأخرجها عن وقارها لتدفع بوعاء البوشار لرأسه, كانت كفيلة لتوضح لها أنها عبرت مرحلة الاعجاب بمراحل.. وأنها غاصت وغرقت بغبائها المعهود ببحور الهوى وما تجلبه من شقاء وأسى فكل الطرق تقود إلى تحطيم قلبها.. أو تحطيم قلب شيرويت.. وهي تحطمت مرة من قبل.. أما شيرويت فعزاؤها أن باسل لا يحبها حقاً, ومن الأفضل لها أن تبحث عن رجل يقدر هشاشتها ورقتها.. ويقدر ما يمكنها تقديمه له من حب حتى لو كان بارداً مثلها...

رنين عنيد من هاتفها أخرجها من أفكارها.. ظنته باسل في البداية فردت بسرعة لتجد ناريمان تصيح بها:

ـ أين أنتِ؟.. اتصل بكِ منذ ساعات.. هل استسلمتِ له بتلك السرعة؟..

زفرت لمى بغيظ.. فهي لم تكن تريد التواصل مع ناريمان الآن.. عاد صوت ناريمان يصدح بغضب:

ـ لقد ظننتك مختلفة.. اعتقدت أنكِ تضعين مستقبلك قبل كل شيء.. ولكنني كنت مخطئة.. فها أنتِ تسقطين في شباكه بعد أقل من يومين.. هل نمتِ معه؟..

صرخت بها لمى:

ـ اخرسي.. أنا لا أهتم من تكونين.. وما هو منصبك.. عندما تتطاولين عليّ بتلك الطريقة.. فلا يوجد رد عندي سوى.. اخرسي..

صمتت ناريمان وقد أدركت أن الفتاة لم تسقط بعد.. فقد منحتها الإجابة بدون أن تدري.. ساد الصمت لثوانٍ.. قبل أن تقول ناريمان:

ـ حسناً.. أي كان ما حدث الليلة.. فيبدو أنكِ تتقدمين بطريقة جيدة.. استمري في حصاره وملازمته..

أغلقت ناريمان الخط وتركت لمى تحترق غيظاً من تلميحاتها, بل وتصريحاتها أيضاً..

غمغمت لمى لنفسها..

"حسناً.. يا سيدة ناريمان.. هل تظنين أن محاصرته هي الحل؟!.. لست أدري كيف خانك ذكائك؟!.. أم ربما رغبتك في إنهاء الأمر سريعاً هي ما سببت التباس الأمر عليكِ؟!..

(8)

اتخذت لمى قرارها ونفذته في الصباح الباكر حيث خرجت من منزلها قبل وقت طويل من موعدها مع باسل..

أرسلت له تخبره بوجود عمل عاجل وضرورة ذهابها إلى المجلة وعدم استطاعتها انتظاره.. فهي قررت العمل عكس نصيحة ناريمان.. والابتعاد عن باسل ولو ليوم واحد.. تريد البعد عنه بمشاعرها للتأكد نهائياً أنها سلمت حصونها.. تحتاج للابتعاد عن هالته المسيطرة وتأثيره الطاغي عليها.. ابتسمت وبخيالها ترى سيارته أمام منزلها وتصارح نفسها؛ تريده أن يشتاق لوجودها.. أن يفتقدها.. ويحن إليها, لا أن تتحول إلى شيء روتيني في حياته..

وكان لـلمى ما أرادت بالضبط.. وكاد باسل أن يحطم الهاتف غضباً وهو يقرأ رسالتها.. لقد أراد رؤيتها بشدة.. ورغب في التواجد معها والشعور بها قريبة منه.. فقد أصبحت ضرورة من ضروريات حياته.. ولا يدري كيف حدث ذلك بتلك السرعة؟.. قد يكون الحب, ولكن هل سيستسلم له ويخضع لسلطان قلبه ويتوقف عن الاستماع لعقله؟... أم يتناسى كل شيء ويعود بذهنه وأفكاره إلى شيرويت.. خطيبته الجميلة؟..

شيرويت.. خبط جبهته بكفه وكأنه تذكرها للتو, تذكر تخليه عنها ليلة أمس دون حتى محاولة لترضيتها.. قد تكون هادئة ناعمة لا تطالبه بالمشاعر الجياشة.. ولكنها بالتأكيد ستطالب بإخلاصه..

التقط الهاتف بتردد واتصل بها... يحدد معها موعداً تلك الليلة تعويضاً عن الليلة السابقة.. ولكن بعد إغلاقه للهاتف شعر بخواء غريب بداخله.. دوامة كبيرة من الفراغ تملأه, بل يشعر إنها ستبتلعه بداخلها.. سحقاً.. إنه يفتقد لمى.. يفتقدها للغاية وقد مرت عدة ساعات فقط على رؤيته لها..

حاول الاتصال بها.. ولكنه وجد هاتفها مغلقاً.. حاول.. وحاول.. وفي كل مرة يجد الهاتف مغلقاً.. كاد أن يتصل بها في المجلة ولكن ذرة من العقل أخبرته بإمكانية وصول الخبر إلى ناريمان..

كيف سيمكنه التغلب على شوقه هذا في المستقبل.. كيف؟.. هل سيمكنه التخلي عن لمى تماماً؟.. ربما لا.. ربما توجد طريقة

أخرى.. طريقة للحصول على رضا العقل وسعادة القلب معاً...

****

جلس باسل أمام شيرويت بإحدى أفخم مطاعم القاهرة يستمع إلى هذرها بذهن غائب.. يتفقد هاتفه كل دقيقة بحثاً عن مكالمة أو رسالة من لمى التي ترك لها عشرات الرسائل وهي لم تجبه إلى الآن..

تصرخ أعماقه.. ماذا حدث؟.. هل هي منشغلة حقاً بعملها؟.. أم أنها قررت الابتعاد عنه وهجره إلى الأبد؟.. ولكن لماذا تتركه؟.. لماذا تهجره فجأة بدون أي إنذار..

تذكر جملتها الأخيرة له ليلة أمس.."أنت قررت بناء مملكتك مع الشقراء الضعيفة".. تباً.. لماذا لم يجبها؟.. لماذا لم يشرح؟..

هل صمته نبهها ذلك إلى استحالة علاقتهما؟.. هل قررت إنهاء الأمر قبل أن يزداد تورطهما..

ازداد اضطرابه وقلقه وهو يتفقد هاتفه للمرة الخمسين.. فسألته شيرويت بحنق:

ـ ماذا هناك؟... لم تبدو قلقاً هكذا؟..

ـ لا شيء.. فقط انتظر مكالمة هامة.

رن جرس الهاتف في تلك اللحظة, فالتقطه باسل في لهفة بينما سمع تذمر شيرويت:

ـ لِمَ لم تغلق هاتفك الليلة مثلما أغلقته من قبل في اجتماعك؟!

ـ عذراً يا عزيزتي.. ولكن كما أخبرتك.. انتظر مكالمة هامة.

رمق الشاشة بلهفة ليرى من المتصل وقطب حاجبيه تعجباً.. فالمتصل كان

رئيس جهاز الأمن بشركاته.. فتح الخط على الفور:

ـ سالم.. ماذا هناك؟..

أتاه صوت الرجل متردداً:

ـ آسف على إزعاجك سيدي.. أعلم أنك طلبت مني التوقف عن البحث في خلفية تلك الصحفية التي..

قاطعه باسل:

ـ نعم.. نعم.. ماذا حدث؟..

تنحنح الرجل ليجلي صوته ثم قال:

ـ لقد تعثرت في معلومة.. رأيت ضرورة أن أعلمك بها سيدي..

سأله باسل بصرامة:

ـ ماذا؟..

تردد الرجل قليلاً:

ـ أنها.. أنها.. أنها متزوجة يا سيدي.

****

قبل ذلك بعدة ساعات....

دوي صوت دقات الساعة العتيقة المعلقة في ردهة فيلا سمية هانم.. لتعلن عن التاسعة مساء.. فكانت كل دقة بمثابة ناقوس داخل لمى يعلن عن مولد ذلك الشعور المقيت؛ الغيرة..

لم تظن للحظة أنها من الممكن أن تمر بتلك التجربة مرة ثانية.. أن تغار على رجل ما.. بل إنها لا تعتقد أن تلك الحمم البركانية التي تفور في أعماقها.. قد ثارت من قبل حتى من أجل عادل..

لمحة أخرى سريعة للساعة جعلتها تدرك أنها كانت تذرع الردهة ذهاباً وإياباً لساعة كاملة... فهي انطلقت تاركة غرفتها في الثامنة عندما وجدت أنها غير قادرة على النوم أو الاسترخاء أو حتى العمل.. فكل تفكيرها ينصب حول باسل وسهرته الليلة مع خطيبته..

نعم.. فناريمان حرصت على إعلامها أنه أبرم موعداً جديداً مع شيرويت تعويضاً عن سهرة البارحة.. بتلميح واضح أنها تريد منها إفساد الموعد كما فعلت من قبل..

كان تلميح ناريمان الذي كان بصيغة الأمر تقريبا, يفسد الخطة التي وضعتها لمى ونفذتها منذ الصباح الباكر.. فهي تتجاهل باسل ورسائله ومكالمته التي اكتظ بها هاتفها منذ

الصباح, ولن تستطيع معاودة الاتصال به بتلك السرعة.. يجب أن تنتظر وقتاً أطول حتى تؤتي خطتها ثمارها ويفقد هو صبره تماماً, ولكن بعدما أغلقت الخط مع ناريمان لم تعرف ما أصابها!..

بدأت تشكك في صحة قرارها وهي ترمق هاتفها الذي يعلن كل عشرة دقائق تقريباً عن وصول رسالة جديدة.. أو مكالمة أخرى مفقودة من باسل.. وكانت تلك الرسائل التي تناشدها الاتصال به هي ما جعلتها تصمد إلى نهاية اليوم, بل عمدت إلى إغلاق هاتفها تماماً حتى تبعد نفسها عن إغراء معاودة الاتصال..

لا تستطيع الإنكار أن معرفتها بأمر موعده مع شيرويت أشعل مراجل الغضب

بأعماقها, فقد وجد البديل بسرعة.. رغم عدم توقف مكالماته ورسائله..

ما بال هذا الرجل؟.. هل يفكر في الجمع بينهما.. سحقاً.. لن يحدث هذا أبداً.. لن تسمح له.. لن تسمح له أبداً..

فكرة مجنونة تراودها بكشف ماضيها الذي يؤرقه, وليكن ما يكون.. ولكن هل تستطيع تحمل تبعات ذلك الأمر.. هل تمتلك من القوة الآن لتسترجع ما فات..

هل تفعلها؟.. هل...

وجدت نفسها ترمق الساعة كل دقيقة تقريباً وهي تقضم أظافرها بغيظ.. تلك العادة التي تخلصت منها منذ سنوات.. ولكنها وجدت نفسها تعود إليها تلقائياً عندما تتخيله يقبل يد شيرويت.. أو يسوي لها إحدى خصلاتها.. أو يسحب لها

مقعدها.. أو.. أو.. توالت الخيالات في ذهنها حتى كادت أن تصاب بالجنون... يا الهي.. إذا كان ما تشعر به الآن هو الغيرة؟.. إذاً ما الذي شعرت به من قبل مع عادل!!.. إنها لا تماثل تلك الآلام على الإطلاق..

أغمضت عينيها بألم وهي تتمتم..

"أكاد اشعر بالمرض.. أطرافي تؤلمني.. وذلك الانقباض, بل عدم القدرة على التنفس.. أشعر بالفعل أنني على وشك الموت.. الموت احتراقاً من الغيرة...

كم أكرهك يا ناريمان.. لم كان عليّ الاستماع إليكِ.. لم كان عليّ اللقاء بك يا باسل.. لم استطعت اختراق قلبي؟.. وكيف؟.. كيف فقدت حذري؟.. لم؟.. لم أنت بالذات؟"

انتابتها الحيرة وهي تتخيل النهاية.. ومن سيخط حروفها؟.. هل سيختار زواجه من شيرويت؟.. كيف؟.. إنها متأكدة أنه لا يحب شيرويت.. على الأقل ناريمان كانت صادقة في هذا.. ولكن هل يحبها هي؟.. أم أنها تمثل له نوع مختلف من النساء يريد أن يتذوقه فحسب؟.. تكاد تقسم أنها لمحت في عينيه أكثر من مرة نظرة تحمل معنى مختلف عن الاشتهاء الذي كان يرتسم بوضوح على ملامحه في بداية لقائهما...

عاد صوت ناريمان يرن في أذنيها..

"عليكِ أن تجعليه يترك عشائه مع شيرويت من أجلك مرة أخرى.. افعلي ذلك.. لا يهمني كيف تفعلينها.. فقط قومي بذلك"

أخذت تقضم أظافرها بقلق.. والفكرة المجنونة تراودها.. هل تفعلها؟.. تدرك أن

ذلك كفيل بإحضاره ركضاً إليها.. فهي تقرأ في عينيه حيرته الشديدة بشأن ماضيها ورغبته الشديدة في الكشف عنه... حسناً.. سيزعجها تعرفه على جزء من ماضيها, ولكن الآن يقتلها تخيلها لشيرويت ترقص بين ذراعيه..

التقطت هاتفها ودقت رقم ناريمان بسرعة قبل أن تغير رأيها:

- هل مازلتِ تريدين إفساد عشائهما؟.

جاءها الرد بسرعة:

- بالطبع.

التقطت لمى أنفاسها بسرعة:

- حسناً.. أخبريه أنني كنت متزوجة من قبل.

- وهل هذا صحيح؟

أخبرتها لمى من بين أسنانها:

ـ هذا ليس من شأنك.

ـ حسناً.. وكيف تقترحين أن أخبره بذلك الآن؟.. هل اتصل به وأخبره مثلاً!

غمغمت لمى بتوتر:

ـ ضعي المعلومة في طريقه.. أنتِ لن تعدمين الوسيلة..

ثم أغلقت الخط وألقت بهاتفها بعيداً..

وانطلقت إلى حجرتها وهي ترتجف ترقباً وألماً..

****

أما ناريمان فلم تكد تغلق الخط مع لمى حتى قامت بعدة اتصالات كانت نهايتها اتصال وصل لباسل أثناء تناوله العشاء مع شيرويت التي كانت ترتدي ثوباً طويلاً ذا

لون بني فاتح ينساب على جسدها ليخفيه كالعادة ويمنحها مظهر هادئ أكملته برفع شعرها في تصفيفة عالية تكاد تكون متزمتة.. وخفف من تزمتها زينة وجهها الهادئة.. والتي أظهرت رقة ملامحها وحزنها.. كانت تظهر كفتاة جميلة جداً غاية في الأناقة والارستقراطية.. فتاة تستحق أن تحمل لقب حرم باسل مختار.. ولكنه لا يدري لم لا ترى عيناه سوى عينين تحملان لون الفضة الذائبة.. وخصلات سوداء تطيرها نسمات الهواء لتحط على وجنتين ذهبيتين.. وشفاه بلون الكرز..

تعود أفكاره دائماً إلى جلستهما على الوسائد بين شتلات حديقته العلوية.. وهي تحاول أن تتحداه.. من منهما يستطيع تحمل المزيد من الشطة.. حتى دمعت عيناها واحمرت شفتاها وأنفها.. كانت صورة مغرية حتى

الهلاك.. أراد لحظتها تقبيل شفتيها الضاحكتين.. ولكنه تخوف من ردة فعلها.. والأصعب ردة فعله هو إذا ما انتقل بعلاقته معها إلى مرحلة أخرى...

تباً.. غمغم في نفسه.. عليه أن يتوقف عن التفكير في لمى والتركيز على خطيبته الجالسة أمامه.. لم لا يستطيع مجاراتها ومحاوراتها.. لم لا يشعر بالإغراء لتقبيل شفتيها الورديتين والذي لا يستطيع انكار أنهما تبدوان شهيتان للغاية ولكنه لا يريدهما.. اللعنة.. لم لا يكف عن التفكير في لمى.. وكل ما يخصها.. والإسكندرية.. وسبب هروبها من بلدتها.. وهروبها ومن ماضيها..

لم لا تعاود الاتصال به.. أو حتى ترسل له ما يطمئنه عنها.. اللعنة لمى.. ماذا أصابني؟..

لم تسيطرين عليّ هكذا؟.. كيف تمكنتِ من ذلك؟..

قطع تفكيره الاتصال الملعون الذي أنبأه به رئيس فريقه الأمني.. أن من تشغل باله...

- متزوجة..

عودة للحاضر.. المزعج..

كرر هامساً المعلومة التي أبلغه بها رجله.. ثم صمت لوهلة وحاول التحكم في ملامح وجهه -التي تعبر عن الصدمة والغضب- حتى لا تفضحه أمام شيرويت وقال لمحدثه:

- هل هناك أي معلومات إضافية؟

- كلا يا سيدي.. هل تريد مني أن أتحرى عن الأمر؟

- كلا.. ليس الآن.. سأبلغك متى..

ـ حسناً يا سيدي.

أغلق باسل الخط وهو يضغط على الهاتف بقسوة شديدة كانت ترجمة لتعابير وجهه التي لم يستطع الحفاظ عليها هادئة لوقتٍ أطول ولاحظت شيرويت ذلك على الفور, فسألته بقلق:

ـ ماذا هناك؟

أجابها باختصار:

ـ مشاكل.. هيا بنا.. يجب أن نذهب الآن.

أُخذت شيرويت من القسوة والغضب التي تبدو على ملامحه, فأجابته بتسامح وهي تحاول تقمص شخصية الزوجة المتفهمة لمتطلبات عمل زوجها:

ـ سأطلب من بهاء أن يصطحبني.. اذهب أنت.. فيبدو أن الأمر يحتاج تدخلك بسرعة..

غمرت باسل مشاعر مختلطة.. فهو يسرع ليتركها من أجل امرأة أخرى.. امرأة أطارت عقله من رأسه, وفي المقابل يجد التسامح والشديد وحسن النية من شيرويت, فسألها متردداً:

ـ حقًا.. لا تمانعين.. أنا يمكنني أن اصطحبك إلى منزلك أولاً.. لا داعي لتنتظري هنا وحدك..

أجابته برقة:

ـ اذهب وحل مشاكلك ولا داعي لقلقك.. فأنا لن أنتظر وحدي, بهاء خارج المطعم بالفعل.. أنت تعلم أن أمي تجعله يرافقني في كل مكان.. أعتقد أن تلك ميزة الحارس الخاص..

ـ حسنًا.. شكراً لكِ يا عزيزتي.. أنتِ متفهمة جداً..

وتحرك مسرعاً نحو الخارج ولم يرَ الا بتسامة الساخرة التي ارتسمت على وجهها وهي تتراجع في مقعدها براحة رافضة استدعاء بهاء بسرعة فقد قررت التمتع بعشائها للنهاية حتى وإن تناولته وحيدة...

ولكن امرأة بجمالها لم تكن لتظل وحيدة طويلاً.. فبعد عشرين دقيقة بالضبط وجدت داغر أمامها على المائدة.. لم تستطع كبح دهشتها وهي تجده ببساطة يسحب المقعد الذي كان يحتله باسل منذ دقائق ويجلس مضجعاً براحة ومصرحاً بهدوء:

ـ هذا الثوب لا يليق بكِ...

ابتلعت دهشتها سريعاً وهي تجبه بتحدي:

ـ هذا المقعد لباسل..

ابتسم بتحدٍ أقوى وهو يقترب بوجهه منها:

ـ كلا.. لم يكن أبداً له وكلما وضعتِ عقلك برأسك وتوقفتِ عن معاندتي.. كلما كان أفضل..

همست بغيظ:

ـ أنا سأتزوج باسل..

أغمض عينيه بنفاذ صبر:

ـ شيري.. الصبر لم يعد أحد فضائلي.. يعلم الله كم استنفذت من مخزوني منه على مر سنوات..

همست ساخرة:

ـ تلك مشكلتك.. أنت من تحملت زواج فاشل..

قاطعها بغضب:

ـ لقد نفذ صبري عليكِ أيتها الغبية..

اتسعت عيناها بذهول وخوف من نبرته وزاد خوفها ويده تمتد لتمسك يدها ويهمس بحنق:

ـ اتركيه يا شيري.. هو لا يناسبك.. اخلعي خاتمه.. أرجوكِ..

هزت رأسها برفض:

ـ كلا.. لن أفعل..

زفر بغيظ وهو يشير بيده:

ـ لقد غادر الأحمق وتركك.. أي رجل يفعل هذا مع زوجته المستقبلية!!..

رفعت ذقنها بكبرياء:

ـ ذهب لحل مشكلة طارئة بالعمل.. وأنا مَن طلبت منه الذهاب.. لم يتركني وحيدة, فبهاء بالخارج..

اتسعت ابتسامته وهو يعود ليضجع بثقة:

ـ نعم بهاء..

وغمزها بضحكة تحولت لقهقة بالرغم منه.. فصاحت بحنق:

ـ ماذا تقصد؟.. هل تلمح لوجود علاقة..

قاطعها بسرعة:

ـ لا تندفعي بلسانك المتهور هذا.. إن بهاء يحميكِ كما تحمي الدجاجة أفراخها.. ذلك ما قصدته وما أنتِ متأكدة منه تماماً..

احمر وجهها وهي تدرك تلميحه فقال بتقرير:

- نعم.. لقد اتصل بي بهاء.. كما توقعتِ أنتِ تماماً..

احتقن وجهها تلك المرة وهي تجبه بتلعثم:

- هاه.. ماذا!... هل اتصل بك بهاء؟..

تنهد بحيرة:

- شيري.. هل ستتزوجينه بالفعل؟..

رفعت عينيها إليه.. نظراتها تخبره كم هي مجروحة منه... كم آذاها بالرغم أنه كان يريد صالحها فقط.. ولكنها لم تدرك ذلك.. لم تفهم قط كيف أنه أرادها أن تنضج بتفكيرها وقلبها ومشاعرها قبل أن يصارحها برغبته في الزواج منها.. هي فقط كانت أصغر من أن تستوعب مشاعره كرجل أراد الحفاظ على بيت مناسب لابنته.. وفي الوقت ذاته حاول كبح جماح

مشاعر عنيفة ولدت بداخله نحو بنت عمه التي طالما اعتبرها ابنة صغيرة له.. ويبدو أنها مازالت لم تفهم بعد فها هو صوتها يتردد بغضب:

- نعم سأتزوجه.. وأنت من ستسلمني لزوجي المستقبلي.. أليس كذلك يا ابن العم؟

عاد يتنهد بحرقة:

- شيرويت.. لا تدمري حياتك من أجل انتقام أحمق..

- أنا لا أنتقم منك.. لا تمنح نفسك مركزاً لا تستحقه..

- هل ستتزوجين من رجل لا تحبينه فقط لاثبات وجهة نظر غبية؟..

- من قال أنني لا أحبه.. أنا..

قاطعها:

ـ أنا لست ناريمان لأقتنع بهذرك السخيف..

وتحولت نبرته لحميمية دافئة:

ـ أنا رأيت شيرويت العاشقة.. وأعرفها جيداً.. فلا تحاولي خداعي..

سألته ساخرة:

ـ ألم تكن امرأة مبتذلة.. تمتهن جسدها و.

قاطعها بعنف:

ـ أنتِ لن تغفري تلك الكلمات قط!.. لقد تحكم بي الغضب و..

قاطعته بدورها:

ـ أصدق الكلمات تقال ساعة الغضب..

غمغم بحنق:

- بل أكثرها حماقة..

اتسعت ابتسامتها:

- لكن هذا لا ينفي أنك وقتها اخترت العودة لزوجتك وتجاهل العرض المثير للشفقة..

عاد ليتمسك بيدها هاتفاً:

- اخلعي ذلك الخاتم لنتمكن من الحديث..

هزت رأسها:

- قل ما تريده الآن..

- أنا لا أفعل ذلك مع امرأة رجل آخر..

ارتفعت زاوية فمها بغضب ساخر:

- طالما تعتبرني امرأة باسل, فاستعد لتسليمي له بعد ثلاثة أسابيع..

ونهضت ببطء وهي تتحداه بعينيها ثم غمزته:

- ليلة سعيدة.. يا ابن العم...

****

دلف باسل إلى سيارته سريعاً آمراً سائقه بالتوجه إلى المعادي.. إلى من سرقت راحة باله وسلبت عقله.. ينتابه شعور عاصف بالغضب.. كيف تجرؤ؟.. كيف تجرؤ على التلاعب به وهي امرأة رجل آخر؟.. كيف سمحت لنفسها بمجاراته؟.. كيف؟.. هل اعتادت على مصاحبة الرجال؟.. هل تمتلك كثير من العشاق؟.. كادت الغيرة أن تقتله وهو يتخيلها تنتقل من رجل لآخر..

لم يستطع وصف الشعور الذي يخالجه وهو يتخيل رجلاً آخر يمتلكها!.. يذوب في فضية عينيها أو يرتشف رحيق الفريز من شفتيها..

تباً.. إنه على وشك الجنون..

ضرب بقبضته مقعد السيارة في غضب وهو يتصور أنها قفلت هاتفها وتهربت من لقائه حتى تتمتع بموعدها مع زوجها الخفي..

إذاً ما دوره هو في تلك الحلقة.. كلا ليست حلقة.. بل مثلث مبتذل من الزوج والزوجة والعشيق.. أم يا ترى هو مربع أكثر ابتذالاً بوجود شيرويت في الصورة..

كلا.. كلا بالطبع ما هذا الهراء.. هو ليس عشيق للمى.. قد يكون معجباً بها..

شعر بقلبه ينتفض رفضاً لكلمة "معجب"..

فصححها لنفسه.. "مغرماً"..

شعر بقلبه يفقد إحدى دقاته وترتفع أخرى نابضة بغضب..

"بل عاشقًا لها أيها الأبله!.. وهل ما تمر به من انفعالات هي رد فعل طبيعي للإعجاب أو الغرام السطحي؟!.. اعترف أنك سقطت.. وبقوة.. سقط في بحور عشقها"..

غمغم بهلع..

" يا إلهي.. يبدو أنها سلبت قلبي أيضاً.. كيف سأتحمل ذلك"

كان قد وصل أمام مقر سكنها.. وهنا انتبه فجأة إلى عدة حقائق.. أنها تقطن في سكن مغتربات.. لقد تيقن من هذا.. وهي تركت بلدتها منذ سنوات ولم تعد إليها, فأين موقع ذلك الزوج المزعوم من حياتها؟.. هل كذبت عليه بخصوص ابتعادها عن الإسكندرية.. كيف؟.. وهو شعر بحنينها إليها في نظرتها وفي دموعها التي حبستها تحت جفونها..

إنه لا يفهم.. فقط.. لا يفهم.. يحتاج إلى كثير من التفكير.. يحتاج إلى رباطة جأشه التي يشتهر بها وسط عالم الأعمال الذي لا يرحم..

يحتاج أن يتصل بها الآن.. يريد أن يسمع تبريرها.. أسبابها.. أي شيء عندها لتقوله.. سيصدق أي تبرير منها.. حتى لو كان كاذباً مختلقاً.. فقط لا تكون كاذبة تتلاعب به..

أخذ يرمق هاتفه لوهلة متردداً هل يحادثها أم ينتظر حتى يراها وجهاً لوجه.. تنهد وحسم أمره, لا يمكنه تحمل مزيد من الانتظار.. ضغط الأرقام سريعاً وكأنه لم يعد يحتمل الانتظار أكثر..

****

ما أن وضعت شيرويت قدمها داخل منزلها حتى وجدت أمها أمامها ترمقها بنظرة غريبة.. ثم تنظر لساعتها وتسألها:

- أرى أن سهرتكِ انتهت سريعاً.. كما أنكِ أتيتِ برفقة بهاء وليس خطيبك العزيز..

غمغمت شيرويت بهدوء:

- لقد تم استدعاؤه للتعامل مع مشكلة تخص العمل..

أطلقت ناريمان ضحكة عالية:

- مشكلة!!.. تخص العمل!!.. نعم.. ولكن تلك المشكلة تدعى لمى..

صرخت شيرويت بغضب:

- أمي.. يكفي هذا.. لقد اتصل به سالم رئيس جهاز الأمن لديه في المجموعة.. لقد لمحت اسم المتصل بعينيّ..

رمقتها أمها بنظرة حزينة وهي تخبرها:

- نعم.. سالم من اتصل به لأنني تدبرت أمر إيصال معلومة ما تخص عزيزتنا لمى إليه..

ويبدو أن تلك المعلومة أغضبته بشدة, فذهب سريعاً إليها..

حاولت شيرويت مقاطعتها لكنها أسكتتها:

- لا.. لا يا عزيزتي.. لا تعترضي.. أنا متأكدة أنه في طريقه إليها الآن.. هل مازلتِ تعاندين.. لقد تركك وهرول إليها..

كم أنه قضى معظم نهاره معها أمس متغافلاً عن موعده معكِ.. ألا يمنحك هذا لمحة عن المستقبل؟.. ألا يخبرك من له الأولوية في عقله..

صمتت لحظة وقالت وهي تضغط على حروف كلمتها:

- في قلبه..

بادلتها شيرويت التحديق عدة لحظات بثقة.. فأمها أكدت ظنونها.. وهي بالطبع لم تكن تهتم مثقال ذرة.. فما يشغلها حقاً ما كان يود داغر قوله ويصر على خلعها خاتم باسل قبل أن يتفوه به.. هل تضغط عليه؟.. وهل بالفعل تريد الاستماع إلى كلماته؟.. ولكن ماذا لو كانت تلك الكلمات هي ما تحتاج سماعه بالفعل.. ماذا لو كانت هي الاجابة على كل أحزانها وحيرتها!.. ولكن كلا.. كلا.. لن تترك قلبها لعبة مرة أخرى بين يدي داغر.. إذا كانت تهمه بالفعل, فسيتحرك ليقتنصها.. ابتسمت ساخرة وهي تقارنه بباسل.. الذي تركها وهرع إلى المرأة التي يهتم بها بالفعل بدون النظر إلى أي اعتبارات رجولية سخيفة..

غمغمت بسخرية حزينة..

"باسل أيها الأحمق.. لقد سقطت بغرام

الأجيرة.. فقط أتمنى ألا تحطمك.. فأنا ليس بي رغبة لجمع بقاياك.. أنني أكاد أتماسك"..

ثم عادت ترتسم نظرة عاشقة بلهاء بعينيها وهي تحلم أن يتحرك داغر ويمنع زواجها من باسل.. فقط لو يتغلب على مبادئه العتيقة.. ولكنها عادت تراجع نفسها..

"أنتِ تحبينه من أجل تلك المبادئ.. لو رغبتِ في عاشق مجنون لأوقعت باسل بسهولة.. ولكنكِ تنشدين العاشق الرصين.. كي تخرجيه عن رصانته"...

أفاقتها صرخة أمها:

- شيرويت.. أين ذهبتِ بعقلك الأحمق!

كتمت شيرويت ابتسامة ساخرة وهي تجيب:

- لم تنتهِ اللعبة بعد..

وتحركت ذاهبة إلى غرفتها ببطء وثقة..

بينما ضربت ناريمان الحائط بقبضتها:

- تباً.. تباً لانتقامك الأحمق هذا.. اللعنة على تلك المشاعر..

جائها صوت أجش من خلفها:

- هي عاشقة متفانية.. مثل أمها تماماً..

التفتت بغضب لتهتف:

- بهاء!.. ما الذي تفعله هنا؟..

هز رأسه بحزن:

- لا داعي لتلك الطريقة يا ناريمان.. أنا لست أحد موظفيك..

- أنت تعمل لحسابي..

حرك سبابته أمام وجهها بنفي قاطع:

- مجموعة شركات زوجك تعاقدت مع شركتي.. أنا صاحب عمل اخترت بإرادتي حمايتك.. وحماية الصغيرة شيري..

سخرت:

- وأنت وافقت لتكفر عن ذنبك!

رفع حاجبه بعجب:

- أي ذنب؟!.. ناريمان.. لقد حملت لكِ مشاعر.. لا أنكر هذا.. ولكني لم أكن لأجرح زوجتي أو أطعن زوجك في ظهره..

همست بشراسة:

- لم وافقت إذاً؟

هز رأسه بحزن:

ـ طوال تلك السنوات ظننتِ أن وجودي بجانبك كان تكفيراً عن ذنب!.. ناريمان عزيزتي.. لقد كنت أوفي دين برقبتي لزوجك..

استفهمت بحيرة:

ـ ماذا؟!..

ـ ماذا أخبرك رحمي عن سبب تعاقده مع شركتي؟..

غمغمت بتوجس:

ـ لا شيء.. فقط أنها ضرورة..

زفر بألم:

ـ ناريمان.. أنا لم أرغب في ايذائك أو التسبب لكِ بأي ألم.. لقد وافقت على تولي حمايتك ثم حماية شيرويت بعد ذلك كعربون امتنان لرحمي.. فهو أنقذ حياتي مرة.. عندما كان مجنداً بالخدمة العسكرية..

وكنت أنا الضابط المسئول عنه في إحدى المهام.. وكانت مأمورية لإلقاء القبض على تاجر مخدرات شهير.. وحدث تبادل كثيف لإطلاق النيران.. وقتها حاولت أنا تطويق الرجل من الخلف.. حين أطلقت عليّ رصاصة لو أصابتني لكنت في عداد الأموات, ولكن رحمي سارع بدفعي بعيداً وأصابته الرصاصة في إحدى رئتيه.. والشكر لله.. لم تكن إصابته قاتلة.. وكانت دمائي التي منحتها له ما ساهمت بإنقاذه.. وكان هذا أقل ما يمكنني تقديمه..

صمت للحظة:

- ناريمان.. علاقتي بزوجك رحمه الله.. تعود لسنوات قبل أن أتعرف بكِ.. لم نكن أصدقاء بالمعنى الحرفي.. ولكن كل منا كان يعلم أن له سند ودعامة يمثلها الآخر.. لذا عندما أنشأت شركة الحراسات خاصتي,

لم يتردد بدعمي والتعاقد معي لأتولى أمن شركاته.. وأنا كذلك لم أرفض أن أكون الحارس الشخصي لزوجته ثم لابنته بعد ذلك.. إنها فقط رابطة رجولية بحتة..

تهالكت ناريمان على أقرب مقعد وهي تغمغم بألم:

ـ هل تعني أنني كنت أتوهم طوال تلك السنوات أسباب وجودك بجانبي؟..

رمقها بحزن:

ـ ناريمان.. هل تعلمين أن زوجتي توفيت؟..

رفعت عينيها:

ـ ماذا؟.. متى؟..

ـ قبل أن أعمل مع رحمي.. لقد كان ذلك سبب تركي للشرطة.. فقد تم اغتيال زوجتي

للانتقام مني.. كانت تحمل طفلنا الأول..

وتم قتلهما, بل اعدامها رمياً بالرصاص..

شهقت بعنف هامسة:

- يا الهي!.. كيف؟.. ماذا..

اجاب ببساطة:

- لقد انتقمت لها.. ألقيت القبض على القاتل.. وقتلته..

همست:

- قتلته!

- نعم.. وبعدها قدمت استقالتي وانشأت شركة الحراسات الخاصة..

سكت للحظة:

- لم يكن هدفي تعذيبك أو ..

قاطعته:

ـ أو التواجد بقربي.. لقد كنت تحاول مداوة جروحك الخاصة..

همست بذهول:

ـ لم يكن الأمر أكثر من مصادفة لعينة!..

سكتت لحظة ثم قالت بصوت مجهد:

ـ تصبح على خير يا بهاء.. أنا مرهقة وأحتاج بعض الراحة..

تنهد بهاء واجابها:

ـ ناريمان.. شيرويت لا تحب باسل.. حاولي التفاهم معها أكثر..

تركته ناريمان وبدت غارقة في بؤسها الخاص وصعدت لتلقي بنفسها على الفراش بأسى وأفكارها تتركز بكلماته.. أنه لم يكن يخطط ليكون بجوارها.. هي من توهمت طوال تلك السنوات.. هي من حصرت

نفسها في زاوية الحبيبة المهجورة بينما هو لم يعدها بشيء.. هي من ارتضت الزواج بلا بحب, من راقبت لسنوات قصة الحب الناعمة بين نجوى وراغب ـوالدي داغرـ حاقدة على كل همسة ولمسة ناعمة بينهما.. من تأجج الحقد والغيرة بقلبها حين مات راغب وعرض رحمي الزواج على نجوى حفاظاً على الإرث واسم العائلة ولكن نجوى رفضت بإصرار محافظة على ذكرى زوجها الراحل بين جوانحها..

همست بغضب..

"أنتِ يا ناريمان مَن اسأتِ فهم كل شيء.. من رميتِ بنفسك في زواج استثماري وأنتِ تعتقدين أنكِ تحققين طموحك.. أنتِ مَن ظللتِ تتعاملين مع بهاء بعنجهية وصلف معتقدة أنكِ تنتقمين منه, بينما هو

كان يعيش آلام وأحزان تفوق خيالاتك المعتوهة.. قد يكون حمل لكِ بعض المشاعر يوماً ما, ولكنه ليس الرجل الذي يعشق زوجة مخدومه سراً"..

وضعت وجهها بين كفيها هامسة ودموعها تتساقط..

"يا الهي.. ماذا فعلت بنفسي!"..

(9)

وكان البكاء هو بطل الليلة بلا منازع..

فبينما ناريمان تبكي كرامتها وحبها الذي توهمته لسنوات, كانت لمى تبكي ماضيها.. وقلبها الذي ظنت أنه تحطم من قبل..

وسنوات عمرها التي قضتها تهرب من مشاعر ظنت أنها دفنتها عميقاً ولن يصل إليها أي رجل آخر.. بعد عادل.. عادل..

ماضيها الحلو المر..

تفتحت عينيها كطفلة بريئة على وجوده حولها.. فهو كان جاراً لها..

بنايته تقابل البناية التي تسكن بها في حي سيدي بشر بالإسكندرية.. شرفتها تطل على نافذة حجرته..

أحبته منذ الأزل.. منذ تحولت مشاعر الطفلة المنبهرة بجارها الوسيم إلى مشاعر افتتان نجولة من مراهقة ذات ضفيرتين وجهاز تقويم للأسنان..

بدأت تراقبه وتتابعه دائماً.. تبحث عن الأعذار للتواجد حوله, حتى أنها قامت بزراعة بعض النباتات في شرفتها حتى تمنح لنفسها العذر للبقاء بها أطول وقت ممكن بحجة رعاية أزهارها.. ولكنه لم ينتبه إليها..

حاولت بشتى الطرق التي توصل لها عقلها المراهق أن تجذب انتباهه؛ من أجله فكت ضفيرتيها وأطلقت شعرها حراً مجنوناً تتمايل خصلاته إلى ما بعد خصرها.. خلعت جهاز تقويم أسنانها قبل موعده.. تعلمت وضع مساحيق الزينة وارتداء الأحذية عالية

الكعبين.. لقد تعلمت كيف تكون أنثى حتى تجذبه إليها.. وبالفعل انتبه لها أخيراً وكانت وقتها سنتها الأخيرة بالمرحلة الثانوية.. تفتحت أنوثتها, وظهر جمالها لينبئ عن ولادة أنثى فاتنة لفتت انتباه عادل على الفور..

أخبرها مرة.. أنه لم ينجذب لجمالها بقدر ما جذبه نجلها.. ووجنتيها اللتان تتوردان بسرعة شديدة ما إن يركز نظراته عليها..

وذابت مشاعرها على الفور لجملته تلك.. لم تفهم أنه أعجب ببلاهتها وسذاجتها التي أراد استغلالها..

بدأت قصة حبهما المزعومة.. وكان هو في سنته النهائية في الكلية الحربية.. فكانت مقابلتهما محدودة بوقت أجازته وعدم قدرتها هي على الخروج من المنزل بسهولة..

ومع تخرجه والتحاقها هي بكلية الآداب قسم صحافة وإعلام.. زادت حريتهما في الخروج وتعددت لقاءاتهما.. كان حبها بريئًا.. تفصح عنه نظراتها وصوتها وهي تحكي عنه لأمها وشقيقتها.. فهي أرادت حباً طاهراً لا يتوارى عن أعين الناس..

وأخيراً كللا حبهما بعقد الخطوبة والقران وكانت هي في السنة الثالثة من كليتها..

وكانت سعادتها لا توصف في تلك ليلة..

فأخيراً تحقق حلمها بالاقتران بحبيبها, ذلك الحلم الذي تحول إلى كابوس بطعم الخيانة..

خيانة لكل ما هو برئ ومقدس وطاهر..

وبعدما رفضت كل تبريراته واعتذاراته وفسخت خطبتهما, بل وحملت لقب مطلقة وهي حتى لم تعرف للقبلة مذاق.. تركت الإسكندرية ولم تنظر ورائها مرة ثانية

وأقسمت أن تصل.. وتنجح.. أن تمد يدها للنجاح وتخطفه خطفاً إن تطلب الأمر.. لم تعد تهتم من تجرح أو تؤلم لتحقق طموحها.. وحققت الكثير بالفعل.. وينتظرها الأعظم.. فهي تعلمت استخدام أسلحتها.. وتخلصت من تلك الخجولة ذات الوجنتين المتوردتين على الدوام..

أخرجها من بحور ذكرياتها طرقات على باب غرفتها.. تجاهلتها في البداية.. ولكنها ازدادت حدة.. نظرت إلى ساعتها لتجدها الخامسة والنصف صباحاً.. فزفرت بحنق وهي تفتح باب الغرفة وتصيح بغضب في وجه دينا زميلتها في السكن:

ـ ماذا هناك؟.. ما هذا الإزعاج؟.. نحن في الخامسة والنصف صباحاً!

أجابتها دينا بغيظ:

- قولي هذا للمجنون الذي بالباب.. فهو لا يريد الرحيل قبل أن يراكِ.

ما إن سمعت لمى جملة زميلتها الممتعضة حتى لفت نفسها بمئزر منزلي وانطلقت لترى من يريد أن يراها في الخامسة صباحاً وصوت خافت ينبئها بأنه لا يوجد سوى مجنون واحد قادر على اقتحام المنزل في ذلك الوقت.. ولكن ما الذي أخره إلى الآن؟.. يبدو أن ناريمان لم تستطع إيصال المعلومة إليه في الوقت المناسب..

وصلت لاهثة إلى باب الفيلا بأقصى ما استطاعته من سرعة وكلمات زميلاتها في السكن ترشقها كالحجارة.. فوصلها تذمرهن وتنابذهن كاملاً..

فتحت الباب أخيراً لتجد باسل يذرع الردهة القصيرة وهو يزفر بغضب واضح..

فبادرته:

- باسل.. ماذا تفعل هنا الآن؟..

التفت إليها بغضب وأمسك كتفيها بشدة وهو يسألها بعنف:

- لم لا تجيبين على هاتفك؟.. هل تعلمين منذ متى وأنا أحاول الاتصال بكِ؟..

تملصت من بين يديه وقد أزعجتها طريقته العنيفة معها فزجرته بعنف:

- باسل.. هل جننت؟؟ هل تسعى لإحداث فضيحة في المكان؟..

هم بإجابتها ولكنه وجد عدة أزواج من العيون تراقب ما يحدث بينهما في اهتمام.. وتحمل نظراتهن تعبيرات تتراوح بين الغضب والاستهجان والفضول..

تحرك ليغلق الباب بينهما وبين الأعين المتطفلة وعاد لسؤالها:

ـ لماذا لم تردي على اتصالاتي؟..

قطبت في حيرة:

ـ أي اتصالات؟

صاح بغضب:

ـ أي اتصالات!!..

ثم ارتفع صوته أكثر وبان فيه الكثير من العنف المكبوت:

ـ أي اتصالات.. هل تمزحين؟.. أنا اتصل بكِ منذ الحادية عشر مساء.. لولا أنني رأيتك بعيني الآن تخرجين من ذلك المنزل لاعتقدت أنك قضيتِ ليلتك خارجه.. فأنا أمام منزلك منذ ليلة أمس أحاول الاتصال

بكِ!.. أين هاتفك اللعين؟.. لما لم تجيبي عليه؟

رمقته بذهول.. ذهول من عنف كلماته.. من ظنه بأنها تقضي لياليها خارج منزلها.. ظهر الغضب في عينيها رداً على ظنونه المجنونة وصرخت به:

- كيف تجرؤ؟.. كيف تظن..

قاطعها وقد وصل صبره لآخره:

- لماذا لم تجيبي على هاتفك؟.. أنا أتصل منذ ليلة أمس..

رددت بحيرة وقد تذكرت أنها تركت هاتفها في ردهة الفيلا أمس بعد أن حادثت ناريمان:

- هاتفي!!.. ليلة أمس!!

حركت رأسها بيأس تحاول التركيز.. تحاول استيعاب أنه بات ليلته أمام منزلها محاولاً

الاتصال بها.. الوصول إليها.. وهذا يعني شيئاً واحداً فقط, أن خطتها نجحت.. لقد أفسدت عشاءه مع شيرويت.. ونجحت في إحضاره إليها راكضاً.. ولكن للأسف أتى مشبعاً بكل الظنون السيئة نحوها..

حاولت أن تجيبه ولكنه عاد لمقاطعتها:

- هل يوجد مكان نستطيع الكلام فيه بدون أن ترصدنا كل تلك الأعين؟..

التفتت لترى زميلاتها يتابعن نقاشهما من النافذة المطلة على الردهة الخارجية,

فأشارت له إلى الحديقة الخاصة بالفيلا..

وتحرك معها بهدوء إلى أن وصلا إلى مائدة تخفيها عن الأعين أجمة من الأشجار.. وقد ظللتها مجموعة كثيفة من أوراق النباتات..

ما إن جلس حتى بادرته:

- باسل.. ما الذي يحدث؟.. كيف تقتحم المنزل في هذا الوقت؟ بل ما هذا الكلام حول بقائك طيلة الليل بالخارج؟..

لم يجب على أي من تساؤلاتها ولكنه سألها مباشرة:

- هل أنتِ متزوجة؟..

نهضت من مقعدها وكتفت ذراعيها أمام صدرها ورمقته لوهلة بسيطة, وهي تفكر أن ناريمان قامت بإيصال المعلومة ولكنها أغفلت جزئية إنها "كانت" متزوجة..

أجابته:

- وماذا يهمك في ذلك الأمر؟

اقترب منها بشدة ولكنه كان حريصاً ألا يلمسها فهو يشعر بطاقة هائلة من الغضب:

- أجيبي على سؤالي.. أنا انتظر من ليلة أمس حتى أحصل على إجابة لسؤالي.

راوغته في الإجابة:

- إذاً.. لماذا لم تطلب الإجابة ممن أبلغك تلك المعلومة؟

صرخ بغضب بدأ يفلت من سيطرته:

- لمى.. أجيبيني.. هل أنتِ متزوجة؟..

هزت كتفيها وهي تمنحه الإجابة:

- كنت..

- ما الذي يعنيه هذا؟..

تحركت لتوليه ظهرها:

- ما الذي تعتقد أنه يعنيه؟.. لقد انفصلت عن زوجي..

- لماذا؟..

سكتت قليلاً.. هي تعلم أنه سيطلب تفسيرات.. منذ قررت إظهار ماضيها وهي تعلم.. هي من بدأت ويجب عليها إكمال الطريق إلى آخره.. ولكنها الآن تقف عاجزة عن منحه ما يريد..

التفتت لتهاجمه بعنف:

ـ الأسباب لا تعنيك في شيء..

تحرك ليمسك بذراعيها وواجهها قائلاً:

ـ أنتِ الآن غير متزوجة؟..

أجابته باقتضاب:

ـ نعم..

لمح الحزن يرسم ظلاله على ملامحها فرفع ذقنها بسبابته لينظر إلى عينيها الواسعتين وقد أصبحتا بلون الدخان وتجمدت الدموع فيهما:

- هل هذا سبب تركك الإسكندرية؟..

أومأت برأسها موافقة, عاود سؤالها بخفوت:

- هل أحببته؟..

أبعدت وجهها عن أصابعه والتفتت لتوليه ظهرها مرة أخرى مانحة لعبراتها الحرية من سجن مآقيها..

لفها لتواجهه وسألها وهو يشعر بنغزات قوية من الغضب.. لقد منحت قلبها لرجل غيره.. منحته نفسها وعقلها وكيانها..:

- لم انفصلتما إذاً؟.. ألم يكن يحبك بدوره؟

ضحكت من وسط دموعها.. كانت ضحكة جافة.. خشنة.. مليئة بالمرارة:

- هل تريد الحقيقة؟.. أنا لا أعلم!!.. لا أعلم أن كان يحبني كما كان يردد.. لا أعلم

كلمات الحب التي أمطر بها أذناي

لسنوات.. كانت حقيقية أم أنه رددها

ليستكمل الدور..

سألها بتوجس:

ـ أي دور؟..

ـ دوره كعاشق ولهان.. كخطيب سعيد يريد

الزواج من حبيبة عمره كما كان يلقبني..

مرددا كلمات الحب والعشق والشوق.. كما

ترى في النهاية هي كلمات.. ولكن الواقع..

الواقع.. كان ثوب نوم نسائي معلق في

غرفته!

ضحكت بمرارة:

ـ ثوب نوم نسائي لا يخصني.. كان ذلك ما

وجدته عندما ذهبت أنا وأمي لترتيب بضعة

أشياء في شقة الزوجية, فالزفاف كان على

بعد أيام.. وفي الشقة.. شقتي المفترضة..

وجدت الثوب معلقاً في غرفته..

ظل باسل صامتاً.. فحركت رأسها بقوة

فتناثرت خصلات شعرها:

- هل تعلم ماذا كان رده عندما سألته عنه؟..

كان يخشى معرفة الإجابة.. فحدسه يخبره بأن القادم أكثر إيلاماً.. لم تنتظر لمى أجابته وأكملت بمرارة:

- كان ملكاً لزوجة شقيقه.. شقيقه المغترب ليوفر لتلك الساقطة حياة كريمة.. تاركاً إياها وابنته في رعاية أخيه.. خطيبي المحترم..

ضحكت بسخرية وهي تردف:

- يبدو أنه اندمج في الدور أكثر مما يجب..

سألها بتوجس:

- ولكن هل فسر لكِ سبب وجود الثوب؟.. ربما..

قاطعته بحدة:

- ربما ماذا؟.. ظلمته؟.. أخطأت الفهم؟.. كلا.. لقد كان في غاية الوضوح وهو يخبرني.. أنها ستكون حقيقة واقعة في حياتنا معاً.. وأنه غير قادر على الاختيار بيننا!!

عاودت الضحك بطريقة هستيرية وهي تخبره:

- والمثير للسخرية أنه أخبرني أنني لا أحبه بما يكفي حتى أقبل بحياته التي هي كانت جزء منها لسنوات... وستسمر جزء منها للأبد!!..

أخذت نفساً عميقاً ثم سألته:

- ماذا!.. هل ترى أنني أخطأت الفهم؟

هز رأسه ولم يتكلم.. خيم الصمت عليهما لفترة .. ثم سألها بحذر:

- هل مازلت تحبينه؟..

سقطت عبراتها بوضوح تلك المرة وهي تخبره بألم:

- لم أعتقد أنك تؤمن بتلك المصطلحات..

الحب.. الإخلاص.. الوفاء.. إنها كلمات.. فقط كلمات..

وضع باسل يديه في جيوبه وهو يخفض رأسه أرضاً.. شاعراً بيأس وغضب شديدين.. كان يظن أن ما شعر به عندما سمع خبر زواجها هو الغضب.. ولكن الآن وهي تقف أمامه ترتجف من بكائها المكتوم

بسبب ذكرياتها مع رجل آخر.. رجل غيره أسمعها عبارات الحب والهيام ليجرحها ويخدعها مدمراً ثقتها بكل ما هو صادق ونقي, ولكنها رغم ذلك تبكيه.. يشعر الآن بأنه محطم.. شعور حارق لم يعرفه من قبل وهو غير قادر على تعريفه.. فقط أنه اكتشف الآن أنه يستطيع أن يرتكب جريمة قتل, ويمحي هذا الخطيب المزعوم من الوجود..

عاود سؤالها بحذر:

- وماذا حدث بعد ذلك؟..

هزت كتفيها بألم:

- كما نتوقع.. طلبت الانفصال.. وهو حاول التبرير والاعتذار كثيراً.. ولكن في النهاية كان لي ما أردت.. وتم طلاقي قبل زفافي بأيام..

ازدردت ريقها ومسحت دموعها ثم سألته:

- هل أرضيت فضولك؟.. هل الإجابة كانت تستحق انتظارك طيلة الليل خارج باب منزلي؟..

أجابها بتردد:

- لمى.. أنا..

تحركت مبتعدة عنه وهي تخفي عنه دموعها التي عادت تتساقط ولكنه أوقفها وهو يرفع وجهها الدامع إليه يمسح بإبهاميه دموعها:

- لمى.. لا تبكي.. لا أحب أن أرى دموعك..

وأكمل في نفسه.."من أجل رجل آخر"..

أغمضت لمى عينيها فتساقطت دموعها غزيرة على وجنتيها وقد تملكها الألم والذكريات السوداء تتوارد في عقلها..

لعنت غبائها, بل لعنت قلبها الذي حولها إلى ساذجة بلهاء.. لم تلتفت مبكراً إلى حقيقة علاقة عادل بـــهالة ـزوجة شقيقهـ اتصالاتها المستمرة في كل مرة يأتي عادل لزيارتها.. عدم قدرته على إغضابها أبداً.. حتى ولو على حساب لمى..

وجودها كطرف ثالث في كل موعد لهما..

وتبرير عادل بأنه يريد أن ينزه ابنة شقيقه, ولكن مدة أجازته محدودة..

لقد كانت بلهاء غبية حقاً وهي تفتخر بزوجها الشهم الذي يضغط على نفسه ويأخذ من أوقات راحته حتى يراعي الأمانة التي تركها شقيقه بين يديه..

ويالحقارة الطريقة التي تعامل بها مع أمانة شقيقه..

نظرت لباسل وقد تشوش المنطق في رأسها فلم تعد واثقة من هو أمامها.. عادل.. أيقونة الخيانة بكل صورها.. أم باسل العابث الذي لا يترك فرصة للعبث من وراء ظهر خطيبته إلا ويسعى لاقتناصها.. ما الفرق بينهما؟.. حقًا.. هل كتب عليها أن تسقط في الحب دائماً مع كل رجل خائن على وجه الأرض..

تمتمت بصوت هامس:

- يا الهي.. لقد أصبحت مغناطيس لكل رجل خائن..

انتفض مبتعداً عنها وهو يسألها بعنف:

ـ ما الذي يعنيه هذا؟.. هل تساوين بيني وبين هذا الخسيس؟..

غمغمت بشرود وقد فقدت القدرة على التركيز أو حتى تمييز ما تقول:

ـ وما الفارق؟.. ما الفارق بينك وبينه؟.. ما الفارق بيني وبينها؟.. كلنا خونة..

أخذت تردد في ألم وذهول:

ـ كلنا خونة.. كلنا..

قاطعها باسل بعنف:

ـ لمى.. توقفي عن هذا..

تساقطت دمعاتها وهي تهمس:

ـ لقد انجرفت معك.. سحبتني لدنياك.. كيف استطعت أن أنسى؟.. كيف..

صرخ بها:

- أنا لست عادل.. و..

رفعت رأسها بغضب:

- كلكم سواء.. كلنا سواء..

ثم زفرت بحنق:

- باسل.. اذهب الآن.. أرجوك.. أنا لن احتمل المزيد.

رفض التحرك بعناد.. لن يتركها لتعود لماضيها مع هذا الوغد الخسيس ولو بخيالها.. لن يبتعد عنها للحظة واحدة تسترجع فيها كلمة.. أو ابتسامة خصها بها هذا الأحمق.. لن يتركها وفي ذهنها تضعه في مرتبة واحدة مع ذلك الوضيع الحقير.. إنه ليس كعادل, قد يكون أخطأ بحق شيرويت.. ولكنه ليس عادل.. كما أن حدسه يخبره أن

شيرويت تعلم بشأن مغامراته ولا تمانع..

ولن تمانع مستقبلاً أيضاً!..

صرخ بها:

ـ لن أذهب يا لمى.. لن أبتعد...

همت بالابتعاد وهي تصرخ به:

ـ حسناً.. ابقَ هنا.. أنا ذاهبة إلى داخل المنزل..

أوقف تحركها سريعاً بعدما جذبها من مرفقها هاتفاً بها:

ـ لن أدعك تذهبين وتلك الأوهام مسيطرة على عقلك.. ليس معنى أنكِ تعثرتِ برجل وضيع لم يتورع عن طعنك, بل وطعن أخيه بالخيانة... أن الجميع مثله.. ولن أدعك تشوهين علاقة متميزة كتلك التي تربطنا بوصمة الخيانة..

نزعت ذراعها من يده وهي تهز رأسها برفض:

- دعني الآن يا باسل.. أرجوك.. أحتاج قليلاً من الوقت بمفردي..

صاح معترضاً:

- لمى.. كلا.. لن..

رفعت إليه عينين متوسلتين تستجديان التفهم.. تريد أن تنفرد بآلامها.. تذهب وتغلق على نفسها لتلعق جراحها بمفردها.. تريد استعادة لمى الواثقة القوية مرة أخرى.. أرادته أن يفهم أنها لن تعرض آلامها على الملأ.. وأن ما كشفته له من نفسها أكثر مما فعلت مع أي شخص في حياتها...

لمح الصراع الدائر في عينيها.. وبقدر رغبته في عدم مفارقتها, وأخبارها أنها تستحق رجلاً أفضل بكثير من ذاك النذل.. بقدر الغضب الذي تملكه لتأثرها الشديد بعادل.. رغبة قوية بداخله تدفعه للقضاء على ذلك الرجل الذي دمر أحلامها واغتال براءة العشق بقلبها.. لذا تركها ترحل عنه وحدس قوي بأعماقه يخبره أنه تورط.. تورط وبشدة..

****

مر أسبوع كامل على ذلك اليوم.. وليومين كاملين حبست لمى نفسها بغرفتها.. لم تذهب إلى عملها.. ولم تجب على هاتفها الذي أحرقه باسل باتصالاته ورسائله.. وبالطبع لم تلاقيه أمام منزلها كما اعتادا وكما دأب هو على انتظارها, حتى ناريمان رفضت الرد على أي من اتصالاتها.. بما في ذلك رسالتها

التحذيرية الأخيرة.. بأن الوقت يجري..

وأنها يجب أن تظهر حتى يستكملا خطتهما..

كانت لمى تريد الابتعاد.. فقط.. الانعزال ولعق جراحها التي فُتِحت من جديد.. وهي من تسببت في ذلك.. هي من نكأت الجراح, رغبة منها في الاقتراب من باسل واختراق قلبه.. لتتربع فيه وحيدة سيدة وملكة على قلبه.. مثلما هو احتل قلبها وسيطر على جميع حواسها..

ابتسمت وهي تتلمس بأطراف أناملها باقة رائعة من الجوري.. قربتها لوجهها وهي تقبلها بحنان.. فهو دأب على إرسال تلك الباقات يومياً.. وذلك بعد ما يأس من إجابتها على اتصالاته ورسائله.. وكل باقة كانت تحمل بطاقة مختلفة.. منها ما حملت

كلمات الغزل العابثة, وبعضها كان فقط اطمئنان على أحوالها وكأنه سؤال خفي "هل مازال عادل بيننا؟"..

أكثر من مرة كادت أن تفتح هاتفها لتجيب على سؤاله.. ولكنها كانت تخشى السؤال الآخر الذي يفرض نفسه.. "وماذا عن شيرويت؟"

دقات على باب حجرتها أخرجتها من شرودها, لتدلف دينا زميلتها في السكن داخل الغرفة وهي تخبرها بحماس:

- لمى.. مجنونك بالأسفل..

رمقتها لمى بذهول:

- ماذا!!!

ـ ذلك الرجل الذي أتى منذ عدة ليال..

ودأب من بعدها على انتظارك أمام المنزل..

إنه بداخله الآن..

ثم هزت كتفيها بمعنى, قومي بالمطلوب

لإخراجه منعاً للإحراج..

ذهبت له مسرعة حتى تقنعه بالذهاب,

فمدام سمية أسمعتها عدة عبارات عاتبة

لاستقبالها السابق له في الحديقة.. ولكنها لم

تكد تفتح شفتيها حتى بادرها هو بباقة رائعة

من الزهور.. تعرفت عينيها على زهرة

البوفارديا بها.. تلك الزهور الذي رفض

قطفها من أجلها سابقاً وأخبرها أمام نظرتها

المتعجبة:

ـ لقد أتيت بزهوري لتتوسط لي.. فهل

تقبلينها كرسول بيننا!

همست بذهول:

- باسل.. أنا..

أعطاها الباقة وهو يدفعها نحو السلم الداخلي:

- لن نتناقش هنا, فيما العديد من الآذان والأعين تترصدنا.. اذهبي لترتدي ملابسك.. أنا سأنتظرك في السيارة.

حاولت الاعتراض:

- ولكن....

دفعها برفق لتدخل المنزل:

- ربع ساعة لا أكثر.. لا تدفعيني لاقتحام غرفتك.. فأنا في أقصى حالات جنوني!!

تحركت لمى بسرعة لتغير ملابسها يدفعها الفضول.. الإثارة.. وإحساس خفي بالسعادة.. سعادة لا تعرف مصدرها.. بل هي تعرف ولكنها فقط تخشى الاعتراف..

ما إن دلفت إلى سيارته حتى أخبرها باختصار:

- اتصلي بهم في المجلة لتعتذري عن الحضور اليوم.. وقبل أن تسألي.. نحن سنقضي اليوم معاً.....

اعترضت بقوة:

- ماذا!!.. كلا بالطبع.. تكلم عما تريد.. ثم سأذهب لعملي.. لن أقضي..

أمرها بحزم:

- لمى.. حقاً.. لست في مزاج للجدال الآن.

وضعت يدها بخصرها تخبره آمرة هي الأخرى:

- حسناً.. موافقة.. ولكن بشرط واحد..

زفر بحنق:

- لمى... لن نتلاعبي الآن!

سكتت لأنها تعلم سبب غضبه, فهي ابتعدت بدون حتى كلمة وداع بسيطة.. صرفته بحزم في المرة الأخيرة ولم تلبي أي من اتصالاته.. وهذا بالطبع يغضبه.. ولكن.. ماذا يريد الآن؟.. ما الذي يشغل تفكيره؟..

انتابتها الهواجس والأفكار أغمضت عينيها محاولة الهروب منها.. ولكنها سيطرت عليها بقوة.. هل يعتقد أنها ستصبح أكثر تساهلاً معه الآن.. بالطبع... وإلا لما اقترح أن يقضيا اليوم معاً, وهي وافقت كالحمقاء وأكدت اعتقاده.. كلا.. يجب أن تتولى الزمام مرة أخرى.. أي لحظة ضعف أو اشتياق منها ستكون نهايتها, فباسل لا يمكن العبث معه... لا يمكن..

حسناً يجب أن يلبي شرطها فكما كشفت نفسها أمامه تريد منه المثل.. تريده أن يكشف كل أسراره.. يزيح الستار عن ماضيه.. وهي لن تتنازل عن شرطها..

همست بحزم:

ـ أنا لا أتلاعب.. ولكنك ستنفذ شرطي.. أنا أرغب في معرفة سرك.

رمقها بنظرة حادة بادلته إياها ولم ترمش بجفنها حتى سمعت تنهيدة بسيطة منه اعتبرتها موافقة على طلبها.. فالتقطت الهاتف واتصلت بالمجلة تخبرهم عن تغيبها اليوم بأكمله..

أما هو فكان يتأملها مغمضة العينين, يلتهم كل جزء في ملامحها.. ويحفظه في قلبه.. لقد اشتاق إليها.. شقاوتها.. ابتسامتها..

تلاسنهما وجدالهما المستمر.. اشتاق إلى كل جزء منها.. يحبها, بل يعشقها.. ولا يعرف سبيلاً ليتواجدا معاً..

كان قد قرر إنهاء الأمر وخاصة بعد مصارحتها الأخيرة له بحقيقة زواجها السابق.. أيقن أنه في طريقه لجرحها مجدداً, فكان قراره بالبعد.. قراره الذي أدرك عدم قدرته على تنفيذه مطلقاً فعاد إليها راغباً في رؤيتها.. لاهثاً وراء صحبتها.. يشعر أنها تحولت إلى إدمان بالنسبة إليه.

يريدها له.. ويجب أن يلعب بأوراقه بطريقة صحيحة حتى توافقه على رغبته..

لولا معرفته بماضيها القاسي لكان صارحها على الفور, ولكنه الآن يحتاج إلى مزيد من التروي والتحرك بهدوء حتى لا يخسرها إلى الأبد..

توقفت السيارة وسمعته يقول ببساطة:

ـ لقد وصلنا.

فالتفتت حولها لتعرف أين هما, لتفاجئ بوجود طائرة أمامها..

سألته بهلع:

ـ أين نحن؟..

أجابها في بساطة:

ـ المطار

ـ ماذاااااا

تمسك بيدها وسحبها معه وهي تتمتم بذهول:

ـ باسل.. انتظر... ماذاااا تقول؟.. طائرة.. ومطار.. هل جننت؟!..

استمر في سحبها معه حتى وجدت نفسها داخل طائرته الخاصة كما افترضت.. فزاد هلعها وهي تواصل إخباره:

- باسل.. فقط اسمعني.. أنا لم أجلب جواز سفري.. باسل..

وبعد عدة ثوان وجدت نفسها جالسة في كابينة القيادة في طائرته الخاصة.. فأملى عليها بضعة تعليمات.. ثم اتخذ مقعده كقائداً للطائرة.. وهي ترمقه في ذهول..

- باااااسل..

التفت إليها ليجيبها ببساطة:

- ألم تطلبي مني اصطحابك إلى الإسكندرية...

****

وقف يراقبها من شرفة كابينته بشغف..

كانت تمشي بوداعة على شاطئ البحر..

تلامسه أصابع قدميها للحظات, ثم تعدو

هاربة منه ثم ما تلبث أن تركض نحوه مرة

أخرى.. تترك مياه تغمر قدميها.. وتستمر هي

بالخوض فيه غير عابئة بشيء.. لمح المياه

تصل إلى ركبتيها وهي مازالت مسمرة في

مكانها.. فقط رفعت ذراعيها لترفع بهما

خصلاتها ثم تتركها للهواء يتلاعب بها.. ثم

تنحني لتلامس المياه برقة وكأنها تداعب

وجنتي رضيع.. للحظات تهمس للمياه بشيء

ما ثم تستقيم واقفة وتمرر أصابعها على

وجنتيها في استرخاء ممتع وتتساقط قطرات

المياه على عنقها في بطء مثير راسمةً

أمامه لوحة بديعة من الجمال الطبيعي

والإغراء الذي لا يقاوم..

تحرك من وقفته ليصل إليها فلم يحتمل بعدها أكثر من ذلك:

- لمى..

التفتت له والهواء مازال يتلاعب بخصلاتها:

- باسل.. أنا سعيدة جداً.. لقد كنت في غاية الشوق للبحر وسحر غموضه..

اقترب منها ليساوي خصلاتها المتطايرة بفعل نسيم البحر الثائر:

- أنا في خدمتك دائمًا..

حاولت الابتعاد عن أصابعه العابثة ولكنه منعها بقوة:

- لماذا اختفيتِ طوال الأسبوع الماضي؟..

رفعت عينيها إليه وهمست:

ـ احتجت للانفراد بنفسي قليلاً..

ـ هل..

قاطعته بسرعة:

ـ لا.. إنه دوري أنا في إلقاء الأسئلة.. كما أنني لم أسامحك بعد!

نظرت إليه بعبث.. فسألها متوجساً:

ـ لماذا!..

أجابته بشقاوة:

ـ لقد خدعتني..

سألها ذاهلاً:

ـ أنا!!!.. ماذا فعلت؟..

ضحكت على ملامحه المذهولة:

ـ لقد أتيت بي بالطائرة.. وليس بالسيارة.

أمسك يدها ليتمشيا معاً على الشاطئ:

ـ لكنني نفذت شرطك.. وقدت بكِ بنفسي.. إذاً أين الخدعة؟..

ـ ألن تخبرني سر عدم رغبتك في قيادة السيارة؟..

هز رأسه بصمت وادعى عدم سماعه لسؤالها وأخذا يتمشيا معاً, هي تداعب مياه البحر بقدميها, وهو ممسكاً بيدها يداعبها بأصابعه برقة حاولت جذب يدها منه إلا أنه ضغط عليها بقوة أكبر فتركتها له مستسلمة لمداعبته الخفيفة.. وبعد فترة وجدته يشبك أصابعهما معاً وترتسم على شفتيه ابتسامة غريبة أقلقتها.. فتوقفت فجأة وهي تقول بارتباك:

ـ لقد تعبت من المشي..

فما كان منه إلا أن جلس على الرمال وجذبها لتجلس بجواره قائلاً:

ـ لنجلس ونرتاح قليلاً..

حاولت جذب يدها إلا أنه عاد للتمسك بها رافضاً التخلي عنها..

أجلت صوتها قليلاً:

ـ ألم نتفق على أن تكف عن ملامستي؟..

ابتسم ابتسامة خفيفة:

ـ لقد اعتقدت أننا سنبدأ من جديد بشروط جديدة...

ثم رفع يدها إلى شفتيه ليقبلها مرددفاً:

ـ أو بدون أي شروط!

تعالت ضحكاتها:

ـ بدون أي شروط!!.. هذا طموح مبالغ فيه!..

جذبها من يدها بقوة خفيفة فاقتربت منه بشدة.. ولف وجهه ليواجهها هامساً:

ـ حسناً.. لنجعل اليوم فقط بدون أي شروط.. بدون أي قيود أو حواجز..

كانت أطراف أصابعه تتحرك بخفة على صفحة وجهها مسببة تخديراً لكل مراكز التنبيه في عقلها.. لمحت من بعيد صورة ضبابية لرأسه ينحني نحوها.. شفتيه تقترب ببطء لتختطف قبلتها الأولى.. تاهت في نظرات عينيه التي زخرت بالعديد من المشاعر.. مشاعر عصفت بكليهما وأنستهما الماضي والمستقبل, فلم توجد إلا اللحظة الحالية وشفاهما على وشك التلاقي..

صرخة طائر بدت وكأنها آتية من عالم آخر, نبهتها إلى خطر وشيك.. فأبعدت وجهها قبل أن تلمسه شفتاه بثوانٍ.. وأخفضت وجهها أرضاً فتهدلت خصلاتها حولها كساتر منيع يخفيها عنه..

همست رافضة:

- كلا يا باسل..

حاول يمنعها من الابتعاد لكنها جذبت نفسها وهبت واقفة.. فسألها غاضباً:

- لماذا؟..

هزت رأسها برفض:

- هذا لا يصح.. ادعني قديمة الطراز, ولكنني أعتقد أنه يجب عليك الاحتفاظ بقبلاتك لزوجتك.. ابتعد عني..

صاح غاضباً:

- وأنتِ.. هل منحتِ قبلاتك لزوجك؟

اغرورقت عينيها بالدموع:

- باسل.. أنت تتعمد جرحي واهانتي..

اقترب منها وأمسك كتفيها بعنف:

- أجيبي على السؤال اللعين.. هل سمحتِ له بتقبيلك؟

غمغمت بتوتر:

- لا شأن لك..

ثم تركته وركضت هاربة..

صرخ باسمها:

- لمـــــــــــــى!!.. انتظري..

لكنها لم تستمع إليه.. لم تتوقف.. لم تنتظر، بل ركضت وركضت حتى ضاعت منها أنفاسها.. فقد أرادت الهروب.. هروب منه ومن نفسها ومن مشاعرها التي بدأت تضعف من تماسكها... لن ترضخ لجنون ذلك الخائن بين أضلعها.. حتى لو كان ينبض باسمه.. حتى لو أملت لثوانٍ أن

تكون مشاعرهما متبادلة.. أخذت تدعو أن تجد طريقاً للهروب.. عن طريقة لتوقف نفسها من السقوط في غرامه.. عن طريقة لتنجو بنفسها..

وصل باسل إليها وهو يلهث وهتف بها:

- لم يكن هناك داعٍ لهروبك هذا..

هزت رأسها:

- كان يجب أن ابتعد.. باسل.

صاح بحنق:

- هل اعتقدتِ أنني من الممكن أن أهجم عليكِ أو أتعرض لكِ بأي طريقة؟!

- كلا.. أعلم أنك لن تقوم بذلك.. فقط..

صاح غاضباً:

- ماذا؟؟؟

أصابها غضبه بالحزن.. لم ترد أن تفسد بهجة اليوم.. لقد أتى بها إلى الإسكندرية بعد ما حكت له قصة ارتباطها الفاشل.. أراد أن يمنحها زيارة إلى مدينتها بدون أن تضطر إلى اجترار مزيد من الذكريات الحزينة..

هتفت بيأس:

ـ ألا يمكن أن نكون أصدقاء فقط؟!..

هز رأسه مشككاً:

ـ أصدقاء!!..

لمح نظرة التوسل في عينيها, فتنهد قائلا:

ـ حسناً.. اليوم فقط.. سأمتثل لما تريدين.. أوامرك مولاتي..

ضحكت بخفة وهي تتظاهر بأنها تأمره وتشير بسبابتها:

ـ حسناً.. لا أريد أي مأكولات بحرية...

أشتاق إلى تناول المشويات بشدة..

وضع سبابته على انفها وهو يضغطها بخفة:

ـ إذاً كنت على حق عندما ظننت إنكِ لا تحبين المأكولات البحرية..

عادت لتضحك بخفة وتمد يدها بسهولة لتتمسك بيده الممدودة في بادرة صداقة...

أو هذا ما أقنعت نفسها به..

وافقته بهدوء:

ـ حسناً كنت محق في ذلك.. والآن أخبرني.. أين ذلك اليخت الذي تمتلكه؟..

بادلها الابتسام سعيداً بقبولها بادرة السلام ولو مؤقتاً:

ـ إنه في الغردقة..

أطلقت صفيراً طويلاً يعبر عن إعجابها:

ـ أنت فاحش الثراء!

ضحك بصوت عال:

ـ هل يجب أن أخشى على نفسي من الحسد؟

هزت رأسها بالنفي:

ـ كلا أيها السخيف.. أنا لا أطمح بأموال, طموحي هو الصحافة..

ـ وأنتِ حققتِ الكثير بالفعل.

أومأت موافقة:

ـ نعم.. ولكنني ما زلت أطمح بالمزيد..

غلبهما الصمت لفترة واكتفيا فقط بالسير على الرمال بمحاذاة البحر حتى سألها فجأة:

ـ ألا تودين زيارة والديك؟..

ضحكت برقة:

ـ ألم أخبرك أنك سخيف.. هل تظن لأنني لا أزور الإسكندرية, فأنا لا أراهما أبداً.. هما يأتيان إلى القاهرة.. مرة كل أسبوعين...

أومأ برأسه متفهماً.. وعاد يخبرها:

ـ حسناً.. هل تودين العودة إلى الكابينة؟..

رمقته بنظرة مؤنبة:

ـ هل نسيت ما أخبرتك به عندما وصلنا هنا.. لن أدخل تلك الكابينة أبداً.

ـ آه.. نعم.. لا تقلقي..أصدقاء فقط.. أنا لم أنسَ بعد.. سنتناول الغذاء فقط في الشرفة الخارجية.. هل تريدين الذهاب إلى أي مكان بعد ذلك؟..

هزت رأسها رفضاً:

ـ كلا.. أريد فقط الجلوس بجانب البحر...

وبالفعل.. كان لها ما أرادت.. وتناولت غذائها وهي جالسة على الرمال, بينما حاول مجاراتها فجلس بجوارها مسنداً ظهره إلى أحد المقاعد وهو يتأملها بعواطف مختلطة.. إعجاب.. وسعادة.. وشغف.. ورغبة.. وعشق يريد الصراخ عالياً ليصرح به ولكنه يخشى ردة فعلها...

أنبته بخفة:

- باسل.. توقف.. لا تنظر لي هكذا..

أجاب بمكر:

- ولكن ذلك يسعدني... محاولة استنتاج ما تفكر به امرأة بجمالك؟

حسناً.. همست لنفسها.. أنت من جلبت ذلك لنفسك..

- هل تود معرفة بماذا أفكر؟

أومأ موافقاً.. التفتت لتواجه بحزم:

- حسناً.. كنت أفكر, لم لا تقود سيارتك بنفسك أثناء عودتنا إلى القاهرة؟..

نهض فجأة بعنف:

- لمى.. أرجوكِ.. لا تفعلي..

قاطعته بقوة:

- لا أفعل ماذا؟.. لقد أخبرتك بكل تفصيلة قاتلة في ماضيّ.. لا أعتقد أنه يوجد أكثر إيلاماً مما أخبرتك به!..

ارتسمت على وجهه تعبيرات قاهرة من الحزن:

- ليت الخيانة هي الألم الوحيد في الحياة!!

ذهلت لمى من قسوة جملته, ولكنها قررت عدم التراجع.. تريد أن تصل إلى ذلك

الجزء الخفي من حياته.. تريده صفحة مفتوحة أمامها فأجابته بقوة:

- يا لها من جملة قاسية.. يبدو لي أنك لم تجرب ألم الخيانة أبداً..

هز رأسه:

- كلا.. لم أجربه.. لكنني مررت بما هو أشد إيلاماً.. هل جربتِ أن تكوني على الطرف الآخر.. أن تكوني أنتِ في قفص الاتهام؟..

هزت رأسها بعدم فهم.. ولكنها أضافت بإصرار:

- باسل.. حان الوقت لتخبرني الحقيقة التي تتهرب منها منذ ظهرت أمام عتبة منزلي..

صاح بألم:

- لمى.. لا تفتحي جروحاً اندملت منذ زمن!

حيرتها أجابته ولكنها لم تتراجع:

- لو كانت اندملت كما تقول, فلم تجد مشكلة في الحديث عنها؟.. ولم تعيقك تلك الجروح عن أبسط شيء ممكن وهو قيادة سيارتك؟..

أجابها بألم:

- أنتِ لن تتراجعي؟.. أليس كذلك؟..

رفعت يدها إلى وجنته وحركت أصابعها عليها بخفة:

- أنا لا أريد أن أسبب لك الألم.. ولكن احتفاظك بذلك السر بداخلك لا يجدي.. إنه يمنعك عن الحياة.. بل يسحب متعتها منك.. أنت تحصر حياتك في العمل

وسلسلة لا منتهية من علاقات عابرة.. حتى زواجك, ليس للحب دخل به..

قاطعها بقوة:

ـ لمى.. نحن اتفقنا...

قاطعته هي بدورها:

ـ أنت من طلبت أن يكون اليوم بلا شروط .

صاح بغضب:

ـ لأنني أنا المتحكم, هل نسيتِ.. أنا من يختار الأنغام..

غمغمت بألم:

ـ أنت تدفعني بعيداً عنك.. لماذا ترفض منح نفسك راحة البوح؟.. لماذا تحرم نفسك من متع الحياة البريئة؟..

أجابها في ألم:

- لأني لا أستحق تلك البراءة.. كيف لقاتل أن يستحق البراءة؟!

(10)

رددت بذهول:

- ماذا!!.. باسل.. ماذا تقول؟..

ردد بعذاب:

- نعم.. تلك هي الحقيقة التي كنت أسعى للهروب منها سنوات..

التفتت ليسألها:

- هل تريدين التفاصيل الدموية؟..

هزت رأسها بعجز وهي تضم وجهه بين يديها.. تحاول محو تلك الآلام القاتلة التي حفرت ملامحه.. لكنه استمر يلقي بالكلمات وكأنه يزيح عبأ سنوات عن كاهله.. قص عليها كل شيء عن شقيقه الأصغر الذي لم تكن تعلم شيئاً بشأنه..

- باهر.. ذلك كان اسمه..

أخبرها بحزن.. وتوالت كلماته ليكشف لها كيف أنه وُلِد وباسل كان في السابعة عشر.. مراهق ثري ومدلل ولكنه وقع في غرام الرضيع على الفور, فلم يكن له أخ أكبر فقط, بل كان والداً ثانٍ له.. فتعلق الصغير به وتبعه في كل مكان.. وكان هو فخوراً به يستعرضه أمام أصدقائه ويحكي لهم عن شقيقه الصغير ذو الملامح الملائكية.. وكان ملاكاً صغيراً بالفعل تعلق به أبواه بقوة وكأنه الحلقة التي ربطت أسرته ببعضها..

حتى كان يوم الاحتفال بعيد ميلاده الثالث, صباح ذلك اليوم أخبره باسل أنه سيأتي له بسيارة صغيرة.. تشبه سيارة باسل التي يعشقها الصغير.. وكان باسل أوصى بصنع نموذج مصغر عن سيارته الفيراري الحمراء, من أجل عيون الصغير.. ولكن

أخاه أصر على الذهاب معه جالساً على ركبتيه أمام عجلة القيادة.. عابثاً بكل ما أمامه.. ومشتتاً انتباه باسل عن الطريق.. وفجأة.. كان الصدام.. لم يتذكر باسل ماذا حدث.. أو كيف؟.. فصغيره كان يعبث بشدة وعندما نهره باسل التفت ليرمي نفسه على صدره ويغمي عينيه بيديه الصغيرتين.. وعندما فتح باسل عينيه مرة أخرى كان بالمشفى.. وحيداً بإحدى غرف العناية المركزة.. سأل عن صغيره, فراوغه الجميع.. حتى وصلت أمه ترتدي السواد.. لم ير بعمره كله سوادٍ قاسٍ بهذا الشكل وأمه تخبره بجمود أنه قتل شقيقه الأصغر.. وتسبب بجلطة لوالده أدت إلى شلل كامل... ألقت عباراتها ورحلت تاركة إياه ملقى على فراشه وحيداً بمشفى ومحاطٍ بغرباء..

ظل في المشفى لستة أشهر كاملة لم تزره فيه والدته, ولم يعرف أي أخبار عن صحة والده... إلا ما تتناقله الممرضات من حوله..

كان عقاب أمه القاسي.. اتهمته وأصدرت الحكم, بل ونفذته.. ووصمته بأنه قاتل شقيقه.. قررت إبعاده.. ونفذت القرار.. ولكنها أصرت على أن يتولى أمور العمل.. وكانت تذبحه بقولها.. أنه تخلص من شقيقه لأجل أن يكون الوريث الوحيد.. لم يعرف لم تقسو عليه بهذا الشكل, وكيف تصدق أنه تعمد ذلك الحادث؟.. ألم يتأذَ هو أيضاً به وبقي بين الحياة والموت لأسابيع!!..

حاولت لمى مقاطعته, ولكنه أوقفها بحزم:

ـ أنتِ أردتِ الوقوف على أسراري المظلمة.. فلتتمتعي بنور المعرفة.. أو في حكايتي.. نار المعرفة.. فوالدتي العزيزة لم

نتواصل معي بأي كلمة بعد خروجي من المشفى.. مررت بمرحلة إعادة التأهيل والعودة للحركة ببطء شديد فقد كنت وحيداً ونفسيتي مدمرة ومثقل بمشاعر الذنب.. اعتزلت الجميع وتفرغت لإدارة الأعمال والقراءة..

صمت قليلاً.. ثم أردف:

- ودراسة الزهور وكل ما يتعلق بها.. كنت أحادثها.. أشكي لها.. أتعلم رموزها وأفك شفرة معانيها.. في النهاية عشت غريباً بعيداً عن بيتي.. حتى اتصلت أمي بي..

سكت قليلاً وكأن ما سيقوله يمثل العبء الأكبر.. هز رأسه ثم قرر إكمال قصته:

- هل تعرفين لم اتصلت ؟.. لقد أرادت إبلاغي بخبر وفاة أبي.. وموعد الجنازة والدفن..

ضحك بمرارة:

- أرادت مني أن اصطحبها حتى نحافظ على مظهرنا كعائلة واحدة.. وذهبنا معاً للجنازة.. وفي الطريق بعد الانتهاء من جميع المراسم.. أخذت تردد عليّ مرة أخرى اتهاماتها بالقتل.. وأضافت تهمة جديدة؛ قتل أبي..

وعندما صرخت بها أن تتوقف.. أن تكف عن رميّ بتلك الكلمات وتتركني وشأني.. لأنني سأمت من اتهاماتها ومن تعذيبها المستمر.. أخبرتها أنني سأرحل.. سأترك كل شيء وأرحل وأريحها من رؤيتي نهائيًا.. عندها.. عندها...

تهدج صوته وهو يخبرها:

ـ عندها مدت يدها لتدير عجلة القيادة بقوة، فانحرفت السيارة ولم أستطع السيطرة عليها..

وللمرة الثانية أوصم بلفظة القاتل.. ولكن كانت أمي هي الضحية تلك المرة..

وضعت لمى وجهها بين يديها وأجهشت بالبكاء.. فلم تعد تستطع السيطرة على دموعها أكثر من ذلك.. فما سمعته الآن أصعب مما يمكن تخيله.. وهي من ظنت أنها عاشت مأساة، ولكن حياة باسل تعدت ذلك بمراحل...

وجدته أمامها، يبعد كفيها عن وجهها ويمسح دموعها:

ـ لا تبكي.. لا تبكي يا لمى.. أنا لا أستحق تلك الدموع.

هزت رأسها ترفض كلامه:

- كيف؟!.. كيف تقول هذا؟.. أنت غير مسئول عن أي مما حدث.. أنك ضحية سيئة الحظ فحسب.. أن ما حدث لشقيقك.. كان مجرد حادث.. مأساة.. لكنها ليست خطأك.. والدتك وجدت في إلقاء اللوم عليك وسيلة للتنفيس عن حزنها وغضبها.. بالتأكيد هي لم تقصد أي مما قالته لك.. فقط هي لم تستطع لوم نفسها لتقصيرها كأم..

هتف بحزن:

- ولكنها لم تقصر بشيء..

- أعتقد أنها لم تغفر لنفسها سماحها لباهر بالركوب معك..

أدار لها ظهره:

ـ ربما.. ولكنني لن أعرف أبداً ما كان هدفها عندما جذبت عجلة القيادة, موتها.. أو.. موتي!

شهقت بقوة:

ـ كلا.. باسل.. أنها والدتك.. كيف تفكر هكذا.. لم لا يكون هدفها منعك من الرحيل عنها, خاصة وقد أصبحت وحيدة تماماً..

ابتسم بأسى:

ـ هل تظنين؟!.. ربما..

رددت بألم:

ـ باسل...

جذبها من يدها وأخذا يسيرا معاً:

ـ هيا.. كفِ عن البكاء.. هذا المكان أجمل من أن نشوهه بالحزن والدموع..

نظرت إليه بحيرة:

ـ كيف يمكنك تجاهل ما حدث؟..

كيف...

قاطعها:

ـ لأنني قررت أن أواصل حياتي.. ذلك كان قراري, وأنا أدفن أمي.. ألا أغرق نفسي باليأس أو الحقد..

أجابته:

ـ ولكنك توقفت عن قيادة سيارتك؟..

واعتزلت العواطف الحقيقية..

ابتسم بمرارة:

ـ حسناً.. لم أقل بأنني ذو قوى خارقة.. فقط قمت بما هو مطلوب حتى أحيا..

رمقته بحزن وهي تدرك لأول مرة أن مظاهر العجرفة والصلف التي تحيط به ما هي إلا درع يخفي خلفه ذلك الشاب اليافع المهجور من كل من يحب.. الموسوم بتهمة القتل.. ومِن مَن؟!!.. من أقرب الناس إليه!!..

عادت تخبره بهدوء:

- ولكن.. أترى؟.. ذلك ما كانت تحاول أن تقوم به والدتك.. أن تحيا وتستمر بالحياة.. لقد وجدت في لومك وإيلامك ما يدفعها للمضي قدماً..

حاول مقاطعتها.. ولكنها أكملت سريعاً:

- جنون.. أعلم.. ولكن كان لابد أن تجد من تلومه.. لفترة على الأقل حتى تتقبل خسارتها لأخيك.. قد تكون تلك الفترة

طالت بشدة, عندها كان الذنب هو ما يمنع والدتك من الاقتراب منك.. لابد أن هذا ما حدث.. أدرك أنها آذتك بشدة.. ولكنها اعتمدت على مخزون حبك لها.. لم تحاول رؤية ألمك لأن ألمها كان يعميها عن كل شيء.. لقد استعملت غضبها وألمها وحزنها كوقود للحياة وكنت أنت الشعلة التي استخدمتها لتشعل ذاك الوقود.. باسل.. أنت لم تخذل أحداً.. وبالتأكيد لم تقتل أحداً..

فأنت ضحية لذلك الحادث القدري مثل أخيك بالضبط..

أمسك يدها ليرفعها نحو شفتيه مقبلاً إياها بامتنان:

- أنتِ امرأة رائعة بحق..

- أنا..؟!!

قطعت كلماتها وهي تلمح عينيه تلتمع بنظرات اهتمام ودفء.. شعرت أنه يرفع قناعه للحظات لتغرق هي في أعماقه وتكشف عن الرجل الضعيف الذي يحيط نفسه بكثير من الضوضاء حتى لا يستمع للصوت الخافت الذي يحاول أن يجعله يحيا حقاً..

التفتت له عندما وصلا إلى الكابينة الخاصة به وهي تخبره بشغف:

- باسل.. أريد أن..

قاطع كلماتها رنين هاتف باسل الذي رمق الشاشة ولوهلة تغيرت ملامحه, فأدركت لمى أن الاتصال من شيرويت..

وضعت يدها على يده الممسكة بالهاتف وهي تهمس بتوسل:

ـ لا تجيب.. فاليوم ملكاً لنا فحسب.. أنا أريد أن أرقص بين ذراعيك.. هنا.. أمام البحر.. طوال الليل وحتى شروق الشمس..

أغلق هاتفه وهو يخبرها:

ـ أنا رهن إشارتك اليوم..

رمقته بسعادة وهي تلقي بحذائها الخفيف من قدميها.. وتمد يدها إليه.. فالتقطها بخفة:

ـ أميرتي الحافية.. هل تسمحين لي بتلك الرقصة؟!

قال ذلك وتحرك ليضمها بين ذراعيه ويتحركا معاً على موسيقى ناعمة انسابت إلى آذانهما من بعيد.. ولكنها كانت كافية بالنسبة له ليزيد ضمها لصدره راغباً في دفن أحزانه بين طيات شعرها.. وهي لم توقفه,

بل ضمت نفسها له, رافعة ذراعيها حول عنقه, مستسلمة تماماً لمشاعرها..

همست له وأناملها تداعب الأطراف الناعمة لشعره:

ـ هل تعلم.. لقد حلمت بالرقص معك ثانية منذ تلك الليلة على متن الباخرة..

ضحك بخفوت وهو يضمها إليه أكثر وأكثر.. متنشقاً عطر خصلاتها المسكر:

ـ لما الأحلام؟.. يكفي أن تشيري بإصبعك فحسب..

مرغ وجهه في شعرها الكثيف:

ـ اممم.. أنا على وشك إدمان رائحة العطر في خصلاتك..

أراحت رأسها على كتفه برقة وهي تمسح وجنتها به في عبث حميمي.. وعقلها يدور في دوائر لا نهاية لها.. لا تدري لم قلبها يحثها

على الاقتراب منه أكثر وأكثر.. التغلغل بين خلاياه.. تريد أن تصبح جزءاً منه.. من كيانه.. من روحه.. لا تمانع إذا استنشقها بين أنفاسه ولم يطلقها أبداً.. ستقنع بسعادة أن تكون حبيسة جدران قلبه, لم تشعر هكذا مع عادل أبداً.. ولا للحظة واحدة.. ولا حتى في ذروة حبها الطفولي له سمحت له بالاقتراب هكذا.. وجدت الاعتراف يخرج من بين شفتيها:

- هو لم يقبلني أبداً.. لم أسمح له أبداً..

ارتعاش جسده تحت يديها أنبأها بمدى تأثره بجملتها.. أنفاسه الساخنة التي تسابقت على عنقها جعلتها تدرك خطورة وضعها بين ذراعيه خاصة وهي بتلك الحالة الذائبة.. والغير قادرة على مقاومته..

حررت نفسها قليلاً من ضغط ذراعيه وهي تثرثر بلا هدف.. فقط تحاول إخراجهما من

دائرة السحر التي أكملها انسياب أشعة القمر حولهما..

أخذت تخبره عن بداية شغفها بالكتابة:

- كنت لا أكتفي بكلمة النهاية في آخر كل قصة أو رواية.. فاندفع لأغير ما أريد.. أحياناً أحداث وأحياناً أخرى.. أغير النهاية نفسها..

أدرك باسل بسهولة محاولتها لكسر دائرة السحر.. وبعدما كان على بعد خطوة من مصارحتها.. من تنفيذ ما يريد حقاً.. تراجع سامحاً لها ببعض المساحة.. فجذبها ليجلسا معاً أمام أمواج البحر لتداعب مياهه أقدامهما برقة وهي تكمل ثرثرة:

- هل تعلم.. أنني أملك أسوأ خط على الإطلاق.. يكاد يكون غير مقروء أحياناً..

أذكر مرة عندما أرسلتني مدرستي إلى المنزل وهي تتوعدني لسوء خطي وتسخر من رغبتي في أن أصبح كاتبة.. أن والدتي اقتربتِ مني في رقة لتمسح دموعي.. وتستمع إلى شكواي الطفولية بأنني لن أستطيع مطلقاً تقليد ذلك الخط المنمق والجميل الذي أراه في الكتب والمجلات..

أطلق ضحكة صغيرة وهو يسألها:

- يا الهي.. هل كنتِ تظنين أن تلك الكلمات تكتب بخط اليد..

فركت جبهتها بكتفه بشقاوة:

- لا تسخر مني.. لقد كنت في السادسة فحسب..

أخذت أصابعه تتجول بين خصلات شعرها وهو غير قادر على إخفاء تأثره بها:

- وماذا فعلت والدتك؟

وجدت نفسها تنسى لما بدأت ثرثرتها من البداية وهي تقترب منه وتلقي برأسها على كتفه بينما أنامله كانت تعيث جنوناً بخصلاتها ووجنتها.. وهمست بصوت أجش:

- عدني ألا تسخر مني..

أومأ برأسه بصمت بينما يقترب منها ليضمها إليه مستنداً بذقنه على قمة رأسها..

فأكملت باضطراب:

- أمي.. أمي.. أخبرتني أنه توجد أقزام صغيرة ذات أنامل سحرية قادرة على كتابة تلك الكلمات الصغيرة والمنمقة.. وأنني سأمتلك تلك الأقزام الصغيرة يوماً ما..

عندما أصبح كاتبة كبيرة.. ولكن بشرط أن أكون فتاة طيبة...

ساد الصمت فجأة ولم تستمع إلى ضحكاته كما كانت تتوقع.. فرفعت رأسها لترى حزن عميق.. أسود وقاتل يغمر ملامحه ويطفأ من لمعة عينيه ليخبرها بهدوء:

- يبدو أن والدتك سيدة عظيمة.. أنها تحبك بشدة..

فهمت لمى على الفور ما أصابه.. فكلماته حول أمه مازالت حية في رأسها.. رفعت رأسها عن كتفه لتملس على وجنة بحنان:

- لقد أحبتك والدتك أيضاً.. لا تعذب نفسك بخيالات وأوهام لا أساس لها.. أعتقد أنها قررت الرحيل عن الحياة خوفاً من مواجهتها وحدها بعدما قررت أنت الابتعاد عن كل شيء..

لم يمانع باسل في تقبل مواساتها.. ولكنه أخبرها بألم:

ـ أعتقد في النهاية أن حبها لي كان منقوصاً.. أو أنني بالفعل لم أستحقه..

ابتعدت عنه فجأة وقد رنت أصداء جملته في عقلها, ولكنه لم يطلقها بعيداً بل تمسك بها قريبة منه فسألته بتوجس:

ـ هل تعتقد أنك لا تستحق الحب والمشاعر؟.. ألهذا لم تتعمق في أي علاقة من قبل؟.. بل واخترت زوجة كدمية البورسلين حتى لا تتورط بمشاعرك؟..

لكن شيرويت تحبك, هل تعلم هذا؟..

باسل.. ماذا تفعل بحياتك؟..

كاد أن يصرح لها بأن مشاعره تورطت بالفعل ولكن معها هي فقط.. ولكنه أراد

أن يقدم لها المزيد والأفضل عندما يصارحها بطلبه.. فأخبرها بخفة:

- فقط أقوم بما هو مطلوب مني لأستمر في الحياة.. لقد أخبرتك ذلك بالفعل..

همت بالرد عليه فقاطعها بسرعة:

- أنا لن أؤذي شيرويت.. إنها تعشق فكرة كونها المرأة التي أوقعت باسل مختار في فخ الزوجية.. لكنها لا تعلم من هو باسل فعلاً..

لقد ذكرت لها شقيقي-رحمه الله- مرة واحدة, ولكنها لم تهتم حتى بسؤالي عن سبب وفاته.. لا تقلقي على شيرويت ولا تفكري بها فهي في النهاية ابنه ناريمان كاظم.. وهي تشبهها أكثر مما تظن كلاهما..

هزت رأسها برفض وهي على وشك التصريح له بكل شيء, لكنه عاد يلف كتفيها بذراعه هامساً:

- اخبريني المزيد عن طفولتك..

تعالت ضحكاتها للحظات.. قبل أن تجبه:

- حسناً لم أكن طفلة تلك المرة.. أعتقد أنني كنت في المرحلة الاعدادية.. وكانت أستاذة اللغة العربية تناقشنا في بعض أبيات الشعر التي كتبها عنتره العبسي لعبلة.. وقتها فاجأتها باعتقادي أن عنتر بن شداد لم يعشق عبلة قط.. بل عشق بها فكرة حريته..

قطب جبينه وهو يسألها:

- حقاً!.. وهل ما زلتِ تعتقدين ذلك؟..

ابتعدت عنه قليلاً وهي تهتف بحنق:

- لا تخبرني أنني شوهت الحب الطاهر العفيف بنظرك..

ضحك بخفة:

ـ كلا.. لم تفعلي.. أعتقد أن تلك كانت كلمات أستاذتك..

أومأت موافقة:

ـ نعم.. كيف عرفت!

ـ حسنًا.. لقد قال لي أحد أساتذتي نفس الكلمات..

همست بذهول:

ـ حقًا!!.. هل كان رأيك مماثلاً لرأيي؟؟!!

أشار برأسه موافقاً بينما يكمل:

ـ لقد كاد أن يصاب بأزمة قلبية عندما أكملت وجهة نظري بحب قيس لليلاه.. حيث أخبرته أنه..

أكملت له لمى بصوت عال:

ـ مجرد اعتياد لا أكثر..

قهقه ضاحكًا:

- يا الهي!!.. لم أظن أبداً أنكِ تشاركيني معتقداتي المجنونة بشأن الحب والغرام..

هزت رأسها بعدم تصديق مماثل:

- بالفعل.. من كان يظن ذلك!

رمقها لوهلة:

- خطيبك السابق معتوه.. كيف يفرط بامرأة مثلك..

أجابته بخفة:

- أوافقك الرأي تماماً..

ضحكا معاً ولكنه صمت فجأة وهو يتأملها بفضول.. فسألته بتوجس:

- ماذا هناك؟..

ـ أريد أن أسألك شيئاً..

ـ و..؟..

ـ أخشى ردة فعلك..

هزت رأسها وقالت بمشاكسة:

ـ منحتك الأمان..

ابتسم للحظة ثم خفتت ابتسامته مع سؤاله:

ـ هل خطيبك السابق هو من ساعدك لمقابلة زوجة الرئيس السابق؟..

رمقته للحظة قبل أن تجيب بكلمة واحدة:

ـ نعم.

وقبل أن يكمل أسئلته أجابته هي:

ـ لقد كان مديناً لي يا باسل.. مديناً بالكثير.. وأنا لم أطالبه بمخالفة القوانين..

فقط تسهيلات بسيطة.. كانت فرصة وكان على انتهازها.. ولكنه كرجل لم يعد يعني لي شيئاً على الإطلاق وإلا ما كنت حادثتك عنه بتلك السهولة..

داعب وجنتها برقة ومد يده ليجذبها إليه ويطوق خصرها بذراعه هامساً بين خصلاتها:

- دعينا نكمل رقصتنا.. اممممم... كم أعشق عطر تلك الخصلات..

غابا طويلاً في سكون الليل.. تحركهما مشاعرهما التي تتأرجح بين الرغبة والحب.. والخوف مما هو قادم..

لمى أرادت مواساته ومحو أحزانه.. ولو لساعات معدودة تنهيها بوداعه..

نعم وداعه.. فهي ستنهي تلك الحكاية الخرافية التي عاشتها على مدار عشرة أيام.. ستنهيها تماماً.. وستبتعد عنه.. ستعود لحياتها المنغلقة وتداوي جراحها لفقده ببطء.. ولا تعتقد أنها ستبرئ بسهولة, فبرغم أن مدة تعرفهما تعد لا شيء أمام سنوات علاقتها بعادل, إلا أن جرح باسل قاتل.. فهو أصاب سويداء القلب مباشرة... وإذا كانت ناريمان ترغب بإفساد زواجه من ابنتها, فلتبحث عن وسيلة أخرى غيرها...

****

في مساء اليوم التالي كانت لمى تقف أمام ناريمان بتحفز وهي تخبرها أنها ستتخلى عن تلك المهمة..

رمقتها ناريمان بتفحص وهي تسألها بسخرية مبطنة:

ـ الآن ستتخلين عن المهمة!!.. بعدما قضيت الليلة بين أحضانه وفشلتِ حتى في انتزاع أي وعد منه, تخبريني أنكِ تنسحبين!!.. أم أنكِ فشلتِ..

قاطعتها لمى بقوة:

ـ ما هذا الهراء!!.. لقد أخبرتك من قبل ألا تفكري أو حتى تلمحي لتلك الفكرة.. لقد بقينا أمام البحر طوال الليل على الشاطئ ولم يحدث أي مما تلمحين له..

ـ هل تعني أنكِ قضيتِ معه ليلة بأكملها بدون..

عادت لمى لمقاطعتها:

ـ توقفي عن رمي مثل تلك الإيحاءات.. وتأكدي من معلومات جاسوسك جيداً.. ومرة أخرى.. أنا لن أكمل تلك المهزلة..

سكتت لتبتلع ريقها قبل أن تكمل وهي تحاول كتم غصتها:

- باسل رجل جيد.. لا خوف على ابنتك معه.. فهو يفهمها جيداً و..

ردت ناريمان بسرعة تحاول اقناعها حتى لا تفسد كل شيء:

- إنه لا يحبها..

- لكنه لن يؤذيها أو يجرحها.. هو غير قادر على إيذاء أي شخص.

سخرت ناريمان:

- حقًا.. وتجاهله لها ليلة أمس لأنه كان برفقتك.. لا يعد إيذاء من وجهة نظرك.

- لكنها لا تعلم أنه كان برفقتي.

رمقتها ناريمان بطريقة غريبة وهزت كتفيها بلامبالاة.. ولم تجب بأي شيء..

استفسرت لمى بتوجس:

- ما الذي يعنيه هذا؟.. هل أخبرتها أنني كنت معه؟.. لم تفعلين ذلك؟..

ظلت ناريمان ترمقها بنفس تلك النظرة الغامضة.. وأجابتها:

- فقط اجعليه يتقدم للزواج منكِ.. ولا شأن لكِ بما أفعل مع ابنتي..

أشارت لها لمى باتهام وهي تهز رأسها غير مصدقة:

- إنها تعرف.. يا الهي.. تعرف بالأمر من بدايته.. كيف؟.. كيف تسمح بذلك؟.. كيف؟..

جذبتها ناريمان بعنف من ذراعها وهي تصرخ بها:

ـ أخبرتك.. لا شأن لكِ بابنتي.. و..

قاطع كلماتها دخول شيرويت من إحدى الأبواب الجانبية وهي تصيح بوالدتها:

ـ دعيها يا أمي..

ثم التفتت إلى لمى تسألها ببرود:

ـ ما الذي يثير تعجبك من معرفتي بأمرك أنتِ وباسل!.. أليس من حقي التأكد من إخلاص زوجي المستقبلي..

هزت لمى رأسها بعجب وهي تتذكر كلمات باسل..

"لا تقلقي على شيرويت ولا تفكري بها فهي في النهاية ابنه ناريمان كاظم.. وهي تشبهها أكثر مما تظن كلاهما"..

يا الهي أنه يفهم شيرويت جيداً.. فقط لم يصل بخياله إلى مدى جموح أفكارها..

وجدت نفسها تصرخ بشيرويت:

- حبك الصادق وطريقة تعبيرك عنه له هما ما يكفلا لكِ حب زوجك وإخلاصه, وليس وضعه تحت اختبار ما..

هزت شيرويت رأسها بعدم تصديق:

- مع رجل كباسل.!!!

قاطعتها لمى:

- مع رجل كباسل يجب أن تمنحيه حبك اللا مشروط.. أن تحميه من جنون أعماقه وليس أن تضعي الإغراءات في طريقه..

توسعت عينيّ شيرويت بذهول:

- يا الهي.. أنتِ تحبينه!

ارتدت لمى إلى الخلف بقوة وقد ساءها أن تكشف شيرويت ما بداخل قلبها.. وقالت لها بوضوح وهي تتجه للخارج:

- أنتِ لا تستحقين رجلاً مثله.. كنت قد عزمت على الانسحاب من حياته تماماً.. ولكني الآن سأترك له حرية الاختيار..

أوقفها سؤال شيرويت:

- هل ستخبرينه الحقيقة؟

التفتت لها لمى وهي تمسك بيدها مقبض الباب:

- بالطبع..

عادت شيرويت تسألها بتوجس:

- كل الحقيقة؟.. حتى الجزء المتعلق بمعرفتي لما كان يحدث؟..

ابتسمت لمى بسخرية:

- ماذا تعتقدين؟!

ثم خرجت وهي تغلق باب المكتب خلفها بهدوء شديد..

ما ان أغلقت لمى الباب خلفها حتى قالت ناريمان:

- هل تعتقدين أنها ستخبره بالفعل؟..

أجابتها شيرويت بثقة:

- لن تجرؤ!!

همست ناريمان ساخرة:

- كيف تكونين بتلك الثقة؟..

أجابتها شيرويت:

- لأنها تحبه.. لكنني حائرة... لا أعرف ما الذي حدث بينهما ليلة أمس يجعلها تعتقد أن مصلحة باسل تكمن في اتمام زواجنا..

سكتت للحظة قبل أن تردف:

- إنها تحبه ولن ترغب في أذيته أو جرحه.. فهي على أتم الاستعداد للانسحاب من حياته.. فقط لأنها تعتقد بغباء عاشقة... أن ذلك الأفضل له..

وصمتت للحظات قبل أن تكمل:

- أو ربما تتغلب عليها أنانيتها وتحاول الاستئثار به لنفسها..

تأملتها ناريمان للحظات وهي تحاول معرفة ما تفكر به ابنتها ولكن شيرويت ظلت محافظة على ملامحها هادئة فهزت ناريمان كتفيها بلامبالاة:

- وإذا فعلت.. ما المشكلة؟..

سألت شيرويت بتقرير:

- ماذا إن اختارها هي وتركني؟..

صرخت بها ناريمان بغضب:

- شيرويت.. أنتِ وافقتِ على ذلك الاختبار من البداية.. ماذا كنتِ تعتقدين بكلمة."طلب زواج"؟.. ألا تعتقدين أنه بطلبه هذا يفضلها عليكِ؟..

هزت شيروت رأسها برفض:

- كلا.. لأنني في تلك الحالة سأكون البادئة بتركه.. لكن الآن بدلاً من أصبح حرم باسل مختار سأكون الفتاة التي نبذت من قبله..

سألتها ناريمان بتوجس:

- ماذا تقولين؟.. هل تريدينه؟.. أم فقط تريدين الزواج منه؟

أجابت شيرويت بحزم:

- أنني أريد لذلك الزفاف أن يتم.

وأعماقها تصرخ بها.." كاااااذبة.. أنتِ تريدين لهذا الزفاف أن يفسخ.. فقط تريدين أن يكون ذلك على يدي داغر وليس باسل"..

عادت ناريمان تسألها:

- معنى هذا أنك ستستمرين بتلك الزيجة؟..

- بالطبع يا أمي..

لأول مرة تشعر أن الأمور تخرج عن سيطرتها.. أن ابنتها ما زالت تريد استخدام باسل في انتقامها.. فلا تمانع أن تكون زوجته.. ولمى أيضاً سقطت في حبه.. والكرة الآن في ملعب باسل ليضع خط النهاية.. وهذا يؤرقها بشدة, بل يكاد يقتلها قهرا

(11)

وصلت لمى الى مقر شركات باسل مختار بعد مدة من خروجها من مكتب ناريمان.. فقد تسببت حالتها النفسية في أن تأخذ طرقاً أطول من المعتاد.. كان غضبها يدفعها إلى كشف كل الحقيقة.. حتى وإن كان فقده هو الثمن.. لكنها لم تحتمل أن تكون هي وهو لعبة وأداة بين يديّ شيرويت ووالدتها..

حاولت تجاهل ذلك الصوت الذي يحثها على إخفاء الأمر عنه, فبالتأكيد عاقبة معرفته بالأمر لن تكون في صالحها.. سيهجرها.. بل يمكن أن يكون عقابه أقسى من الهجر, ولكن أكثر ما يهمها حقاً هو الأذى الذي سيلحق بباسل لو أخبرته أن

الأمر بدأ نخطة للإيقاع به من حماته المستقبلية.. هل سيصدق حبها له؟.. أم سيظن أن الأمر خدعة أو مؤامرة أخرى منها؟..

يا إلهي إن الوضع معقد للغاية.. ستخسره للأبد, بل سيترسخ في أعماقه فكرة أنه لا يستحق الحب.. وغير أهل له...

كانت قد وصلت أمام مكتبه دون أن تصل لقرار حاسم بعد.. فقط تدفعها حاجة ماسة لرؤيته.. والشعور به قريباً منها..

أوقفتها سكرتيرته قبل أن تدلف إلى المكتب, فطلبت منها إخباره بوجودها وأنها تحتاج لرؤيته على الفور...

دقائق قليلة مرت لتجد باسل أمامها.. على باب مكتبه وهو يطلب منها بهدوء:

- لمى.. تفضلي.. بالداخل..

دخلا معاً إلى غرفته وأغلق الباب بإحكام بعدما أكد على سكرتيرته بأنه لا يريد أزعاج أو أي مكالمات تليفونية..

التفتت لها بلهفة ظاهرة تناقض الهدوء الذي أظهره أمام سكرتيرته أمسك بيديها معاً:

- لمى.. لقد افتقدتك بشدة..

ابتسمت بتوتر:

- لقد تركتك فقط منذ بضع ساعات!

اقترب محاولاً تطويق خصرها, ولكنها ابتعدت عنه سريعاً.. فرمقها بلوم:

- لمى.. هل مازلتِ لا تثقين بي؟

اقترب أكثر ليقوم بحركته المعتادة ويسوي خصلاتها خلف أذنها:

- حتى بعد ليلة أمس؟.. ليلة كالحلم..

هزت رأسها بضعف.. وهي ترى مشاعر عاصفة تلتمع في عينيه.. مشاعر وجدت صداها في قلبها.. وطالبتها بإعلان ولائها له وثقتها به... تذكرت عودتهما في سيارته في ساعات الصباح الأولى عندما سقطت رأسها لتتوسد كتفه في ألفة لتشعر بعدها بيده تطوق خصرها ليجعل وضعها أكثر راحة.. ويقربها منه.. أيقظها همسه لها..

بروعة استقبال يوم جديد وهي بين ذراعيه..

مما دفع للدماء إلى وجنتيها.. فهمس لها من بين طيات شعرها:

- تبدين فاتنة يا وردية الوجنتين..

رغم أن عبارته ذكرتها بـعادل إلا أن وقعها داخل قلبها كان مختلفاً.. كان مبهجاً.. جعل قلبها ينتفض بقوة.. برقة.. بحب..

ضغط يديه على كفيها أعادها للواقع,

فسحبتهما بلطف من بين يديه لترفع

أحداهما وتضعها على شفتيها التي ترتعش

بقوة غير قادرة على مواجهة نظراته التي

تقتحمها.. تخبرها بأصدق اللغات.. لغة

العيون.. أنها غالية.. أثيرة.. حبيبة..

تبخر غضبها في ثوان.. وفترت حماستها

للاعتراف... عاتبت نفسها..

"هل كنت سأخبره بكل شيء فعلاً؟..

كيف؟.. الحقيقة ستدمره تماماً"..

حسمت أمرها.. وقررت عدم إخباره..

ستحميه.. حتى لو كان الثمن انسحابها الكلي

من حياته..

تردد صوته ليعاتبها في جذل:

- لمى.. حبيبتي.. فيم أنتِ شاردة؟..

رددت خلفه بذهول:

- حبيبتك!!

اقترب منها هامساً:

- نعم.. حبيبتي..

ثم اصطحبها ليتوجها إلى المصعد الذي يصلهما إلى حديقته العلوية.. السرية..

ما إن وصلا إلى الحديقة حتى اصطحبها إلى أحد أركانها الذي قام بتزيينه بأوراق الجوري وزهور البوفارديا أيضاً, ليشكل منظر طبيعي بديع من الألوان.. الأبيض والوردي والأحمر تداخلت معهم عناقيد رفيعة من المصابيح الصغيرة.. أضائها باسل فتوهجت بشدة برغم أضواء النهار الهاربة لتشكل منظر جمالي سلب أنفاسها..

"لمى.. أحبك.. تزوجيني"..

ما إن استوعبت لمى الجملة.. السؤال.. الطلب..

حتى التفتت لباسل.. جسدها يرتجف من الإثارة.. وشفتيها ترتعشان غير قادرتين على التفوه بكلمة وعينيها تلمع بألف سؤال..

فأومأ لها هامساً:

- نعم.. أحبك.. لقد أعددت كل شيء لنتناول عشاءنا هنا الليلة, وأفاتحك بالموضوع.. ولكن لا طاقة بي للانتظار..

أمسكت يده بذقنها لتحرك وجهها نحوه وترفعه قليلاً حتى تلاقت نظراتهما وهمس لها بلهجة مخدرة:

- لمى.. أنا لم أعد أستطيع الاستغناء عنكِ.. هل تتزوجيني؟..

رمشت بعينيها بشدة ولم تستطع قول شيء سوى:

- باسل..

همس بعاطفة:

- باسل لا يستطيع الابتعاد عنكِ.. أحتاجك بشدة يا لمى.. كوني لي..

سحبت يدها من بين يديه برفق وتحركت لتبتعد عنه قليلاً تحاول إجلاء ذهنها لمواجهة تلك المفاجأة, ولكنه استمر في حصارها:

- حبيبتي.. تكلمي.. لا تصمتي هكذا وتتركيني أتعذب.

هزت رأسها بقوة وهي ما زالت تحت تأثير المفاجأة.. لا تصدق بالفعل أنه طلبها للزواج..

فسألته بخفوت:

ـ زواج!!.. هل أنت جاد؟

ـ بالطبع.. وهل هذا الأمر قابل للمزاح..

ـ ولكن.. باسل.. ألا نتعجل الأمور؟..

تحرك ليقف مقابلاً لها تماماً.. وأمسك بكتفيها:

ـ أحتاجك.. لمى.. أحتاجك بجواري.. الآن.. وليس غداً..

يا إلهي!!.. كيف تقف أمام هذا الطوفان من المشاعر.. كيف تقاومه.. إنها تشعر أن الهواء حولها تحول إلى ضباب.. ضباب وردي اللون.. يلفهما معاً ويفصلهما عن

الجميع.. وهي سعيدة.. سعيدة جداً بانعزالها هذا.. لا تريد التفكير فيما هو صواب.. وفيما هو خطأ.. تريد أن تكون معه فقط بعيداً عن الجميع.. عادل.. وناريمان.. وشيرويت..

- شيرويت..

لم تدرك أنها نطقت الإسم بصوت مسموع إلا أن بعد سمعته يخبرها:

- لا عليكِ منها.. أنا أريد ردك الآن يا لمى..

ثم زفر بحرقة وهو يضمها إلى صدره:

- آه.. كم أحتاج إليكِ يا حبيبتي..

وضعت رأسها على كتفه وأغمضت عينيها بحالمية وهي تستمتع بتلك الكلمة.. "أحتاج إليكِ".. ليست الرغبة فقط, بل الحاجة, والحب, والرغبة معاً.. إنه الشعور بالاكتمال هو ما يدفعه اليها.. وذلك ما

يجعل مقاومتها تتهاوى.. وحصونها تسقط.. واحداً تلو الآخر.. وكل كلمات الرفض تأبى المرور على لسانها..

وكادت أن تنطق بالموافقة حينما زلزلتها جملته:

- لا تقلقي من شيرويت.. لا داعي لأن تعلم أبداً.. سيكون زواجنا هو سرنا الجميل..

ابتعدت عنه بسرعة ورمشت بعينيها بقوة.. هزت خصلات شعرها فتناثرت مثلما تناثرت شظايا قلبها الآن.. جالت بعينيها في حديقته تبحث عن أجزائها المتناثرة والتي مزقها بلا رحمة بقسوة كلماته.. تباً.. إنها حديقته السرية.. كما يريدها هي كزوجة سرية.. يبدو أنه يهوى إخفاء كل ما هو جميل في حياته..

حاولت الاستفسار منه.. علها أخطأت الفهم:

- هل.. هل تقصد أن يكون الزواج سري؟..

لمح أثر الصدمة على وجهها.. وخشي أن ترفض.. فحاول إقناعها بسرعة:

- لمى.. حبيبتي.. سيكون زواج رسمي موثق.. ولكنه فقط..

أكملت عنه:

- سري.. مثل عشيقة.. تقصد.. أليس كذلك؟..

صاح بها بغضب:

- لما تتفوهين بتلك الكلمة الرهيبة!

كتفت لمى ذراعيها حول صدرها.. أو هذا ما بدا له, بينما في الواقع كانت تحتضن

نفسها.. تواسيها.. وتمنعها من البكاء..

ازدردت ريقها بقوة وهي تخبره:

- وماذا يمكن أن تطلق على عرضك هذا إلا ذلك الوصف؟..

- لمى!!.. أخبرتك إنه زواج.. زواج رسمي وصحيح.. ستكونين زوجتي.. أنا أريدك زوجة لي..

همست ساخرة:

- زوجة سرية بصك عشيقة.. أم عشيقة بعقد زواج!

أمسكها من كتفيها بقوة:

- لم تتعمدين تشويه ما أعرضه عليكِ.. وتصورينه بتلك البشاعة؟.. أنا أبحث عن سعادتنا معاً..

هتفت به في غضب:

ـ بشاعة!!.. أنني أجمل لك عرضك يا عزيزي.. هل تعرف ما هي البشاعة؟..

صمتت لوهلة ابتلعت فيها ريقها لترطب حلقها الذي جف قبل أن تكمل:

ـ البشاعة هي الصورة التي تتشكل في خيالي الآن وأنا أتصورك تتسلل إلى منزلي في جنح الظلام حتى تنال بعض من السعادة التي تريدها..

تعالت ضحكات القهر منها وهي تخبره بألم:

ـ حسناً.. ما رأيك أن تجعلني أقيم في تلك الشقة فوق مكتبك.. حتى يسهل عليك التسلل من وراء ظهر شيرويت لتنال معاً بعض السعـــــــــادة..

لفظت كلمتها الأخيرة بمرارة كادت تشعر بها تنساب مع كل حرف..

صدم باسل من هجومها عليه ولم يعرف بم يجيبها بينما استطردت بغضب جامح:

- هل ظننت للحظة أنني من الممكن أن أقبل ذلك العرض؟.. كيف؟.. ألم تكن تستمع إليّ أبداً.. هل من الممكن أن أوافق على أن أكون العشيقة.. بعدما رفضت أن أكون الزوجة الأولى.. الواجهة الاجتماعية المشرفة في حياة خطيبي السابق؟.. ما الذي يدفعني إلى التواري في الظل الآن.. وأترك الشرف لعزيزتك شيرويت؟..

صاح بها بدوره:

- أنتِ تعرفين بأمر شيرويت من البداية.. فأنا لم أخفِ عليكِ أنها خطيبتي..

صمتت لمى للحظة.. تستوعب جملته.. يا إلهي.. إنه لم يكتفِ بعرضه المهين, بل ينثر الملح على الجرح.. لقد أخبرته حكايتها كاملة..

ظنت أنه أدرك عمق جرحها السابق..

ولكنه بتلك الجملة القاتلة أوضح أنها لا تختلف عن هالة_عشيقة عادل_ على الأقل من وجهة نظره.. وهي من فكرت في الانسحاب من حياته حتى لا تسبب له الأذى بإخباره عن خطة ناريمان وشيرويت..

حسناً.. إنها لحظة الحقيقة.. اتخذت قرارها..

لن تدعه يفلت بتلك الإهانة.. ستردها..

مضاعفة.. فلمى المتزمتة وردية الوجنتين التي انزوت لأسابيع تبكي خيانة حبيبها من قبل لم تعد موجودة.. تلك الـلمى.. انتهت من الوجود..

رمقته ساخرة:

ـ بالطبع.. شيرويت هي خطيبتك.. هل كنت تعتقد أن أي من هذا كان ليحدث لو كنت مخطوباً لامرأة أخرى؟..

سألها بحيرة:

ـ ماذا تعنين؟.

اجابته باستهزاء:

ـ أعني أنك التقطت الطعم يا عزيزي..

وضربت بإحدى كفيها على الآخر:

ـ تباً.. لقد كان الأمر غاية في السهولة..

والآن معي عرض الزواج الذي ستطير به ناريمان كاظم من السعادة..

وفرقعت بأصابعها والقسوة ترتسم في عينيها:

ـ وهكذا.. ستتولى هي تدمير زواجك الوشيك من ابنتها.. فهي تراك لا تليق بدمية البورسلين خاصتها..

أمسك بذراعها بقسوة:

- ما معنى كلامك هذا؟..

هزت كتفيها بالامبالاة:

- تماماً ما فهمته..

- هل تقصدين أنك تعملين لصالح ناريمان؟..

ابتسمت حتى لا تنتحب.. ضحكت لتتحكم في الدموع التي على وشك الانهمار..

قهقهت بمرارة تشعر بلسعتها في جوفها وهي تخبره:

- بالطبع يا عزيزي.. أعتقد أنك ذكي بما يكفي لتعلم أن كل ما حدث بيننا.. كان يصلها أولاً بأول.

سألها بجمود:

- كم دفعت لكِ؟

هزتها الإهانة.. ولكنها صمدت أمامه وهي تخبره:

- أخبرتك مرة أن المال ليس ما أطمح به..

هز رأسه موافقاً:

- نعم.. أنتِ طموحك الصحافة.. وناريمان تستطيع فتح الأبواب الموصدة..

صفقت له بسخرية:

- بينجو.. ونقطة هنا.. للسيد باسل مختار!

صرخ بها بغضب:

- توقفي عن السخرية..

ربتت على وجنته بخفة:

- اهدأ يا عزيزي.. لا داعي لكل هذا الغضب..

دفع يدها بعيداً:

ـ كل ما حدث كان تظاهر؟..

هزت لمى كتفيها:

ـ لقد دبرت ناريمان حادث التصادم.. ثم حدث كل شيء بسرعة.. فأنت يا عزيزي لا تستطيع مقاومة عبثك.

ـ ألا تخشين من انتقامي؟..

هزت كتفيها بلامبالاة:

ـ لم أعتقد أنك قد تبتذل نفسك لتنتقم من امرأة؟.

وتحركت نحو المصعد.. فقناع السخرية والتماسك على وشك الانهيار..

أوقفها سؤاله:

ـ لم أخبرتني؟..

تجمدت.. لقد باغتها السؤال.. سؤال لم تفكر به.. ولم يسعفها ذكائها بأي إجابة.. عندما اقترب ليجذبها من ذراعها ويلفها نحوه:

- لم أخبرتني, لمى؟.. لقد حققتِ المطلوب منكِ.. لم صارحتني؟..

ترددت.. وحاولت العثور على إجابة مقنعة.. عندما سألها هو:

- هل لأنني عرضت زواجاً سرياً؟.. هل كان المطلوب أن أعلن تخليَّ عن شيرويت؟..

وجدت لمى الكذبة تندفع على لسانها:

- لقد أردت الإنتقام فحسب..

قاطعها ذاهلاً:

ـ الإنتقام!!.. هل استغللتني حتى تنتقمين مما فعله بكِ زوجك السابق؟..

كانت هي مذهولة مما وصل إليه تفكيره..

ولكنها جارته في ظنه:

ـ نعم.. وكذلك من ناريمان.. فقط تراجعت عن اتفاقنا.. والآن.. أنت ترى أنا لن أخبرها بعرضك المخزي.. فأنت تستحقها هي وابنتها تماماً.. وداعاً..

وجذبت يدها منه بعنف.. وركضت نحو المصعد لتهرب منه قبل أن تنهار تحت قدميه..

راقب باسل هروبها بعيون متجمدة من الصدمة والغضب معاً.. لم يصدق أنها كانت تخدعه.. كان حجر شطرنج بيد ناريمان.. لعبة تلهو بها لمى..

مرت لحظاتهما معاً أمامه ليتذكر ابتسامتها..

شقاوتها.. نعومتها.. رائحتها.. رقصهما معاً..

ذوبانها بين ذراعيه.. كله كان خداع..

تمثيل.. تظاهر..

صرخ بغضب:

ـ اللعنة.. اللعنة عليكِ يا لمى..

ثم تناول أحد المقعد ليطوحه في الهواء

مدمراً مغزولة الزهور والأضواء التي عكف

على صنعها من أجل تلك المخادعة حتى

يبهرها بطلب الزواج..

بعد أن انتهى من تدمير كل جزء من ذلك

الركن تحرك ليجهز على حديقته التي بذل

سنين في تنسيقها والعناية بها.. كان الغضب

بداخله أقوى من صوت العقل الذي

تراجع أمام إحدى الغرائز البدائية لتعبر عن

نفسها بوضوح..

ألقى باسل بجسده أرضاً يلهث إرهاقاً وغضباً.. شعر بالدموع تصرخ خلف رموشه ليسمح لها بالهروب.. أغمض عينيه ليمنعهم فتراءت له صورة باسل الشاب اليافع على فراش المشفى يكتم آلامه حتى لا تظن ممرضاته أنه خنوع ضعيف.. يكتم صراخ "أريد أمي".. لأنه يعلم أن أمه لن تلبي ندائه.. فهي لم تعد تريده.. تركته وهجرته كما فعلت لمى..

فتح عينيه ومسحهما بظهر يده.. حسناً.. سيتمسك بمن تريده حقاً.. من احتملت برودته وتجاهله.. سيكمل زواجه من شيرويت..

توجه إلى مكتبه ليستدعي سكرتيرته:

- أريد ناريمان كاظم على الهاتف الآن!

قال جملته بنبرة ميتة.. ولكن كان غضبه مرسوماً على كل ملامح وجهه مما تسبب في تلعثم السكرتيرة وهي تردد:

- حاضر.. سيدي..

مرت ثوان.. ثم سمع صوت الهاتف ليلتقطه بخفة:

- ناريمان هانم على الهاتف سيدي..

أجابها بنفس النبرة الميتة:

- صليني بها..

ما إن سمع صوت ناريمان حتى أخبرها بغضب بارد:

- استمعي إليّ جيداً أيتها السيدة.. أبعدي أنفك الكريه عن زواجي بشيرويت.. وإلا سأخبرها أي كائن حقود وشرير هي أمها..

أمها التي تخطط, بل وتستأجر امرأة لإغوائي.. ابتعدي عنا هل فهمتِ؟.

وأغلق السماعة بعنف.. وهو يهمس لنفسه..

"حسناً يا لمى.. قد يكون الأمر خداع وتظاهر.. لا أدري.. فأنا لست ذلك الساذج الذي تخدعني مشاعر مزيفة.. أنا أظن.. بل أكاد أكون متأكد من أنكِ تحملين مشاعر نحوي.. إذاً.. فلتشهدي عقابك بعينيكِ.. لقد أخطأتِ يا عزيزتي عندما ظننتِ أنني لن أنتقم فقط لأنكِ امرأة.. كلا.. لأنكِ امرأة لن تفلتين دون عقاب.. دون أن يحترق قلبك... سأتمتع برؤية رماد مشاعرك.. وشيرويت معلقة بذراعي في كل مكان"

بينما على الجهة الأخرى كانت ناريمان تنظر للهاتف بتعجب.. وشيرويت تهتف بحيرة:

- إنها لم تخبره.. لم تخبره عن تورطي في الأمر!!.. كما يبدو أنهما تشاجرا معاً..

شاركتها ناريمان حيرتها وتعجبها:

- بالفعل.. يبدو أنها حاولت إخباره بخطتنا, وانتهى الأمر بشجارهما..

كتفت شيرويت ذراعيها:

- حسناً.. أمي.. أظن أن هذا يكفي..

ومكالمته تلك تثبت أنه متمسك بي إلى النهاية..

صمتت ناريمان على مضض.. فقد أحرقت جميع أوراقها بالفعل.. وتلك المكالمة الأخيرة بكل عنفها والتي شهدتها شيرويت, أوضحت بالفعل تمسك باسل بها..

****

جلس باسل خلف مكتبه الذي نُثرت عليه مجموعة كبيرة من الصور.. كلها خاصة بلمى..أكثر من صورة بأكثر من زاوية وأكثر من موقف.. رفع إحدى الصور يتأمل الحزن المرسوم على ملامحها بوضوح.. اختفاء اللمعة من عينيها الجميلتين.. خصلاتها المنطلقة بحرية دائماً جمعتها في قبضة قاسية.. شفتاها الشهيتان المنفرجتان دائماً بدعوة للابتسام أو التقبيل, زمتا بطريقة كئيبة.. هل عينيه تخدعانه أم أن ذقنها الصغير المرتفع بكبرياء دائماً يبدو منكساً, منكسراً ومهزوماً..

أخذت أصابعه تتلمس ملامحها في حزن وهو يتمتم للصورة..

"لماذا؟.. لماذا يا لمى؟..أرى ملامحك تنطق بالحزن.. فهل خدعني قلبي وأخطأ قراءة الحب بعينيكِ؟ أم كنت فعلاً مجرد درجة في سلم طموحاتك؟.. أُدرك أنني جرحتك ولكنكِ ذبحتني يا حبيبتي.. لما لم تتركيني لحالي بدون أن أتذوق طعم الحب الحقيقي بين نظراتك.. بدون أن تعذبني ذكرى عطر خصلاتك بين أنفاسي.. بدون أن أحلم بالفضة المتلألئة بعينيكِ عندما تبتسمين لي.. أنا فقط"

صرخ بصوت عال وهو يضرب مكتبه بقبضته:

- لماذا يا لمى؟؟...

ثم ضرب صدره بقبضته وهو يعاود الصراخ:

- لماذا يا قلب!!

عاد ليتأمل ملامحها الحزينة في الصور.. وهو يتذكر قراره بأن تتولى لمى الإشراف على تغطية المجلة لفاعليات زواجه من شيرويت.. حيث أمر بارسال مجموعة من صوره اليومية مع شيرويت وهما يلتقيان ليضيفا اللمسات الأخيرة على بيتهما.. أو للإشراف على تنظيم قاعة الزفاف..

كان قراره قاسياً وهو يعلم ذلك الآن, يكاد يلمس دموعها في إحدى صورها والذي يلتقطها بإسراف أحد رجاله الذي يتبعها في كل مكان.. حتى في المجلة!!.. ولكنه كان غاضباً مجروحاً.. وكان يريد تأكيداً لإحساسه بحبها.. وهو ما يراه الآن جلياً في ملامحها التي أصبح يحفظ تغيراتها عن ظهر قلب, فهي قد تبدو لأي شخص آخر في قمة ثباتها وقوتها.. إلا أن بعض لمحات بسيطة في

صورها التي أدمن تأملها.. تخبره هو وحده.. بأنها كاذبة.. وأنها تحبه كما يعشقها.. ولكن.. آه من "لكن" تلك..

لكنه لا يعلم إذا كان قادراً على منحها الغفران.. أو طلبه منها..

****

جلس داغر إلى مائدة الافطار مع والدته وجدته ملك وصغيرته ندى شارداً عنهم تماماً.. حتى أن الصغيرة تذمرت من تجاهله لها.. فحثتها الجدة ملك على الذهاب إلى أرجوحتها المفضلة بالحديقة والتفتت إلى كنتها لتخبرها بصوت آمر:

- نجوى.. اصطحبي ندى للحديقة.. فأنا أريد داغر بأمر هام..

أومأت نجوى بصمت وتحركت لتخرج برفقة الصغيرة التي رمت نفسها أولاً

بأحضان والدها, فضمها بشدة لصدره

وداعب شعرها هامساً:

ـ لا تغضبي من بابا حبيبتي.. فعقله مشغول بالعمل الكثير..

قبلته بوجنته متسائلة:

.....

ـ هل ستنسى احضار شيكولاة ندى المفضلة ثانية؟..

.....

وضع يده على قلبه:

ـ تلك كانت أول وآخر مرة.. أقسم بشرف الكشافة..

ضحكت ندى:

ـ ماذا تعني يا بابا؟..

قبلها بخفة:

.....

ـ لن أنسى مرة ثانية أبداً يا حبيبتي.. والآن اذهبي مع جدتك..

التفت إلى جدته متسائلاً:

ـ ماذا هناك يا جدتي؟..

رمقته العجوز بنظرة متعجبة وهي تسأله:

ـ ستترك ابنة عمك تتزوج من ذلك العابث؟..

.....

اجابها من بين أسنانه:

ـ باسل ليس عابثاً.. لا تنسي أنني أعرفه جيداً

ـ وعلاقتك به تلك تمنعك من التدخل لانقاذ الفتاة!

ـ ماذا تقصدين يا جدتي؟..

سألته بحزم:

.....

- تخشى على كبريائك أمام رجل آخر؟..

طحن داغر فوطة المائدة بأنامله وهمس بغيظ:

- هي تريد الزواج منه.

صاحت الجدة:

- الفتاة تعشقك منذ سنوات.. أنا صمتُ فقط اكراماً لابنتك الصغيرة ووجود والدتها في حياتك.. أما الآن لن أصمت أبداً وأنا أرى حفيديّ يضيعان حياتهما بغباء منقطع النظير.. اذهب لابنة عمك واخبرها بحقيقة مشاعرك نحوها..

اجاب داغر بصبر:

- كيف يمكنني أن أفعل ذلك وهي ترتدي خاتم رجلاً آخر..

.....

رفعت الجدة عينيها لأعلى تستجدي الصبر:

.....

- هي تفعل ذلك حتى يتحرك الأحمق الذي تعشقه.. ثم أنت متأكد أن ذلك الباسل لا يحبها.. لقد أخبرتني أمس أنه متورط مع امرأة أخرى.. تحرك وانقذ ابنة عمك أيها الشهم..

- جدتي..

.....

تنهدت الجدة وهي تربت على يد داغر بحب:

- حبيبي.. أنا أعلم مبادئك وقوة تمسكك بها.. أنا لا أريدك أن تخل بها.. ولكنك جرحت الفتاة بعمق كما أخبرتني من قبل.. وهي تستحق منك مغامرة بسيطة.. لا تبخل عليها بمشاعرك..

.....

تأمل داغر جدته بصمت حائر.. لم يعد يفرق بين الصواب والخطأ.. لكنه متأكد أن شيرويت ما زالت تكن له بعض

المشاعر.. فهل يجازف ويصارحها؟.. هل يفعلها؟؟...

****

.....

أنهت لمى اللمسات الأخيرة على تبرجها الذي اهتمت به للغاية.. فظللت عينيها الفضيتين بظلال رمادية داكنة وتداخل معها الكحل العربي الأسود مما أبرز اتساع عينيها وزاد من وحشيتهما.. ولم تحتج إلا لطلاء الشفاه الأحمر الصارخ والذي يناسب ثوبها الخيالي, والذي انتقته خصيصاً لتلك السهرة..

ابتسمت بسخرية.. وهي تردد "حفل بمناسبة اقتراب الزفاف.. يا للسخافة"..

والأكثر سخفاً.. أنه يقيم الحفل على متن باخرته, التي اصطحبها إليها في أولى لقاءاتهما..

حسناً.. هي لا تعلم أي شيطان تلبسها حتى تسعى جاهدة لتتدبر لنفسها إحدى الدعوات الخاصة.. ولكنها ستكون ملعونة لو اختبأت وتورات عن الأنظار كأنها هي المذنبة الوحيدة فيما حدث.. بينما هو يستمر بحياته وكأن شيء لم يكن.. بل يمتلك من الجرأة ليأمرها بتنسيق موضوع يومي عن فاعليات زواجه من دمية البورسلين خاصته..

زفرت بحنق وهي تتذكر تأملها اليومي للقطات مختلفة له مع شيرويت.. مرة يتناولان الطعام.. مرة ينتقيان قطع أثاث لمنزلهما.. وعدة لقطات أخرى لهما في ذلك المنزل...

ولكنها لم تلمحه ينظر إلى شيرويت في أي صورة, بل كان دائماً ينظر إلى الكاميرا بعينين خاليتين من التعبير.. كلا.. لم يكن

ينظر إلى الكاميرا, بل كان ينظر إليها هي..

هذا ما أقنعت به نفسها.. وهي تتحداه يومياً بالنظر إلى صوره..

هامسة له..

"متى ستفيق من غبائك أيها الأحمق؟.. أنا لن أنتظرك إلى الأبد!"..

نعم إنها في انتظاره ليعتذر.. يعتذر عن عرضه الأحمق.. قد تكون أخطأت.. بل تعترف أنها أخطأت بالفعل.. قبولها عرض ناريمان كان خطأً كبير.. لكنها لم تخطئ عندما أحبته.. فهذا أمر خارج نطاق سيطرتها.. فلو امتلكنا القدرة على اختيار من نهديهم قلوبنا لفقد الحب كنهه.. لذته.. وعذابه.. حلاوته.. ومراره..

إنها تحب باسل وكفى.. لهذا ستذهب..

وستجعله يراها.. ويتأملها.. ويتذكر ما كان

بينهما, بل... ويندم لأنه أضاعها من يده...

حاولت تجاهل الصوت الخفي بأعماقها

الذي يهتف بها..

"بل ترغبين في الذهاب لرؤيته".. ولكنه

استمر في التردد..

حتى صاحت بحنق..

"حسناً.. وإن يكن.. نعم أرغب في رؤيته..

في استعادته ثانية.. أريده أن يجثو على

ركبتيه معتذراً... لماذا يحق له هو متابعتي

وأنا لا؟!.. هل يعتقد أنني حمقاء لم ألحظ

رجل الأمن خاصته وهو يتبعني في كل

مكان.. هل نسى أنني صحفية محترفة,

ومتابعة الناس وأخبارهم هي موهبتي

الأولى!!.. ولكن لم هو حريص على متابعة

أخباري؟.. ما الذي يريده؟.. بل ما الذي ينتظره.. تلك هي النقطة الفاصلة"..

بالفعل كانت تلك هي النقطة الفاصلة والداعمة للمى لتصل إلى الحفل متذرعة بثقة عالية وهي تسمع شهقات الرجال وتلمح نظرات السيدات الحاقدة.. فهي كانت لامعة.. مشعة.. مبهرة بثوبها الأحمر المصنوع من قماش الشيفون وهو يغطي جسدها بأكمله في احتشام خادع.. فهو كان يحتضن صدرها بحميمية وينسدل بعدة طبقات أثيرية حتى يصل إلى كاحليها.. كان الفستان لا يحتوي على طبقة بطانة داخلية ولكنه يمتاز بطبقات متراكمة من القماش الناعم.. والشفاف!!..

لم تهتم بكل النظرات المحدقة بها.. حتى لمحت عينين خضراوين تبرقان بغضب..

شعرت لحظتها بالرضا.. فقد أغضبته.. بادلته نظرته الغاضبة لفترة ثم انتقلت بعينيها إلى شيرويت الواقفة بجواره ترتدي ثوباً طويلاً كريمي اللون ذو تصميم غاية في الرقي والأناقة.. وغاية في التحفظ.. كما ينبغي للوريثة الأهم في المجتمع المخملي..

لمحتها شيرويت وظهرت الصدمة لرؤيتها في عينيها, فهي بكل الاحوال لم تتوقع ظهورها بذلك التألق كشمس منتصف الليل..

رفعت لمى أحد حاجبيها وكأنها تتحداها لتعترض على وجودها في حفلتها.. أخذتا تتبادلان النظرات لفترة حتى أخفضت شيرويت نظرها وأشاحت بوجهها بعيداً..

لمحته لمى يتحرك متجهاً نحوها, فتحركت بدورها بسرعة لتتنقل بين المدعوين.. وهي تمارس موهبتها الطبيعية في تبادل الحوارات وجمع المعلومات.. وسحر من حولها بفتنة عينيها وجرأتها..

لاحظت أنه يحاول جاهداً التواجد حولها.. يسعى للاقتراب منها, فابتسمت بجذل..

"هل تعتقد أنني سأسهل الأمر عليك يا حبيبي!!"..

تعمدت أن تظل في وسط مجموعة من الناس دائمًا.. قد تتبدل المجموعة ولكنها لم تسمح لنفسها بالانعزال وحيدة, فهي تدرك أنه ينتظر تلك اللحظة لينقض عليها.. ولكن ذلك لا يمنع أنها في كل حركة منها كانت تتمتع بنظراته التي تراقبها.. تترصدها..

هل ترى في غضب نظراته آثار حنين وشوق يسعى لاخفائها؟!.. نعم.. إنها نفس النظرة التي تكررت في صوره الأخيرة والتي كانت تنسقها اليوم.. وكأنه يلومها على ابتعادها.. وكأنه غاضب منها ومن نفسه..

همست..

"هل أنت غاضب لتأخري في الظهور؟.. أم لأنني ظهرت في حفلك البائس هذا.. أكاد أقدم نصف عمري لأسمع أفكارك الآن.. فأنت لا فكرة لديك عما أنتويه"

ارتسمت ابتسامة جذلى اخرى على شفتيها, لتسمع صوت يأتي من خلفها:

- لماذا ينتابني شعور بأن تلك الابتسامة الجذابة تعني بأن رجلاً ما في ورطة!!..

التفتت لتصطدم بعينين داكنتين لرجل طويل يكاد يماثل باسل طولاً.. لم يكن

وسيماً بالمعنى المفهوم ولكنه كان مفترساً..

هذا ما فكرت به.. مفترساً وبرياً..

سألته بتوجس:

ـ أنا لا أعرفك؟

قدم نفسه بتهذيب:

ـ داغر كاظم.. ابن عم شيرويت..

اجابته بهمسة متخاذلة:

ـ أها..

سألها بلباقة:

ـ وأنتِ الآنسة.. آه.. عفواً.. السيدة لمى..

برقت عيناها بشراسة فاتنة:

ـ يبدو أن هناك من قام بواجبه بطريقة صحيحة!..

رفع حاجبه بأناقة:

ـ أعتقد أن هذا واجبي كأي ابن عم تقليدي مخلص..

لفتت انتباهها كلمة تقليدي.. فكررتها بنبرة خاصة وهي تتأمله بنظرة ذات مغزى:

ـ تقليدي!!

أومأ موافقاً قبل أن يسألها بتفكه:

ـ نعم غاية في التقليدية.. والآن كيف تنوين الفتك بباسل؟..

رددت باستنكار وقد استعادت شقاوتها:

ـ الفتك به!!.. لا أعتقد أن ذلك تعبير مناسب!

هز كتفيه بلامبالاة:

ـ أعتقد أنه مناسب لوصف التعبير المرتسم على وجهك..

لمحت من بعيد نظرات باسل تشتعل غضباً.. فاتسعت ابتسامتها.. جيد..

ـ جيد جداً في الواقع..

لم تدرك أنها تحدثت بصوت عالٍ حتى استفسر منها داغر:

ـ ما هو الجيد جداً؟..

نظرت إليه بحيرة قبل أن تفهم مغزى سؤاله.. ثم أخبرته ببساطة:

ـ Sway.. أنا أعشق تلك الأغنية

.. إنهم يعزفونها

ثم سحبته من يده:

ـ هيا.. راقصني..

وكانت رقصة جذبت انتباه جميع المدعوين وهم يشاهدون تلك الجنية الصغيرة بفستانها الناري وطبقاته تطير حولها, لتعود وتلف قدها الرشيق وتظهر دقة تكوينه وفتنته..

كان داغر يدور بها.. ويلف من حولها..

فكانت تدور الدنيا بها.. إلا من عينيّ باسل.. مركز الكون بالنسبة لها.. فكانت مع كل دورة حول داغر تركز عينيها بعينيّ باسل وكأنها تصرخ به.."تقدم واسحبني من بين ذراعيه"..

توقفت الموسيقى وانتهت الرقصة ولمى منثنية على ذراع داغر الذي أوقفها على قدميها وأمسك بإحدى يديها مقبلاً إياها:

- شكراً على الرقصة المنعشة..

سحبت يدها بسرعة فقد ذكرتها حركته بباسل وأجابت باضطراب:

- ذلك من دواعي سروري..

تمسك بيدها وتحركا بعيداً عن حلبة الرقص وهو يسألها:

- والان.. أحتاج أن تخبريني.. هل يجب أن أقوم بالمبارازة مع باسل؟..

سألته بذهول:

- لماذا؟..

هز كتفيه:

- لأنني أعبث مع المرأة التي يحبها!

عاد الذهول يتملكها:

- وهل تعبث مع شيرويت؟!

رمقها بنظرة غامضة:

ـ ولكن شيرويت ليست المرأة التي يعشقها باسل.. أظن أنكِ تعرفين تماماً من أقصد.. فهو يكاد يحرقنا الآن بنظراته..

صدمتها كلماته ووترتها بشدة ولم تجد أي ما ترد به فغمغمت باضطراب:

ـ سأذهب إلى غرفة السيدات.. معذرة..

كانت عينيّ باسل تتبعها, بل لم يتوقف لحظة عن متابعتها منذ اللحظة التي وضعت بها قدمها على باخرته.. وهي تتهرب وتفلت منه كالزئبق اللعين.. توعد في نفسه رجال الأمن لديه الذين غفلوا عن مراقبتها.. ولم يبلغوه باحتمالية حضورها إلى الحفلة لتفاجئه الشعلة النارية التي أحرقت مشاعره وأشعلت غيرته بشكل غير مسبوق.. حتى أنه يشعر وكأنه على وشك الاشتعال ذاتياً.. قرر أخيراً الحديث إليها بعدما لمحها تتجه نحو

غرفة السيدات.. أخيراً وحدها.. وأخيراً الاستحواذ عليها... لبعض الوقت..

****

ما إن دلفت لمى إلى غرفة السيدات حتى فوجئت برؤية شيرويت هناك تنحني على إحدى المغاسل وهي تتأمل ملامحها في المرآة المقابلة.. ابتلعت لمى مفاجآتها بسرعة وهي تحييها ببرود:

ـ مساء الخير.. شيرويت.. تهانئتي..

التفتت لها شيرويت وعينيها تلتمع بنظرة متحدية:

ـ ماذا تفعلين هنا الليلة؟..

هزت لمى كتفيها وهي تخرج أدوات زينتها لتعيد تجديدها:

ـ إنه.. احتفال.. ماذا تعتقدين؟!..

ثم أردفت:

- السؤال هو.. لماذا تختبئين أنتِ هنا تاركة الاحتفال بالخارج؟..

أغمضت شيرويت عينيها بقوة ثم صرخت بها بقوة:

- لم احتمل مراقبتكما معاً.. هل أنتِ سعيدة الآن؟..

هاجمتها لمى وقد ظنت أنها تتحدث عن باسل بينما كانت شيرويت تشتعل غيرة من رقص داغر ولمى:

- لم تستمرين إذاً؟.. ما الذي يجبرك على إكمال تلك الزيجة؟..

هزت شيرويت رأسها بغيظ:

- أنتِ لا تفهمين شيئاً!

أشارت لها لمى باستهزاء:

- أنتِ من تتهربين من مواجهة الحقيقة.. أم أنكِ تتوقين للعب دور سيدة المجتمع الارستقراطية التي تغض الطرف عن زوجها ونزواته!

صاحت بها شيرويت بغيظ وهي تهم بصفعها:

- اخرسي..

لكن لمى تلقت يد شيرويت وهي مازالت في الهواء وهي تخبرها بقوة:

- إياكِ.. إياكِ أن تتجرئي وترفعي يدك عليّ.. ولا داعي لهذا الاعتداد الشديد.. فلم تكوني الوحيدة التي عرض عليها الزواج.. الفارق بيننا.. أنني لا أشارك رجلي مع امرأة أخرى..

ثم تركت يد شيرويت لتسقط بجانبها لتسألها الأخيرة بهدوء أثار ريبة لمى:

- هل طلب الزواج منكِ؟..

أجابتها لمى بثقة وبداخلها تتساءل بحيرة عن رد فعل شيرويت الهادئ:

- نعم فعل.

أخذت شيرويت تستجوبها ببرود:

- لم لم تخبريه بتورطي في خطة أمي؟.. ولم لم توافقي على عرض الزواج؟..

ثم طرقعت بأصابعها وقد لمع الإدراك في عينيها:

- لم يكن زواجاً رسمياً.. صحيح..

برقت عينا لمى بالغضب وهي تخبرها من تحت أسنانها:

- هل تعلمين.. أنني ظللت ألوم نفسي كثيراً لمشاركتي في خطة والدتك.. ولكني لا أستطيع لوم نفسي على وقوعي في حب باسل.. إنه هو من أشعر بالذنب نحوه لدخولي تلك اللعبة..

سألتها شيرويت بسخرية:

حقاً!!..

لم تفهم لمى السر خلف برود شيرويت فهزت رأسها بغضب وأخبرت شيرويت بثقة تريد انهاء الحوار بينهما:

- تريدين أن تعلمي سبب إخفائي أمر تورطك؟.. حسناً.. لقد فعلت ذلك حتى أكون متأكدة أنه عندما يعود باسل لي.. سيعود فقط بسبب الحب, وليس بسبب صدمته في دمية البورسلين خاصته!!

رفعت شيرويت حاجباً أنيقاً وهي تتساءل:

ـ عندما وليس إذا!

ثم تحولت لهجتها للحزم فجأة وهي تقترب من لمى متسائلة:

ـ لم أنتِ هنا حقًا؟

رمقتها لمى بتحدي وأجابتها بثقة:

ـ لأسترد باسل..

ابتسمت شيرويت ساخرة لتهمس:

ـ حسناً.. حظ سعيد..

اتسعت عينا لمى بذهول من رد فعل شيرويت المخالف لتوقعاتها فهمست بعجب:

ـ شكراً لكِ..

وتركتها لتخرج بسرعة من غرفة السيدات لتفاجئ بباسل يقبض على ذراعها بقوة..

****

بقيت شيرويت لتصلح زينتها أمام المرآة حينما فوجئت بداغر يدخل إلى الغرفة ويوصد بابها خلفه بهدوء.. فغمغمت شيرويت بعجب:

- داغر كاظم بداخل غرفة السيدات في باخرة باسل.. مرحى.. مرحى.. لقد تغيرت كثيراً يا ابن العم..

بسط ذراعيه أمامه بهدوء:

- لابد من نكهة الجنون حتى نستمتع بلذة الحياة..

رفعت شيرويت حاجبها بتساؤل:

- هل أنت داغر حقًا!

سألها مباشرة:

- هل أزعجك مراقصتي لتلك الصحفية؟..

ارتدت للخلف بسرعة وكأنه ذكرها بسبب غضبها المفاجئ وتركها لمكانها بجوار باسل لتختبئ داخل غرفة السيدات.. فلو لم تفعل لكانت خدشت عينيّ داغر بأظافرها حتى لا يرمق تلك الـ لمى بإعجاب وكأنها أروع امرأة في الكون..

نظراتها الغاضبة كانت الاجابة التي يريدها داغر فتحرك بسرعة ليمسك كفها وهو يهمس بعنف:

- اخلعي هذا الخاتم اللعين حتى يمكنني أن أخبرك أني أحبك..

رفعت عينيها بذهول:

- تحبني!!..

ابتعد عنها على الفور وهو يزفر بحنق:

- يا الهي شيرويت.. ماذا ظننتِ؟!.. لقد طلبت منكِ الزواج عدة مرات..

هتفت بحدة:

- لكنك لم تخبرني من قبل أنك تحبني..

ضرب الحائط بقبضته بغضب:

- لقد كنت متزوجاً.. حتى وإن كنت منفصلاً عن زوجتي, ولكني لم أرغب في وضعك بأي موضع يثير الشبهات.. وما أن تحررت من زواجي حتى فوجئت بطلب باسل الزواج منكِ.. وعندما عرضت عليكِ الزواج رفضتِ بعنف وكأنني مرض فتاك سيصيبك بالموت..

صرخت به:

ـ وهل نسيت ما فعلته أنت!.. هل نسيت نبذك لي؟.. اهانتك واحتقارك لي.. طردك لي من بيتي..

ردد بذهول:

ـ طردك!.. أنا لم أطردك..

قاطعته:

ـ لقد أقنعت أمي وساعدتها في الخروج من قصر كاظم..

صرخ بها:

ـ لقد كان ذلك لحمايتكِ أيتها الغبية..

تهدج صوتها بألم:

ـ هل الحماية مبرر لايذائي بتلك الطريقة!.. كيف يعمل عقلك داغر؟.. كيف تركتني

طوال تلك السنوات وأنا أشعر كحقيرة منبوذة؟..

ردد بضعف:

ـ أنا لم أعتقد..

قاطعته بقوة:

ـ هل تعرف كيف شعرت وأنا أظن أنني مبتذلة وضيعة.. أنني لا أليق بالتواجد في قصر كاظم.. لا أليق بوريث عائلة كاظم..

غمغم بألم:

ـ شيرويت..

قاطعته:

ـ لقد ظللت لسنوات أعتقد أنني خيبت ظنك.. أنني لا أمتلك الرقي والأخلاق.. ظننت لفتر طويلة.. أنني لا أستحق.. لا أستحق زوج.. رجل...

تهدج صوتها وهي تخبره بخفوت:

ـ مثلك..

ثم تحركت بسرعة لتخرج من الغرفة لكنه جذب ذراعها يستوقفها فصاحت بغضب ودموعها تتقافز على وجنتيها:

ـ كلا.. ابتعد عن وجهي.. أنا سأتزوج باسل.. فهو من وافق بتلك المسخ التي ولدت على يديك..

كاد داغر أن يحطم الحجرة فوق رأسه, لقد صارحها بحبه وهي ما زالت ترتدي خاتم

باسل, ماذا تريد بعد!.. خالف كل مبادئه ومعتقداته وطارد امرأة رجل آخر.. امرأة كانت له ولكنه امتلك من الغباء ما دفعها لأحضان آخر..

ماذا يفعل!.. أيستجيب لنداء قلبه ليختطفها بعيداً بالرغم من رفضها المطلق له, أم يرضخ لصوت العقل الذي يخبره أنه آذاها بما يكفي ليتنحى بعيداً عن حياتها تاركاً لها فرصة للسعادة.. فرصة هي تستحقها..

وباسل برغم كل عيوبه إلا أنه قادراً على منحها تلك السعادة...

عادت كلماتها تتردد بذهنه..

"أنا سأتزوج باسل.. فهو من وافق بتلك المسخ التي ولدت على يديك"..

ترددت كثيراً حتى أوجعت قلبه وقهرت إرادته وحبه.. لتتهدل كتفاه وهو يصدر

على مشاعره حكماً بالإعدام وينسحب من تلك المعركة الخاسرة.. تاركاً الميدان خالياً أمام الفارس الآخر...

****

وجدت لمى نفسها تسحب سحباً لأحدى الغرف والتي ما أن أضائها باسل حتى أدركت أنها غرفة مكتب أنيقة.. فصاحت به وقد تمالكت نفسها:

- ما الذي تظن نفسك تفعله؟..

سألها مباشرة:

- ما الذي أخبرتِ به شيرويت؟..

رمقته لمى بمكر, فهي مدركة أن شيرويت غير قادرة على مصارحته بشيء:

- حديث نسائي لطيف!

صاح بغضب:

- لمى..

أجابته بتحدي:

- ماذا؟

- لم أتيتِ الليلة؟..

أجابته بشقاوتها التي افتقدها بشدة:

- جئت ملبية لنداء نظراتك..

همس بحيرة:

- أي نظرات!

أجابته بغيظ:

- ألا تعلم أي نظرات.. تلك التي في صورك مع قديستك المنحرفة!

تجاهل إهانتها لشيرويت وعاد لسؤالها:

- لم الآن؟.. لم أتيتِ الآن؟..

تحركت لمى بغير ارتياح.. فما توشك على قوله الآن.. يحتاج الكثير من الإرادة.. الكثير والكثير.. أجلت صوتها:

- أحتاج لأخبرك شيئاً..

- ماذا؟..

- رجاءً.. لا تقاطعني.. فما أود قوله صعب بما فيه الكفاية..أنا أولاً أود أن أعتذر عن.. عن.. نحن.. علاقتنا.. أعترف أنها بدأت بتخطيط من ناريمان.. وأنني وافقت على الاشتراك في خطتها الغبية.. وكان كل هدفي إثبات أنك رجل لعوب.. زير نساء فاسد يجري وراء كل أنثى.. لكن بعد.. أن عرفتك جيداً.. ذلك اليوم في حديقتك العلوية.. حسناً لقد تعدى الأمر كل خطط ناريمان..

صمتت لوهلة وهي تحاول استجماع شجاعتها:

ـ أنا أحببتك.. باسل.. أريدك أن تعلم ذلك.. أحببتك حقاً..

تهدج صوتها:

ـ ومازلت..

صرخ بها:

ـ كاذبة.. أي لعبة لعينة تقومين بها؟..

ـ أعتقد أنك محق في سوء ظنك.. ولكنني لا ألعب أي لعبة.. فلو راجعت علاقتنا لوجدت أنني قمت بعدد قليل جداً من المبادرات نحوك لتنفيذ خطة ناريمان, ولكني الليلة جئت من أجلك ومن أجلي.. جئت لأدافع عن حبي لك.. أنا لا أريد أذية شيرويت.. ولكنني لم أختر الوقوع في حبك.. لا أحد قادر على اختيار من يمنحه قلبه.. نحن فقط نفعل..

زفر باسل بحزن.. يا إلهي.. لقد قالتها..

اعترفت بحبه.. كانت أكثر شجاعة منه..

سعت إليه.. جاءت معتذرة عن خطأها..

وصارحته بحبها.. ماذا يريد أكثر.. لقد

قدمت كل شيء.. ماذا يستطيع أن يفعل..

أجرى باسل أصابعه في شعره بيأس:

- لمى.. أنا.. أنا.. لا أستطيع التخلي عن

شيرويت.. لقد ارتبطت بوعد لأبيها..

والأعمال.. والشراكة.. لمى أرجوكِ حاولي

تفهم الموقف.. في عالمنا.. عالم الأعمال..

الصراع محتدم.. فكرة أن أتخلى عن شيرويت

كاظم.. أن أخل بوعدي لها بالزواج.. قد

تكون مدمرة لاسمي.. لأعمالي.. لكل شيء

بنيته في السنوات الماضية.. سقطة كهذه لا

تغتفر بسهولة..

أومأت برأسها في حزن.. فتمسك بكتفيها بقوة:

ـ لكننا نستطيع أن نكون معاً.. لمى..

أرجوكِ وافقي على أن تكوني زوجتي..

همست بحزن:

ـ زوجتك السرية.. الزوجة الثانية..

سارع بإخبارها:

ـ ليس بالضرورة.. كوني الأولى.. تزوجيني الآن.. حبيبتي.. لا تكوني عنيدة وتحرمينا من السعادة..

اقترب منها ليضمها بقوة:

ـ أحبك يا لمى وأنتِ تعلمين ذلك جيداً..

انهمرت الدموع من عيون لمى وهي تكاد تختنق من الحزن:

- لم أعتقد يوماً أنه من الممكن إغرائي لأقبل أن أكون المرأة الأخرى في حياة رجل.. أشعر بالحنق والغيظ من قلبي الذي يهتف موافقاً.. ولكن حمداً لله أن عقلي مازال يتحكم بالأمر.. أنا آسفة يا باسل.. لا أستطيع.. لقد أتيت فقط حتى أخبرك أن كل ما مضى لم يكن خداع.. أنني أحببتك.. أنت تستحق أن تعرف..

حاول اقناعها:

- لمى... حبيبتي.. أرجوكِ.. استمعي لي.. لا أعلم من أين أتيتِ بفكرة المرأة الأخرى تلك.. أنتِ الأولى في قلبي.. الأولى في كل شيء.. أول من عشقت.. وأول من صارحتها بكل أسراري.. أنا سأطلبك للزواج من والديكِ.. لن نخفي الأمر عليهما.. فقط..

قاطعته:

- فقط ستخفيني عن شيرويت وعن باقي الناس..

أجابها بتحدي:

- لقد ظننت أنني فقط من يهمك.. وليس باقي الناس..

أجابته بحزن:

- نعم.. أنت فقط من يهمني.. يهمني أن تكون فخوراً بكوني زوجتك.. لا أن تخفيني في الظلام..

اقترب منها ليمسك بيديها محاولاً معها بطريقة اخرى:

- لمى حبيبتي.. استمعي لي.. أنا فخورٌ بكِ حبيبتي, ومؤمن بموهبتك الصحفية.. حبيبتي.. لقد كنت عزمت على تقديم

نصيبي في مجلة "السيدة".. لكِ كهدية زواج.. ألا يثبت هذا فخري وتمسكي بكِ..

هزت رأسها بآسى:

ـ بل يثبت فقط أنك تريد شرائي.. هل ظننت أن ذلك العرض سيثير اهتمامي؟..

باسل.. أنك تعود لجرحي من جديد.. لم تظن أن المجلة قد تغريني أكثر من حبك لي؟.. لم؟.. أمازلت تشك في قوة حبي لك؟..

اقتربت منه وهي تخبره بألم:

ـ هاك دليل حبي لك أنت.. وأنت فقط..

ارتفعت على أطراف أصابعها ولمست شفتيه بشفتيها بخفة وابتعدت بسرعة قائلة:

ـ أرجوك.. أرجوك أن تتدبر الأمر لأترك الباخرة.. الآن..

رفع يده إلى شفتيه بذهول وهو لا يصدق أنه أضاع الفرصة ولم يحبسها بين ضلوعه ويبقيها هناك إلى الأبد.. قد منحته أولى قبلاتها.. القبلة التي رفضت منحها لعادل من قبله.. القبلة التي هربت منها عندما كانا معاً في الإسكندرية..

حاول أن يتمسك بها هامساً:

ـ ولكن.. لمى..

همست مقاطعة له:

ـ أرجوك يا باسل.. أرجوك... لا تجعلني أكرهك وأكره نفسي لوقوعي في حبك.. دعه يكون ذكرى دافئة تسعدني.. أرجوك..

تحرك باسل ليرفع سماعة الهاتف ويجري مكالمة بعدها بدقائق كانت لمى.. تستقل القارب الخاص بالباخرة لتعود إلى اليابسة..

وقبل أن يتحرك القارب همست من وسط دموعها:

- إلى اللقاء يا حبي.. لا تجعلني أنتظر طويلاً..

(الأخير)

كان باسل ينهي استعداده في غرفته بالفندق الشهير الأغلى والأفخم في البلاد ليقام به زفاف الموسم.. أخذ يحاول عقد ربطة عنقه للمرة العاشرة عبثاً.. حينما رن جرس الهاتف, فتحرك بسرعة ليجيبه:

- نعم.. سالم.. هل ذهبت إلى شاطئ البحر مثل كل يوم؟..

يبدو أنه حصل على إجابة بالموافقة.. فأكمل:

- حسناً.. ليبق رجلك حولها حتى تعود لمنزلها.

أغلق الهاتف وهو يزفر بألم.. فهو يتلقى التقرير اليومي عن تحركات لمى منذ تركت باخرته من أسبوع.. لقد فوجئ بخبر تقدمها للحصول على إجازة طويلة وعودتها إلى الإسكندرية.. كانت عودتها غريبة.. فهي

تعود للبلدة التي هربت منها لأكثر من خمس سنوات.. هربت منها بوجع وجرح غائر لتعود لها محاولة دفن جراحها.. ومداوة قلبها الذي فطر بسببه.. بسبب ولاؤه لوعد قديم قطعه لوالد شيرويت بأن يرعى مصالحها.. بسبب تشبثه بأن شيرويت هي الواجهة الاجتماعية المناسبة له ولمكانته التي يريد ترسيخها في الأذهان.. بسبب خوفه على ما بنته يداه طوال سنين عمره..

الاسم والثروة.. والعراقة.. كل تلك الأشياء التي هو مدين بها لأخيه الراحل.. لوالده.. وأخيراً.. حتى لا يخيب ظن أمه به, ويكون أكمل الصورة التي كانت تحلم بها للعائلة...

والنتيجة.. الجميع في غاية التعاسة, حتى شيرويت التي أهملها منذ تركته لمى.. والتي تقبلت تغيراته المزاجية برحابة صدر..

وتعاسة منقطعة النظير تظهر جلية في عينيها

الجميلتين... ولكنها رغم كل شيء لم تعترض.. لم تحاول استجوابه ولم تحاول إيقاف الزواج... الزواج الذي لم يتبق على إتمامه سوى ساعات.. أو ربما دقائق..

****

كانت حالة شيرويت لا تقل تعاسة عن باسل.. وحاولت مصففة الشعر ومختصة الزينة تعديل زينتها أكثر من مرة.. بينما ناريمان تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً محاولة إقناعها إلغاء الزفاف.. لقد تخطى الأمر مرحلة الجنون, وداغر لم يتدخل لينهي ذلك الزفاف.. كيف يمكنها ترك ابنتها تدفن قلبها في زواج حكم عليه بالفشل حتى من قبل أن يعقد!.. ولكن ابنتها الغبية العنيدة ترفض الاستماع لصوت العقل..

ـ أنه لا يستحقك.. شيرويت.. حبيبتي.. لم تفعلين هذا بنفسك؟..

ـ أمي.. أخبرتك أنه رجل جيد.. وسيعتني بي..

صاحت أمها:

ـ أنه رجل عاشق لغيرك.. قد يكون الأمر مقبولاً لو كنتِ تملكين أي أمل في أن يقع في حبك.. لكن الآن.. أنتِ تدركين تماماً أنه يعشقها..

قالت شيرويت بحزم:

ـ قد يكون كلامك صحيح.. لكنه قرر أن يستمر معي أنا.. وأنا لن أخذله.. الحب لا يمثل كل شيء لبناء عائلة سعيدة.

هزت ناريمان رأسها بأسى لغباء ابنتها.. فما فقده باسل على مدى عمره, كبيراً جداً..

لمدة طويلة بدا أنه لم يكن هناك ما يعوضه فقده لعائلته حتى وضعت لمى في طريقه.. وقد نجحت لمى في تعويضه.. ملأت حياته بالفعل في مدة لا تتجاوز السبعة الأيام.. نجحت في مدة قياسية فيما فشلت ابنتها فيه على مدى شهور من الخطبة.. تدرك بخبرتها أن ما وجده باسل مع لمى أثمن بكثير من أن يتركه يذهب.. وأنها مسألة وقت قبل أن يهجر ابنتها باحثاً عما يحتاجه حقاً..

كانت أفكار ناريمان تدور حول غباء شيرويت بينما تلك الأخيرة كانت تتساءل بحرقة عن خطوة داغر الأخيرة.. هل سيمتثل لقرارها بالفعل؟.. هل سيتمكن من تسليمها لباسل؟.. ترى سيطاوعه قلبه؟.. سترضخ مشاعره لكرامة وكبرياء آل كاظم حيث نال داغر القسم الأعظم منهما.. بينما نالت هي كل جينات العناد.. وربما الغباء أيضاً..

التفتت لوالدتها تسألها بلهجة حاولت أن تكون عادية:

- هل وصل داغر؟..

اجابتها ناريمان بخبث:

- نعم.. ويبدو أنه يريد قتل أحدهم...

هبت شيرويت واقفة بعد أن سمعت تلك الكلمات وأخبرت أمها في إيجاز:

- أمي.. أنا جاهزة.. لتخبري الجميع...

خرجت من غرفتها لتجد داغر واقفاً بانتظارها وبعينيه تصرخ معاناة عاشق يمنعه كبرياؤه من التقدم وخطف حبيبته على فرسه الذهبي...

تأمل داغر طلتها المذهلة.. لفات من الحرير والتول.. كثير من قطع الماس وحبات اللؤلؤ.. شكلت ثوب يليق بأميرة هاربة من

إحدى الأساطير.. موجات شعرها الأشقر الذي حبسته طويلاً تألقت على بشرة كتفيها الناعمة وكأنها تدعوه ليغرق بها كما تخيل بأحلامه.. دفء نظراتها وهي تبادله نظراته كاد أن يخرجه عن وقاره ليهرب بها من ذلك الحفل اللعين.. ولكن اقترابها الهادئ منه مع جملتها الواثقة."أنا جاهزة.. يا ابن العم"..

أعادا له تعقله ليتأبط ذراعها ويتحرك نحو درجات السلم..

تحرك باسل ليقف أسفل الدرج الطويل للفندق.. بينما لمح شيرويت تقف على رأسه وقد تأبطت ذراع داغر.. وتراصت صديقاتها على الصفين كوصيفات للعروس الجميلة..

صدحت الموسيقى لتتحرك شيرويت على أولى درجات السلم.. بينما تتابعها عينيّ باسل..

كانت تبدو كإحدى الأميرات الساحرات بثوبها الخيالي الذي كشف عن كتفيها وذراعيها.. بينما صدر الفستان كان شبكة من خيوط وخرزات ماسية زاد تألقها أضواء الفندق الباهرة المنتشرة في كل مكان.. واسترسلت تنورة الثوب لتهبط إلى كاحليها في خطوط مستقيمة تلف قدها الرشيق بالحرير الفضي.. كان ثوباً يليق بأميرة, ولكنه وهو يتأملها تتحرك نحوه على الدرج برفقة داغر, أدرك أنها لم تكن الأميرة الخاصة به, فأميرته ذات شعر أسود حالك ينطلق ثائراً حول وجهها, ذات عيون فضية لامعة تزينها دائماً بالكحل الأسود لتبرز تموجهما بالمشاعر التي تجذبه

بسهولة ليذوب عشقاً أمام فتنتها.. أميرته لا تخشى أن تتواصل معه بنظراتها.. تطلب منه الأمان وتمنحه الراحة.. ليست مثل شيرويت التي تخفي عينيها دائماً كما الآن.. ولكنها في تلك اللحظة اختارت أن تتواصل معه بنظراتها.. تلك النظرات التي لمعت بتساؤل.. فباسل ما زال مسمراً في مكانه.. لم يتحرك صاعداً الدرج ليلتقيها في منتصفه كما هو مقرر.. ومع كل خطوة تتخذها شيرويت نحوه كان يتأكد أكثر وأكثر أنه لا يستطيع المضي في الأمر.. أخذ يتأملها محاولاً التركيز على ملامحها ولكن كل ما رأته عيناه جنيته المغوية بفستانها الأحمر الذي أشعل الدماء في عروقه..

عاد ينظر لشيرويت وقد توقفت عن حركتها وهي تبادله نظرات متسائلة.. حاول.. وحاول تحريك قدميه حتى نجح أخيراً في

صعود درجة واحدة وعندها مدت يدها ليمسكها لاثماً ظاهرها بشفتيه.. ثم طبع على جبهتها قبلة أخرى وهو يهمس:

- شيرويت.. سامحيني عزيزتي.. فنحن لا نختار لمن نمنح قلوبنا.. فقط نفعل..

همست بسؤال مباشر:

- تحبها؟

أجابها هامساً باعتذار:

- ليت الأمر بيدي.. آسف عزيزتي.. ولكن يجب أن أكون معها الآن..

ابتسمت شيرويت بحنين وهمست:

- لم الاعتذار باسل؟.. أنت قلتها.. نحن لا نختار لمن نمنح قلوبنا..

والتفتت نحو داغر لتهمس وقد التمعت عيونها بدموع حبيسة:

ـ لكننا فقط نفعل..

لم يبدو أن باسل استمع لكلماتها فقد شغل عقله وملأ عينيه وجه لمى الحزين وهي تتأمل أمواج البحر.. تلك اللقطات التي يمده بها رجاله يومياً.. يجب أن يمحو ذلك الحزن من عينيها.. لابد أن يمسح دمعاتها ولا يسمح لها بالتساقط أبداً.. يجب أن يكون معها يتوسل غفرانها..

همس بحالمية:

ـ قد أدفع عمري كله ثمناً لغفرانها..

وقبل أن يكمل كلماته فوجئ بقبضة داغر تقتحم وجهه وقد أساء تفسير دموع شيرويت.. ليهتف بغضب وهو يتمسك بباسل من مقدمة ملابسه:

ـ ستتخلى عنها الآن أيها الوغد.. لن أسمح لك..

دفعه باسل بغضب هاتفاً:

ـ داغر!.. هل جننت؟!..

ليصرخ به داغر بغضب مماثل:

ـ لن أسمح لك بتحطيمها من أجل تلك الصحفية اللعينة..

ما أن سمع باسل إهانته للمى حتى أنقض على داغر وهو يصرخ:

ـ لا تجرؤ على إهانة لمى أيها الحقير..

ولكن توقفت قبضته في الهواء قبل أن يمنح داغر إحدى لكماته القوية عندما تدخلت شيرويت لمنعه وهي تحمي داغر بجسدها هاتفة:

ـ باسل.. توقف.. لا تؤذه..

هتف بها باسل بغضب:

- لقد حطم ابن عمك العزيز أنفي..

أجابته شيرويت بحسم:

- فليكن.. أنت تستحق..

أزاحها داغر من أمامه محاولاً الانقضاض على باسل ومهدداً إياه بعنف.. عنف كان يقتله من الداخل وهو يردد:

- باسل مختار.. أقسم أن أحطمك شر تحطيم لو لم تكمل ذلك الزفاف البائس.. لو كانت شيرويت تريدك زوجاً.. فستكون كذلك..

قهقه باسل بسخرية وهو يرمق نظرات شيرويت الممتلئة بالدموع والعشق والغيظ معاً.. وكلها موجهة لابن عمها الأحمق:

- داغر.. لا تكن أحمقاً.. هل تريدني بالفعل أن أتمم زواجي بابنة عمك.. هل ترغب بتخيلها بين ذراعي و..

لم يكمل باسل كلماته فقد أخرسته عدة لكمات متوالية من قبضة داغر قبل أن يلتفت لشيرويت صارخاً:

- سنتزوج الآن..

فما كان منها إلا أن أخفضت رموشها خجلاً وهي تهمس:

- كما ترغب يا ابن العم..

تنهد داغر بحرقة وهو يهتف:

- يا الهي.. أخيراً.. لا أصدق..

ثم استكمل جنونه بقبلة نارية التهم بها زينة شفتيها بأكملها.. قبلة ظل يحلم بها لسنوات

وأرقت الآلاف من أحلامه.. قبلة قاطعها صوت ناريمان الحاسم:

- داغر.. لتعقد قرانك أولاً على ابنتي.. ثم لك مطلق الحرية في التهامها بعد ذلك..

وبداخلها تطلق زفرة قوية هامسة..

"حمداً لله لقد ثابا الأحمقان لرشدهما"..

ابتسم باسل بهدوء وهو يمسح الدماء التي تساقطت من أنفه وتوجه نحو شيرويت ليمنحها قبلة مهنئة على وجنتها ولكن داغر استوقفه مزمجراً:

- باسل.. ابتعد من هنا قبل أن أحطم الباقي من وجهك...

اتسعت ابتسامة باسل وهو يمنحه تحية عابرة قبل أن يتحرك بعيداً عن الضجة وزحام الزفاف...

لحظات وكان في سيارته.. لم يفكر وهو يأمر سائقه بالذهاب إلى المطار.. فكل ما شغل باله هو الوصول اليها..

****

أنهت لمى تمشيتها اليومية على شاطئ البحر.. فهي تأتي يومياً لتشكي همومها وتدفنها في مياه البحر.. تنتظر حضوره.. تعلم أنه سيأتي.. لا يعقل أن يكون ما شعرت به في لقائهما الأخير هو محض وهم.. لقد ظنت أنها استرجعته بالفعل وهي ترى نظراته تشتعل مع رقصتها المجنونة.. ولكنه فاجئها بأنه مازال يريدها في الظل.. وهي احتاجت التمسك بكل ذرة كرامة تملكها حتى

ترفضه.. ورغم كل ذلك هناك يقين في أعماقها بأنه سيأتي.. سيأتي ليطالب بها.. ترجو فقط ألا تكون تنتظر سراباً..

تساقطت دمعات فضية وجرت على وجنتيها فمدت يدها لتمسحها وهي تحاول تشغيل سيارتها.. لتفاجئ برجة قوية هزت السيارة بأكملها.. رجة أعادتها لثلاثة أسابيع مضت.. فازداد جريان دموعها.. وخرجت من السيارة لتتبين الأمر لتفاجئ به أمامها وهو يخبرها بلهجته العابثة:

- يبدو أن سيارتك قد أصيبت بضرر كبير.. أنه خطأ السائق الخاص بي.. وأنا على أتم استعداد لتعويضك عن الأضرار..

شهقت بقوة وهي لا تدري أتبكي أم تضحك أم تصرخ:

ـ هل هذا كل ما تستطيع قوله؟.. ألن أسمع حتى كلمة اعتذار؟!

تمسك بيديها يرفعهما معاً إلى شفتيه:

ـ بل تستحقين أكثر من ذلك بكثير.. ولو بمقدوري جلب العالم كله لأجل عينيكِ لفعلت.. ولكني لا أملك إلا قلبي لأمنحه لكِ..

ألقت بنفسها بين ذراعيه ودموعها تزداد غزارة.. كادت أن تهتف به.. "لقد أتيت".. ظل يحتضنها حتى انتهت نوبة البكاء تماماً وبدأت شهقاتها تهدأ قليلاً.. فسكنت بين أحضانه.. تستمع لضربات قلبه العنيفة.. وهي لا تصدق أنه هنا بالفعل.. فرغم يقينها بحضوره, إلا أن إحساسها بأنها تعيش داخل حلم رائع يغطي على كل ما حولها..

ظلت ساكنة لفترة ثم تملصت من بين ذراعيه وهي تقول وسط شهقاتها المكتومة:

- أحبك..

ثم لكزته في كتفه بشقاوة:

- لم تأخرت أيها الأحمق؟..

مد يده ليسوي خصلاتها تلك الحركة التي تعشقها منه:

- هل كنتِ واثقة من حضوري؟..

أومأت برأسها موافقة.. فضمها إليه هامساً:

- شكراً لكِ حبيبتي.. شكراً لأنكِ آمنتِ بي.. آمنتِ بحبنا..

نزل أمامها على ركبة واحدة وهو يمسك يدها ويرفعها لشفتيه:

- هل تقبلين اعتذاري عن العرض الأحمق الذي تقدمت به إليكِ من قبل؟.. عذري الوحيد أن قلبي كان لا يفكر في شيء سوى الاحتفاظ بك بين طياته..

هزت رأسها تمنحه الغفران ودموعها تتساقط فأكمل:

- والآن حبيبتي.. هل تمنحيني شرف أن تكوني زوجتي..

شهقت بصوت مسموع وقد تركت العنان لعبراتها تجري على وجنتيها بدون قيود..

وسألته من وسط دموعها:

- زوجتك!!.. أمام الناس.. في العلن؟!

أثر به بشدة قلة ثقتها به فما كان منه إلا أن رفعها بين ذراعيه وأخذ يدور لتتناثر خصلاتها على وجهه فدفنت وجهها بعنقه صارخة وشعرها يتطاير ومعه دموعها:

- مجنون.. يكفي أيها المجنون..

توقف عن الدوران فرفعت وجهها لتنظر إلى وجهه بهيام فأخبرها بهمس:

- أحتاجك يا ملاكي.. أريدك يا قاتلتي.. أحبك يا زوجتي..

همست:

- زوجتك.. باسل..

قاطعها:

- نعم.. زوجتي الأولى والأخيرة والوحيدة..

لفت عنقه بيديها هامسة:

- هل أخبرتك أنني أحبك بشدة.. أعشقك..

شعرت بارتجاف جسده وهو يحملها وظهر تأثره في عينيه واختلاج عضلة فكه.. فحاول السيطرة على عواطفه وهو يخبرها:

ـ أمامك يومين.. فقط ثمانية وأربعون ساعة لتكوني حرم باسل مختار.. وإلا أنا غير مسئول عما يمكن أن يحدث.. فقد تأتي امرأة أخرى لتخطفني منكِ.. أريدها أن تكون صهباء تلك المرة..

ضربته بقوة على كتفه:

ـ لا يوجد أي خطر عليك من أي صهباء أو شقراء أو حتى زرقاء.. هل تعرف لماذا؟..

وأشارت إلى قلبه:

ـ أنا أملكه بالفعل.. إنه ينبض بداخل صدري..

تحرك وهو يحملها حتى أدخلها إلى المقعد الخلفي لسيارته.. وجلس بجوارها..

مبتسماً في سعادة.. فقد كانت حافية القدمين..

غمزها:

- قدمان لطيفتان!

****

بعد العصر اليوم التالي..

تعالت الأصوات واختلطت بالزغاريد وهي تردد..

"اللهم بارك لهما.. وبارك عليهما.. واجمع بينهما بالخير"

كانت لمى تتلقى تهنئة والدتها ووالدها لتجد باسل أمامها فجأة يهمس في أذن والدها بشيء.. فأومأ والدها موافقاً..

لتجد نفسها تجري خلفه حتى دلفا إلى المقعد الخلفي لسيارته وانطلق بهما السائق حتى الشاطئ, الذي اختفت رماله تحت أوراق الجوري الحمراء والبيضاء تداخلت معها أوراق البوفارديا بألوانها الوردية والبيضاء.. وشتلات مختلفة من الأوركيد.. والزنبق.. فتناغمت عطور الازهار المتعددة مع ألوان الشمعات المتناثرة بين الشتلات وتم تحديد الشاطئ بشعلات نارية من عدة جوانب لتمنحه إضاءة هادئة ومثيرة وهي تنعكس على مياه البحر فتنافسها أشعة الشمس الذهبية الغاربة..

كانت قد ارتدت الثوب الأحمر بناء على رغبته وأطلقت شعرها حراً كعادتها

وزينت وجهها فقط بأحمر شفاه داكن وكحل أسود استخدمته لعينيها.. لتبرز عينيها الوحشية كما يخبرها هو..

أدار موسيقى هادئة وأخذها بين ذراعيه وهو يهمس لها:

- هيا يا أميرتي.. اخلعي حذائك واصعدي فوق قدمي العم باسل..

ضحكت بقوة:

- لست جاد..

ساعدها على خلع حذائها لتضع قدميها الحافيتين فوق قدميه ويتمايلا معاً وهي تهمس له:

- يا الهي.. رقصتنا الأولى كزوجين.. لم أحلم أن تكون بتلك الروعة..

همس بين طيات شعرها:

- قاتلتي أنتِ يا حافية القدمين..

ابتسمت له:

- عروس حافية القدمين بحفل زفافها..

هل قابلت من هي أكثر جنوناً مني!..

ولكني أرغب في ارضائك فقط أيها العم باسل.

زاد ضمه لها وهو يخبرها:

- كلا يا حبيبتي.. حفل زفافك يتم الإعداد له الآن.. حفل زفاف يليق بحبيبتي..

وسترتدين فيه الأبيض كأي عروس..

الأحمر ترتدينه لي أنا فقط..

ضحكت بسعادة:

- أنت مجنون..

- بكِ يا حبيبتي..

تمت بحمد الله